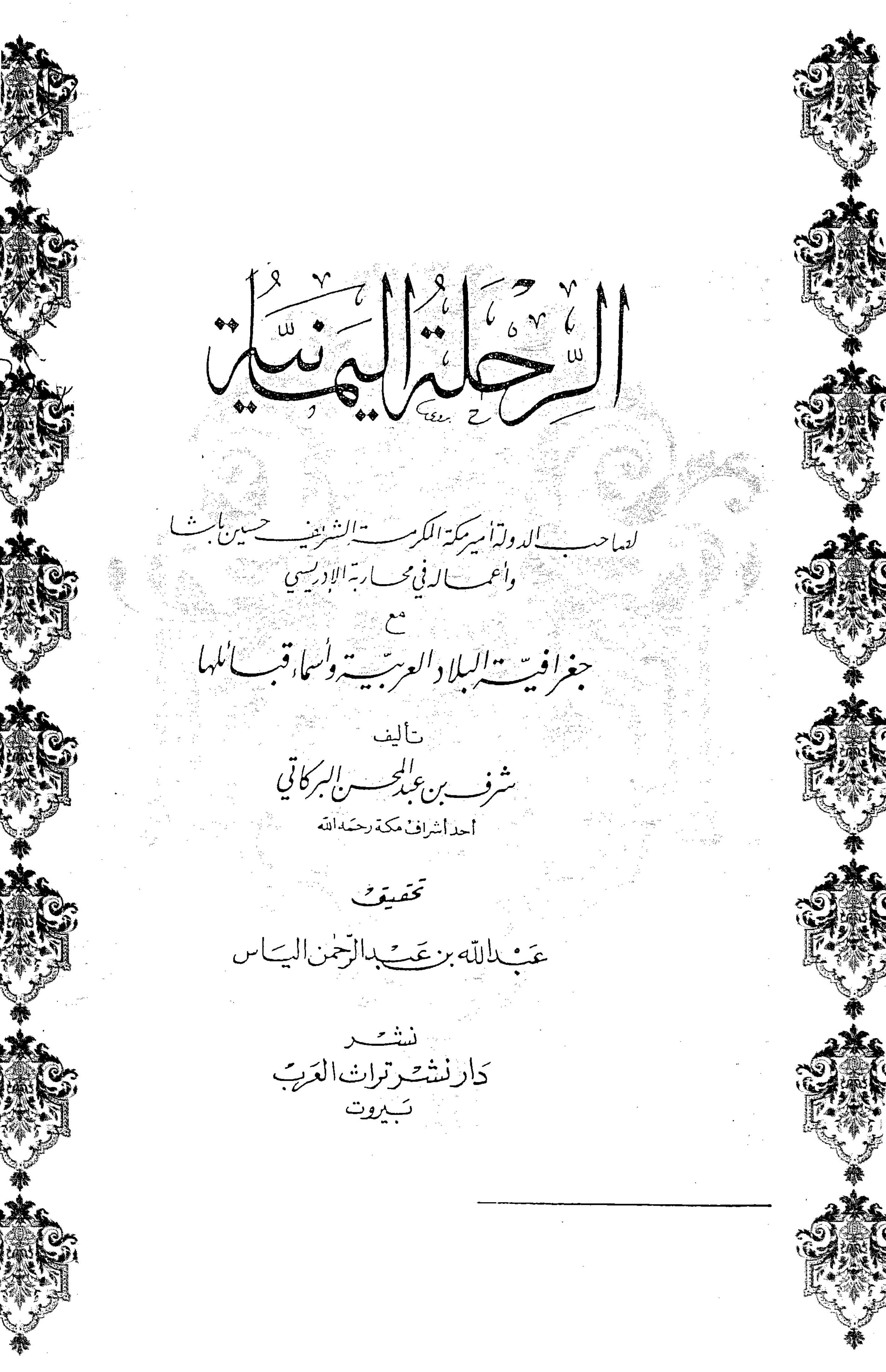


الرحلة اليمانية

لصاحب الدولة أمير مكة المكرمة الشريف حسين باشا
وأعماله في محاربة الإدريسي

مع

جغرافية البلاد العربية وأسماء قبائلها

تأليف

شرف بن عبد المحسن البركاتي
أحد أشراف مكة رحمه الله

تحقيق

عبد الله بن عبد الرحمن الياس

نشر
دار نشر تراث العرب
بيروت





لصاحب الدولة أمير مكة المكرمة الشريف حسين باشا
وأعماله في محاربة الإدريسي

مع

جغرافية البلاد العربية وأسماء قبائلها

تأليف

شرف بن عبد المحسن البركاتي

أحد أشراف مكة رحمه الله

تحقيق

عبد الله بن عبد الرحمن اليماس

نشر
دار نشر تراث العرب
بيروت



مقدمة المحقق

عبدالله بن عبدالرحمن الياس

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري وأوائل هذا القرن كانا أكثر الأيام سخونة في منطقة جنوب غربي جزيرة العرب اذ ظهرت هناك عدة امارات، بعضها كبير ذو شهرة عالمية، وبعضها لا يتعدى مدناً وما حولها، بعضها يقوم على أساس مذهبي، وبعضها لا يعرف التعصب، بعضها كان ينعم بالرخاء والاستقرار، وبعضها يعيش على الفوضى باستمرار. وكانت الدولة العثمانية في أواخر عهدها تريد أن تثبت أقدامها لتعود اليها الحياة من جديد، وترغب في أن تقضي على هذه الامارات وتخضعها لسيطرتها لتظهر بمظهر القوة وتكسب تأييد شعبها، لذا كانت تدعم بعض الامارات ليقاتل بعضها الآخر. وفي الوقت نفسه كان الأوربيون يريدون أن يقضوا على الدولة العثمانية بإثارة الفتن وخلق الفوضى، ويحاولون أن يجدوا لأنفسهم موطىء قدم يتقدمون منه الى داخل البلاد وهذا ما جعلهم يفكرون في إيجاد إمارة أو مركز ينفذون من خلاله، ويبسطون سيطرتهم من ورائه، وهكذا كان الادريسي في مدينة «صبيا»،

ولعل أوضح وقت ظهر فيه هذا النزاع هو ما كان قبيل الحرب العالمية الأولى التي اندلع نارها عام ١٣٣٣ هـ إذ بدأ يتوسع نفوذ آل سعود في نجد ويمتد الى غيرها، ويلقون الدعم والتأييد وكان أشراف الحجاز يسعون لبسط سيطرتهم خارج منطقتهم أيضاً، بل كان الشريف الحسين بن علي يحرص أن يكون ملكاً على جميع العرب، فكان يضع يداً مع الدولة العثمانية صاحبة الأمر آنذاك، أو يظهر ذلك ليكسب الرضا، ويضع اليد الثانية مع خصومها ليحصل على تحقيق أمانيه فيما اذا انهار العثمانيون الذين أصبحت تبدو عليهم علائم الانهيار، وكان آل حميد الدين في صنعاء يعتمدون على أتباع المذهب الزيدي في الهضبة اليمنية ويحاربون الأتراك، ويحرصون على بسط هيمنتهم على ما جاورهم ليقوى ساعدهم، وفي مدينة « صبيا » بتهامة ظهر الادريسي الذي تلقى الدعم الخارجي من إيطالية ثم من بريطانيا، وحاول أن يقيم دولة معتمداً على مؤيديه من الصوفية، ومن سيطر عليهم بخرافاته، ومن كسبهم الى صفه من سذج تهامة بما كان يقوم به من أعمال الشعوذة، وكانت امارة آل عائض الذين سيطر الأتراك على مدن منطقتهم وقلاعها في نهاية القرن الثالث عشر الهجري عام (١٢٨٩)، ويحاولون أن يستعيدوا مجد إمارتهم بما لهم من نفوذ بين رجال القبائل الذين نعموا في ظل حكم آل عائض بالرخاء والأمن والطمأنينة، وفكر آل عائض أن يتفقوا مع جوارهم ليتخلصوا من الأتراك فيجلونهم من منطقتهم، فاتفقوا مع الادريسي، وكسبوا ود مكة وصنعاء، اذ كان إخراج الأتراك أمنية الجميع، فكل يفكر في المستقبل، ويحرص على الانقضاض على ما في يد الأتراك من أمكنة وقلاع وعتاد، واقتضت الحال أن يسير آل عائض والادريسي باتجاه أبها عاصمة دولة آل عائض فيحاصرونها، ويرسل الأتراك نجدة الى قواتهم المحاصرة في أبها، ويكون الشريف الحسين بن علي على رأس هذه القوة القادمة من مكة والتي تحركت من عدة جبهات مظهراً تأييده للدولة العلية ولحظ آل عائض أثناء

حصار (أبها) أطماع الادريسي فانقلبوا عليه، وتركوا مواقعهم التي كانوا يتخذونها في حصار (أبها) وفي هذا الوقت وصلت قوات الأتراك وأشراف الحجاز الى المنطقة واستقبلهم آل عائض، واضطر الادريسي الى الانسحاب، ووفق الشريف الحسين بين آل عائض والأتراك.

كان مؤلف هذا الكتاب شرف بن عبدالمحسن البركاتي بين قوات الحجاز وأطلق على حركة هذه القوات «الرحلة اليمانية» التي هي عنوان كتابنا هذا، ويمكن ملاحظة نقاط على هذه الناحية:

أولاً: يعدّ مؤلف الكتاب من أشراف الحجاز، ولما كان قائد الحملة أمير هؤلاء الأشراف، فإن الثناء عليه يعطي صورة مشرقة للأشراف كلها، وبالتالي يكون المؤلف قد أسدى الى أسرته جميعها مجداً ورفعة، ومن هنا يكون كلامه ذا مصلحة خاصة به، وفخر خاص به، فلا بدّ اذن من إعطاء صورة صحيحة عن المعلومات التي جاءت في الكتاب عن قائد الحملة.

ثانياً: كان المؤلف شرف بن عبدالمحسن البركاتي أحد أفراد الحملة ويعمل تحت امرة قائدها، ولا شك فيه أن الجندي عندما يتكلم عن قائده فإنما يكون في كلامه مبالغة وتعظيم، وقد ينسب اليه ما لم يقم فيه، ويعطيه ما لا يستحقه.

ثالثاً: ان المؤلف لم يعرف المنطقة لذا فقد اعتمد في جمع معلوماته على ما سمعه من رجالات البلاد، فبعضهم أعطاه متزلفاً، وبعضهم لقنه متوجساً، وبعضهم عرفه وهو مبغض كاره، ومن هنا جاءت معلومات الكتاب فيها كثير من الغلط والخلط، وكان لا بدّ من تصحيح هذه المعلومات لاعطاء صورة صحيحة عن المنطقة وجبالها وأوديتها وقبائلها وأمرائها، وذلك ما حرصت أن أقوم به، وذلك ليبقى الكتاب سجلاً خالداً يصور واقع المنطقة

في تلك الحقبة من الزمن، وهذا ما قمنا به، وقد وضعت ما كتبته أنا بين معترضتين، وما عدا ذلك فهو من تعليقات الشيخ محمد نصيف وكنت قد اطلعت على الطبعة الأولى التي ظهرت عام ١٣٣٠ هـ، فلما ظهرت الطبعة الثانية أضفت اليها ما استخلصته من مذكراتي التي أعمل على تدوينها، وما اطلعت عليه من كتب تناولت تاريخ المنطقة.

والله نسأل التوفيق والعون وسداد الخطا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ذي القعدة ١٣٨٦هـ

عبدالله بن عبدالرحمن البسام

مقدمة الطبعة الثانية

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ، ونصلي ونسلم على محمد وآله .

أما بعد : فهذه « الرحلة اليمانية » التي كتبها مؤلفها الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي - رحمه الله - واصفاً بها الحرب التي قامت بين الجيش العثماني بقيادة الشريف حسين بن علي وبين السيد محمد بن علي الادريسي وقبائل بلاد عسير(١) .

وقد قام المؤلف بذكر القرى والجبال والأودية والمزروعات التي مرّ بها ، وذكر قبائلها مع أنسابهم ، وما وجد من عادات ، ثم توسّع في ذلك حتى شمل في وصفه جزيرة العرب معدداً قبائلها ، كل ذلك بأسلوب بسيط تغلب عليه

---

(١) [لم تكن قبائل بلاد عسير مع الادريسي وانما كانت مع أمرائها من آل عائض ، ولم يحكم الادريسي بلاد عسير ساعة واحدة وانما كان يحلم بذلك ، ولكنه سيطر على أجزاء من تهامة ، وكانت حاضرته مدينة « صبيا » ولارتباطه مع الاوربيين فقد سلطت عليه الأضواء ، وقرن اسمه مع بلاد عسير اذ أن منطقته التهامية هي تهامة عسير ، أما السراة فهي لأمرائها من آل عائض لمدة تزيد على عشرة قرون] (المحقق) .

العامية ولعل ذلك كان مقصوداً من المؤلف لأن الكتاب في يومه كان دعاية للشريف حسين بين العامّة.

والكتاب يصوّر فترة من تاريخنا وأوضاعنا الاجتماعية والأخلاقية بدأت تضيع معالمها - على قرب العهد بها -.

والكتاب ليس كتاباً محققاً في التاريخ ولا كتاباً مدققاً في تقويم البلدان. ولكن المؤلف دوّن ما وقعت عليه عينه أثناء سيره، أو ما سمعه ممن لقيه من الناس في رحلته وقبلها وبعدها، فكان من الفوائد ما لا يوجد في غيره من الكتب.

غير أننا نأخذ على المؤلف إبرازه لمواقف الشريف حسين وأنجاله والقوات المجتمعة تحت قيادته فقط، مع أنها لم تجمع الا بأموال الدولة العثمانية، وهي بالواقع لم تكن ذات أثر في المعارك لانعدام الدربة عند أفرادها ولأنهم بأكثريتهم من المرتزقة الذين ما جاء بهم الا الطمع، واغفاله مواقف القوات العثمانية في أكثر من موضع، ولولا هذا الجيش الكبير المنظم المزوّد بالمدافع والأسلحة الحديثة مع مساندة الأسطول له لما استطاع الشريف دخول بلاد عسير.

وكانت طبعته الأولى سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١٢ م بمطبعة السعادة بالقاهرة، وهي طبعة كثيرة الأغلاط والتطبيعات، وأصبحت نسخها نادرة قلَّ أن يعثر عليها المرء، وذلك أنها وزعت على سبيل الدعاية في البلاد الحجازية، وأنها طبعت على ورق سريع التلف، وما كان محفوظاً لدى الملك حسين ضاع يوم أن ترك مكة في طريقه الى منفاه في جزيرة قبرس.

ولم يكن لدينا عند الطبع الا نسخة الاستاذ الجليل الشيخ محمد نصيف، وعليها الكثير من تعليقاته التي أثبتناها في الهامش.

وكانت الرغبة في إصلاح كل ما فيه من أخطاء ، غير أننا عدلنا عن ذلك لأنه يلزمنا اعادة سبك الكتاب سبكاً يغاير أسلوب المؤلف ، وقد يغير الكثير من المعاني التي أرادها ، لذلك حافظنا على أصل الكتاب وتصرّفنا بإصلاح بعض الأخطاء المطبعية وما كان بحكمها .

والكتاب - في نظرنا - نافع مفيد لكل باحث في تاريخنا الحديث ، وفي جغرافية جزيرتنا .

والله نسأل أن يحسن مثوبة العالم الفاضل الشيخ محمد نصيف على نصحه وتوجيهه ومشاركته بطبع الكتاب ، وان يكثر في المسلمين من أمثاله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بيروت في ١٢ ربيع الثاني ١٣٨٤ الناشر

ترجمة المؤلف

هو الشريف شرف بن عبدالمحسن البركاتي ينتهي نسبه الى الشريف بركات بن الشريف أبي نمي محمد بن بركات.

عيّن قائمقاماً لإمارة مكة، وكان يقضي بين الناس من أهل البادية في قصر الامارة، وما كان يُصدر حكماً الا بحضور عالم من علماء مكة للفتوى لتكون الأحكام موافقة للشريعة المطهرة.

وكان مقرباً من الشريف حسين بن علي مرافقاً له في رحلاته، ومشيراً عليه في أموره.

وعندما استقل الشريف حسين أرسله الى مصر معتمداً يرعى مصالح أهل الحجاز لأن الحكومة المصرية[1] لم تعترف آنذاك باستقلال الحسين، ولم يكن هناك تمثيل قنصلي بين مصر والحجاز - لذلك لم يسمَ سفيراً أو قنصلاً،

---

(١) [كانت مصر تحت السيطرة الانكليزية منذ أن احتلتها عام ١٢٩٩ هـ، وبقيت كذلك حتى أعلنت الحرب العالمية الاولى، ففرضت انكلترا حمايتها على مصر]. (المحقق).

ثم عيّن الملك حسين معتمدا غيره.

وبعد أن استولى الملك عبدالعزيز آل سعود على الحجاز عاد الى مكة فعيّن مأموراً لعربان جدة وملحقاتها حتى أحيل على التقاعد.

وكان كثير المطالعة لكتب التاريخ والأدب، جميل الخَلق والخُلق، لطيف المعشر، حلو الحديث، وكانت له أملاك كثيرة في الحجاز ومصر.

ترجمة الملك حسين بن علي

هو الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون من أحفاد الشريف أبي نمي محمد بن بركات.

ولد سنة ١٢٧٠ هجرية في الآستانة، ورجع به أبوه الى مكة وعمره ثلاث سنوات فتعلم القرآن والفقه، وتأدب على علماء مكة في عهده، ومارس الفروسية فأحبه عمه الشريف عبدالله باشا أمير مكة فاعتمد عليه في كثير من المهمات.

ولما آلت الولاية الى عمه الشريف عون الرفيق طلب ابعاده عن الولاية، فنفي الى الآستانة ١٣٠٩ هجرية، حيث عيّن عضواً في مجلس « شورى الدولة » وبقي حتى سنة ١٣٢٦ حيث توفي عمه عون، وعيّن عمه عبد الإله باشا أميراً على مكة غير أنه توفي قبل أن يغادر الآستانة، فعين الشريف حسين أميراً على مكة في ٦ شوال ١٣٢٦. فقدم جدة في ٩ ذي القعدة[1] حيث جرى له استقبال عظيم، ونزل في بيت الوجيه الشيخ محمد

---

(١) وعلى هذا فان التردد الذي ذكرناه في حاشية الصفحة ٤٣ من هذا الكتاب

نصيف، وفرح الناس به لما كانوا يعانون من معاملة الأمير عون.

وفي عام ١٣٢٩ قاد الحملة العثمانية الى عسير - وهذا الكتاب هو تفصيل لها - ولما أراد أعداء الاسلام تشتيت شمل المسلمين ببث الفرقة بين أبنائه باسم القوميات قادت جماعة الاتحاد والترقي حملة تتريك العناصر التي تتألف منها الدولة العثمانية - وقام في البلاد العربية أفراد يدعون لفصل البلاد العربية عن الدولة العثمانية، وكان بعضهم على صلة بالحكومة البريطانية، فتم الاتصال بين الشريف حسين والانكليز بعضها بواسطة ابنه عبدالله مع اللورد (كتشنر) بمصر خلال السنوات ١٩١٢ - ١٩١٥ ميلادية، ومع مستشار السفارة البريطانية (رولاند سبورس)، وختمت بالمراسلات الرسمية مع (هنري مكماهون)، فكانت الثورة في ٩ شعبان ١٣٣٤ - ١٩١٦، ومن ثم كانت القطيعة بين الترك والعرب بعد حكم دام في الحجاز ٤٢٣ سنة.

وقد بذل الكثيرون من أهل الاخلاص جهدهم في الحيلولة دون هذه القطيعة، فمن هؤلاء السلطان عبدالحميد الذي ألزم حكومته بقبول الصلح مع ابن سعود وسحب الجيوش من جزيرة العرب، وعيّن عبدالرحمن الفيصل آل سعود والد الملك عبدالعزيز قائمقاماً على نجد (سالناق ص٦٠١)، وكذلك

للتضارب في ذكر التاريخ بين الطبعة الاولى للكتاب والتعليق عليه، وما ذكره الملك عبدالله في مذكراته، وما ذكره الأستاذ الزركلي في ترجمته للملك حسين والملك فيصل وفي كتاب «شذاء الغرام» قد زال، وإن من أسباب هذا الخلاف وجود الازدواج في التأريخ بين السنوات الرومية والسنوات الهجرية، فإعلان الدستور مثلاً كان في ١٠ تموز ١٩٠٨ رومية الموافق ٢٤ جمادى الثانية ١٣٢٦ هجرية وهو ٢٣ تموز ١٩٠٨ ميلادية.

[ومن المعلوم أنه في هذا القرن هناك فرق ١٣ يوماً بين التقويم الرومي الشرقي والتقويم الغربي] (المحقق).

طلب من والي البصرة الكف عن محاربة قاسم بن ثاني في قطر وسحب الجيوش منها، وعزل والي الاحساء الذي قام بإشعال الحرب وعين الشيخ قاسم قائمقاماً على قطر (سالناق ص٦٠٠)، وقد رضي آل سعود، وآل ثاني بهذا الحل.

وكذلك ما قام به علماء الاسلام في الدولة العثمانية وفي البلاد التي كانت تحت حكم المستعمر كالهند وغيرها، حيث ألفت فيها جماعات لهذا الغرض، ولكن العدو كان أكثر تنظيماً وأقوى عدة فلم يكتب النجاح لهذه الجهود، والله غالب على أمره.

وانتهت الحرب العالمية الأولى بالنصر للحلفاء - والملك حسين وجيشه العربي منهم - وكانت حصيلة هذا النصر بالنسبة للعرب وضع بلادهم تحت الانتداب الفرنسي والبريطاني، وإيجاد وطن لليهود في فلسطين.

وأرسل الشريف حسين في سنة ١٩١٨ جيشاً بقيادة ابنه عبدالله الى نجد لجعلها تابعة لدولته، غير أن أتباع ابن السعود باغتوا الجيش في «تُربَة» فانهزم القائد وضاع الجيش.

وبعد أن ألغى كمال أتاتورك وبقايا جمعية تركيا الفتاة الخلافة دعا الحسين لنفسه بالخلافة سنة ١٩٢٤.

ومنع حجاج نجد وعربان شرقي الطائف من أداء فريضة الحج، وأرسل جيشاً الى ملاقاتهم، وكان أن انهزم الجيش واحتلت الطائف فطلب عودة حلفائه الانكليز فلم يستجيبوا له. واجتمع أهل الحل والعقد في جدة وطلبوا اليه التخلي عن الملك ففعل[1]، وانتقل الى جدة، ومنها الى العقبة عند ابنه

---

١ [تنازل عن الحكم لابنه علي الذي انتخب ملكاً].

عبدالله أشبه أولاده به وذلك سنة ١٣٤٣ ـ ١٩٢٤ فكان آخر من حكم مكة من الهاشميين[١]

ثم رحل بعد أشهر الى جزيرة قبرس، ومرض هناك، ثم عاد الى عمان حيث وافته المنية ١٣٥٠ ـ ١٩٣١، ودفن في القدس رحمه الله.

---

(١) [بل يعدّ ابنه علي هو آخر من حكم مكة من الهاشميين، وقد انتقل الى جدة بعد أن دخل آل سعود الطائف ثم تابعوا زحفهم نحو مكة فدخلوها عام ١٣٤٣، ثم اتجهوا نحو جدة فحاصروها سنة كاملة، استسلمت بعدها اثر اتفاق انسحب بموجبه الملك علي بن الحسين منها، واتجه الى العراق حيث بقي فيها بجانب أخيه فيصل الذي أصبح ملكاً على العراق]. (المحقق).

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان الا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وأحزابه المؤيدين بالنصر المبين، في كل وقت وحين.

أما بعد: فيقول الفقير الى الله تعالى: شرف بن عبدالمحسن البركاتي الحسني: إن الدهر أكبر واعظ للمتقين، وأنفع مذكّر للمتذكرين، مهما أمعنوا فيما كتب من الحوادث على صحائفه، وأجالوا بصر الفكر في عجائب تقلباته وتقلبات عجائبه، ولما لم يكن الاطلاع على خطبه البليغة الاّ لمن شهد حوادثه أو قرب ممن شاهدها، حتمت الانسانية على المحبين لنفع أبناء جنسهم تسطير حوادثه ذوات الشأن، وتبيينها في المصنفات أتم بيان، ليكون الناس سواسية في الاطلاع على زواجر الدهر المخبوءة في حوادثه، ونصائحه المبثوثة في غرائبه.

لذلك أردت أن أضع هذا المؤلف أبيّن فيه خبر «الثورة اليانية» التي أجّج نارها «الادريسي» وأطفأها الله تعالى على يد مؤسس دعائم الأمن ومشيد قصوره، حامل لواء السكينة، وباث روح الطمأنينة، مولانا وسيدنا

صاحب الدولة والسيادة الشريف حسين باشا أمير مكة المكرمة[1].

حتى يعرف الناس كيف يدعو زعماء الفتن الى الباطل باسم الحق، وكيف يتزيا البغاة المارقون بزي المصلحين الصادقين، ليكونوا على بصيرة من غوائلهم، ولا يرموا بالأنفس الى حبائلهم، وليقلع بسطاؤهم عن الاكتفاء بظواهر أولي التلبيس، وليتعودوا العبور الى بواطنهم وسبر غورهم. فكم من مهلكةٍ جرّ اليها الاكتفاء بالخبر عن الخبر، وكم من هوةٍ أسقط فيها الاغترار بالمظهر.

والله أسأله أن يكفي الأمة الاسلامية خِدَعَ الخونة المدلسين، وأن يؤيد دولتنا العلية العثمانية بدوام نصره المبين، وأن يديم خليفتنا الأعظم، وحامي حوزة هذا الدين المكرم، ناصر أهل الحق وقامع أهل البغي والعناد.

مَولانَا السُّلطان محمَّد الخَامِس رشَاد

محروساً بعين العناية الأزلية، وظلاً ظليلاً تأوي اليه سائر الأمة المحمدية، إنه تعالى ولي ذلك ومُوليه، ومانحه ومعطيه.

---

(١) هو الذي قام بالثورة على الدولة العثمانية في ٩ شعبان ١٣٣٤، وسمي بعدها بالملك حسين، وتنازل لابنه الملك علي في ٥ ربيع الاول ١٣٤٣، وكانت وفاته في عمان سنة ١٣٥٠ بعد أن بقي منفياً في جزيرة قبرس بضع سنين- رحمه الله.
[الدولة العثمانية أصبحت تركية بعد أن سيطر عليها دعاة القومية التركية عام ١٣٢٦ هـ] (المحقق).

المحقق في سطور

هو عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد بن الياس.

- ولد في حي (المشيّع) أحد أحياء مدينة أبها عام ١٣١٢ هـ، ويعود في أصوله الى بلاد الشام، حيث كان جده أحمد الياس قد قدم من دمشق في عهد الأمير عائض بن مرعي، والتحق في خدمته.

- توفي والده عبدالرحمن أثناء أدائه فريضة الحج عام ١٣١٦ هـ، وترك خلفه ابنه عبدالله هذا بين أحضان والدته وأخواله ولم يتجاوز الرابعة من العمر.

- التحق بمدرسة (المشيّع) لتعلم قراءة القرآن والفقه وأمور الدين حيث كانت تلك المدرسة تعتني بذلك، وهي مدرسة أهلية يقوم عليها بعض أهل العلم اذ كان الأتراك قد سيطروا على المنطقة وغاب عنها من كان يتعهد مثل هذه المدارس التي تقوم للعلم.

- تحوّل الى المدرسة الحكومية التي أسسها المتصرف سليمان شفيق باشا عام ١٣٢٥، وهي المدرسة الأولى والوحيدة التركية في المنطقة، وتقوم على تعليم أبناء الموظفين الاتراك وبعض أبناء البلاد، وكان مديرها (عارف

أفندي) ثم انضم ا. و محمد بن هشلول ، وموسى كنعيص بناء على رأي الامير عبدالله بن محمد ال. ء ئض الذي أصبح معاوناً لمتصرف عسير ، واستمرت هذه المدرسة في تأدية ر جبها حتى حدث الخلاف بين المتصرف وآل عائض. ثم افتتحت المدرسة ،،، إنهاء الخلاف وأيام المتصرف الجديد علي حيدر بك ، ولكنها نقلت الى . ربي قصر (شدا) مكان مدرسة البنات الحالية ، وعين لها أساتذة منهم : . ب أفندي ، وزكي شهاب ، وفي عهد المتصرف محيي الدين باشا أسند أمر ال .راف على هذه المدرسة الى علي توفيق المفتي الذي يعود في أصله الى بلا . شام أيضاً.

- نال شهاد . لتعليم عام ١٣٣٤ ، وعيّن كاتب قيد في محكمة أبها الشرعية التي كا. ن قضاتها مولودضيـــاءالدين ، ومحمد رؤوف من الشام.

- عيّن بوظ .، كاتب رسائل متمرن أيام الامير حسن بن علي آل عائض وابن عمه محمد ر عبدالرحمن آل عائض وذلك عام ١٣٣٦ .

- عيّن مدير لإدارة رسومات مالية أبها عام ١٣٤٢ وذلك في العهد السعودي.

- انتقل الى .رياض عام ١٣٥٧ وعيّن بوظيفة كاتب بالديوان الملكي بالشعبة السياسـ واستمر في عمله هذا مدة عامين كاملين.

- عاد الى .. عام ١٣٥٩ وعيّن مراقباً للزكاة بمالية أبها وانتقل الى إمارة أبها بوط .. كاتب تحرير.

- أحيل د .لتقاعد ،

- يعمل ا. على تدوين مذكراته.

نسب الادريسي ومولده
ومنشؤه واحياؤه لهذه الفتنة

هو محمد بن علي ابن المولى الجليل السيد أحمد بن ادريس الذي تنسب اليه الطريقة الادريسية، ولد السيد أحمد بن ادريس ببلدة من أعمال مراكش بالغرب[١] وتربى فيها، ثم هاجر الى مكة المكرمة، وأقام بها[٢]، فإنه كان من فحول العلماء العاملين، والصوفية المحققين[٣]، أخذ عنه أهل الحرمين الشريفين العلوم الجمة، ودخل أكثرهم في طريقته[٤]، وممن أخذ عنه طريقته

---

(١) هو من أهل فاس، ولد عام ١١٧٢ هـ في إحدى قرى فاس وهي (ميسور)، ويرفع نسبه الى الامام ادريس بن عبدالله المحض من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب [المحقق].

(٢) أقام بمكة حوالي ثلاثين عاماً [المحقق].

(٣) الصوفية تدعو الى الزهد في الدنيا، وفي الوقت نفسه تصرف الأمة عن الجهاد، وترفع مشايخها الى مراتب عليا، وتدعي الكرامة لهم، حتى يصل الأمر الى الخرافات والأساطير وأعمال الشعوذة، وعند بعضهم الى رفع التكاليف. وقد أفسدت على أتباعها دينهم ودنياهم وأخراهم [المحقق].

(٤) فيه الكثير من المبالغة، ويبدو أن المؤلف حاول المبالغة لاظهار عدم التطرف والموضوعية، وعدم الحقد، أو للتباين بين الرجل وحفيده [المحقق].

وهو بمكة السيد محمد السنوسي المتوفى بالجغبوب[1]، التابعة لمتصرفية بني غازي، من أعمال ولاية طرابلس الغرب.

ثم رحل السيد أحمد المذكور الى قائمقامية (صبيا)[2]، التابعة لمتصرفية عسير[3]، وأقام بها حتى توفي بها عن أولاده، السيد عبدالمتعال، والسيد علي، وكانا على نهج والدهما في التقوى، والعلم، فانتشر صيتهما حتى ملأ تهامة والحجاز، ثم توفي السيد علي ودفن مع أبيه السيد أحمد وله عدة أولاد، منهم زعيم هذه الفتنة ومؤجج نارها.

هكذا نسبه بعض من ترجم له من علماء الحفاظية، والصحيح أنه: علي ابن مجثّل بن مسفر بن محي بن عوّاض الناجمي المغيدي، وقد وقع الخطأ في

---

(١) جغبوب: واحة ليبية قرب الحدود المصرية، من مراكز السنوسية المشهورة [المحقق].

(٢) نزل بصبيا عام ١٢٤٦ هـ [المحقق].

(٣) كانت عسير يومذاك تحت امرة علي بن مجثل بن مسفر بن عبدالرحمن الذي يلتقي مع عائض بن مرعي بالجد الرابع وكان عامله على صبيا وقتذاك محمد ابن علي بن خالد الحازمي، وقد سمح ابن مجثل للادريسي بالإقامة في صبيا رغم التباين بين الرجلين، فابن مجثل سلفي والإدريسي صوفي وقد اعترض يومذاك على تصرفات الإدريسي بعض الطلبة، ورفع الأمر الى أمير عسير بن مجثل، فأخبر الأمير عامله على صبيا محمد بن علي بن خالد الحازمي مستوضحاً أوضاع الإدريسي وما ينسب اليه من دعوى الكرامات، فنفى العامل ذلك اذ استطاع الإدريسي ان يخفي حقيقته وأن يموه على الوالي. ثم سار الامير الى أبي عريش لحصارها وفي طريقه مرّ على صبيا والتقى بالإدريسي أيضاً. وعقد مناظرة علمية بين خصومه وأنصاره والادريسي يوجه أنصاره، وقد تمكّن من اظهار غير حقيقته، وقد خصص له الامير راتباً شهرياً من عائدات جيزان، وتوفي الادريسي عام ١٢٥٣ هـ [المحقق].

أنهم نسبوه الى جد أبيه من أمه، ونتج ذلك عن أن جد أبيه يحيي بن عوّاض تزوج ترابة بنت الأمير عبدالرحمن بن علي بن عبدالله، الجد الخامس للأمير عائض بن مرعي، فولد له منها مسفر الذي نسب الي جده لأمه «ترابة» وخلّف مسفر ولدين هما: مسلط، ومجثل، وتزوج مسلط عائشة بنت محمد عمة الأمير عائض بن مرعي فأنجبت له سعيداً أمير عسير ١٢٣٣ - ١٢٤٢، وتوفي مسلط عنها فتزوجها بعده أخوه مجثل فأولدها علياً المذكور أمير عسير ١٢٤٢ - ١٢٤٩، وعرفت أسرته بآل ترابة نسبة الى جدته المذكورة.

ولم يكن لسعيد بن مسلط عقب. وفي عسير اليوم أسر تحمل اسم (آل مسلط) و(آل مجثل) ولا يمتون الى هؤلاء بصلة سوى الانتماء الى قبيلة بني مغيد بن أسلم بن عمرو.

محمد بن علي[1] الادريسي، وقد تربى هذا الناكب عن جادة سلفه الطاهر، بصبيا: ثم قدم مكة عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية، وأقام بها عدة شهور، ثم قصد مصر لتلقي العلوم بالأزهر الشريف، وأقام بها ست سنوات، وفي خلالها اختلط به لفيف من المفسدين الذين يخدمون سياسة دولة ايطاليا، وأظهروا له الصداقة والمحبة، وأنهم من المنتسبين الى طريقة جده، ولم يزالوا به حتى مال اليهم بكليته، وجعلهم من أخلص أصدقائه، فزينوا له استيلاءه على اليمن، واستحواذه على امارة عسير وتهامة، ووسوسوا اليه بأن الدولة العلية ظالمة طاغية مجحفة، ولا سيما بأهل اليمن، ولا بدّ أن يزول ظل هذه الدولة عن هذه الولاية، وتستولي عليها دولة أجنبية فأنتم أولى بأوطانكم، فأشرب قلبه من هذه الوساوس

---

(١) علي تزوج من امرأة هندية فأنجبت له محمداً هذا عام ١٢٩٣ هـ، أما أم علي فهي امرأة من السودان [المحقق].

السقيمة الشيطانية ، وعزم على محاربة الدولة حتى مكنته الفرص[1] ثم سافر مسرعاً الى مقره الأصلي صبيا[2] ، وابتدأ يبث الفتنة في اليمن[3] ، ويتحيّن الفرص المناسبة لنفوذ أغراضه ، ولم يزل كذلك حتى اذا هبت زوابع الفتن في داخلية البلاد العثمانية حين انقلبت الحكومة دستورية ، واشتغلت بإطفاء الفتن الداخلية كفتنة الدروز[4] ، والارناؤوط[5] ، والامام يحيى[6] الثائر بصنعاء ظن أن هذا الوقت هو الذي كان يترقبه والأوان الذي كان ينتظره ، لشن الغارة على الدولة العليا ، وادراك أمنيته التي سافر لأجلها من مصر ، فقام في وجه الدولة يؤلب عليها النفوس ، ويجمع لها الجموع ،

---

(١) كانت هذه المنطقة في حرب دائم مع الدولة العثمانية وخاصة آل عائض أمراء عسير ، وذلك منذ أن تمكن الأتراك من السيطرة على مدن عسير وقلاعها ، وقتل الامير محمد بن عائض عام ١٢٨٩ هـ [المحقق] .

(٢) سافر قبل ذلك الى واحه الكفرة في ليبيا مركز الدعوة السنوسية ، وانتقل منها الى السودان الى بلدة (أرجو) من قرى دنقلة حيث تزوج من هناك ، وانتقل بعدها الى صبيا [المحقق] .

(٣) اليمن : يقصد بها تهامة عسير ويطلق أحياناً على المنطقة كلها اسم اليمن [المحقق] .

(٤) الدروز : جماعة تسكن بلاد الشام . وتتركز في جبل حوران الذي أصبح يعرف باسم « جبل الدروز ، وفي سفوح جبل الشيخ . ووادي التيم في حاصبيا وراشيا وحوب جبل لبنان . وأعداد موزعة في جبال الجليل في فلسطين وبعض القرى المجاورة . وهم يقولون بألوهية الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي » . [المحقق] .

(٥) الارناؤوط : اسم يطلق على الألبان [المحقق] .

(٦) الامام يحيى : هو يحيى حميد الدين الذي حكم اليمن حتى قتل عام ١٣٦٧ . وتولى ابنه أحمد من بعده ثم ابنه البدر . وزال حكم هذه الأسرة عام ١٣٨٠ بإعلان الجمهورية على يد المشير عبدالله السلال [المحقق] .

ويجيش لحربه الجيوش[1]، وعندما شعرت الدولة بأمره، أرسلت اليه وفداً ليتعرف مقاصده، وجعلت رئيس هذا الوفد الشيخ توفيق الارناؤوطي، أحد رجال الطريقة السنوسية، وكان يرجو أن يتم على يده عقد الاتفاق بين الدولة والادريسي، على ما فيه صلاح البلاد والعباد، وأرسلت الدولة مع الوفد جيشاً تحت قيادة سعيد باشا الى جيزان، ميناء صبيا، وتبعد عنها بنحو ساعات للراجل، ولما وصل الجيش الى جيزان أقام بها، وتوجه الوفد مع رئيسه الشيخ توفيق الى صبيا لمقابلة الادريسي واستكشاف خبره، فلما التقوا به عمّق عليهم أمره بدهائه وأخفى عليهم ما تكنه نفسه. وأظهر لهم أنه ليس بثائر، وأنه لا يريد الاّ الاصلاح ما استطاع، ولم يزل يموّه عليهم حتى اعتقدوا صدقه، وتيقنوا إخلاصه للدولة ولما آنس انخداع الوفد بزخارفه وتصديقهم لقوله، طلب منهم حضور سعيد باشا قائد الجيش لينظر بنفسه اخلاصه، وجماعته، للدولة ولأمير المؤمنين، فلبى الشيخ توفيق، وأرسل رسولاً الى سعيد باشا ليحضر الى صبيا، وعند ذلك أصدر الادريسي أمره الى من التف به[2] من قبائل العرب وهم اذ ذاك نحو خمسة آلاف رجل أن يخرجوا لمقابلة سعيد باشا، ويظهروا له التعظيم والاجلال، ويعلنوا اخلاصهم لأمير المؤمنين[3]، حتى يغتر به القائد كما اغتر الوفد، فلما أقبل القائد عليهم صاحوا صيحةً واحدة، اللهم انصر أمير المؤمنين السلطان محمد

---

(١) لقد بدأ الادريسي دعوته بالوعظ والارشاد حتى اكتسب عدداً من الاتباع من البسطاء، كما كسب عدداً من الأنصار بإغرائهم بما حصل عليه من أموال من ايطالية. [المحقق].

(٢) التف به: التف حوله [المحقق].

(٣) يقصد من هذا المظهر اظهار قوته حتى لا تفكر الدولة في ابعاده، كما يقصد من ذلك ومن ابداء اخلاصه لجعل الدولة تفكر في تسليمه أمر قائمقامية صبيا بل ربما امارة عسير [المحقق].

رشاد فلم يرتب سعيد باشا حين ذلك في اخلاص الادريسي ، وأيقن أنه لا يتم اصلاح اليمن الا على يد هذا الرجل.

ولولا هذه الخديعة التي خدع بها الوفد وقائد الجيش معاً لكان في امكان سعيد باشا احتلال صبيا وضبط الادريسي ، فان سلطته في هذا الوقت لم تكن تخطت قائم متامية صبيا (ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً)[1].

ولم تقف مخادعة الادريسي لهم عند هذا الحد ؛ بل ما زال يظهر لهم أنه مخلص للدولة وخادم لأمير المؤمنين ، ولا قصد له الا اصلاح اليمن ، وتهذيب اخلاق أهله وبث العلوم في أجزاء تهامة حتى يكونوا أكبر عون للدولة العلية وأظهر لهم انه متعهد بمد الأسلاك البرقية والسكك الحديدية ،الى غير ذلك من دعاويه المزخرفة[2].

ولما آنس أن أظفار خداعه قد علقت بهم ، وأن زخرفه قد راج عليهم طلب منهم إحضار سليمان باشا متصرف عسير حتى يكون هو واياه يداً واحدة على اصلاح اليمن ويزول سوء التفاهم من بينهما ، فلم تفطن الجماعة لمكيدته بل سارعوا لإجابة دعوته ، وأرسلوا رسولاً من قبلهم الى أبها عاصمة عسير لاحضار سليمان باشا[3] الى صبيا - وبينها وبين أبها سبعة مراحل - .

---

(١) سورة الانفال من الآية ٤٢ .

(٢) كانت المنطقة في هذه المدة - مع الأسف - متأخرة ، وخالية من المصلحين ، اذ لم يكن فيها الا بعض السادة الأشراف الذين حاولوا العمل على النهوض بالمنطقة ، ولكن دهاء الإدريسي مكّنه من التخلص منهم. [المحقق].

(٣) سليمان باشا : سليمان شفيق الكمالي : كان متصرف عسير من ١٣٢٦ - ١٣٣١ هـ وقائد حامية أبها ، وقد تم حصار الأتراك في أبها وهو المتصرف ، وبعد أن انتهى عمله من عسير انتقل الى سوريا ، ثم أصبح والي البصرة وقائد الفيلق العثماني فيها عام ١٣٣٢ هـ ، وأخيراً تسلم وزارة الحربية [المحقق].

فحضر سليمان باشا على كره منه، فلما تمّ اجتماعهم طلب الادريسي ان ترفع الدولة العوائد القديمة، وتقنع بالزكاة الشرعية من المحصولات الزراعية والمواشي وأن يكون هو المكلف بجمع الزكاة على أن يكون له في نظير ذلك الثلث منها، والتزم أن يؤلف جيشاً من الوطنيين لحفظ الوطن، ولما تمّ الاتفاق على ذلك طلب الادريسي من سعيد باشا أن يكتب عقد الاتفاق ويُمضى[1] من الباشا ومنه، وأن يرسل الباشا لكافة القبائل من تهامة الى عسير يأمرها فيها بأن تكون خاضعة لأوامر الادريسي حتى يتمكن من الاصلاح الحقيقي وجمع الزكاة[2]، ومدّ الاسلاك البرقية والسكك الحديدية، متى طلبت الدولة ذلك، فانخدع القائد والوفد واستحسنوا ذلك، وأجابوه الى ما طلب.

ثم سافر سعيد باشا بجيشه الى صنعاء للانضمام الى الجيش المحارب للامام يحيى وسافر الوفد، فصفا الجو للادريسي، وجعلت سلطته تمتد يوماً فيوماً، ودارت المخابرات بينه وبين الذين على شاكلته بمصر بواسطة وكيله المقيم في مصوع[3] وجعل يرسل الكتب لكافة مشايخ قبائل تهامة وعسير يظهر لهم فيها خلاف ما أبداه للوفد، وبدأ بتأليف عربان تهامة حتى اتحدوا معه، وصاروا طوع أمره في أسرع وقت وذلك لاعتقادهم الصلاح والتقوى في سلفه، وظنهم أنه على منوال آبائه[4]. ومما زادهم لأمره انقياداً، وقواهم

---

(١) يُمضى: يوقع
(٢) كانت الدولة قد عينت الإدريسي قائمقام صبيا وأبي عريش [المحقق].
(٣) مصوع: ميناء في ارتيريا، وكان في السابق يتبع امارة آل عائض في عسير عن طريق واليهم على جزر (دهلك) في البحر الأحمر والمنابلة لميناء مصوع وهو حبشي بن موسى [المحقق].
(٤) لما شاع خبر ثورة الإدريسي، وذكرت له الكرامات - حسب أهواء العوام

فيه اعتقاداً . ما أظهره لهم من الألعاب التي حسبوها لبساطتهم كرامات . بل ظنها الكثير منهم معجزات . وها أنا أتلو عليك من نبأ ذلك :

بينما هو ذات ليلة اذ طلب كافة من حضر من العربان ، وهم جمّ غفير ، وكان عنده صندوق الكهرباء المحرك للأعصاب عند المس ، فأخرج من داره الحبل المتصل بالصندوق الى المكان المحتشد فيه الجمع ، وأمر بعض أعوانه أن يغري بعض رؤساء القبائل على أن يمسك القبضة النحاسية التي في طرف الحبل المتصل بالصندوق الداخلي ، فلما أمسكها اختلجت أعصابه فقبض عليه آخر ليخلصه فسرى اليه التأثر الكهربائي كما هي العادة ، فأخذ الحاضرون العجب وصاحوا : المدد يا ادريسي ، أغثنا ، فعندها بطلت حركة الصندوق ، ثم انه خرج من منزله ، ووقف مع الجمع برهة لأجل أن يتبركوا به ، ثم قال لهم : ان ميعاد نزول الوحي عليه قد قرب ، وأمرهم بالجلوس

وكانت الحكومة العثمانية ـ بادارة الاتحاد والترقي ـ قد أخذت تعمل بقوانين أوربا في المحاكمة ، وذكر عن رجال الدولة أخذهم للرشوة . ومخالفتهم للشريعة الاسلامية .

وقام من يروج عن الإدريسي انه من العلماء الصالحين ، وأنه متبع للكتاب والحديث والعمل بهما ، ففرح الناس بثورته وكان عندنا في جدة عالم من الأزهر يدرس بمدرسة الفلاح . اسم الاستاذ علي الطيب المصري المدني قال : انه درس في الأزهر مع الإدريسي ، وبينهما مكاتبات . واطلعني على كتاب بخط الإدريسي يقول له فيه : « أترغبون أن أحج في هذا العام؟ » يا أخي كيف أترك قبر سيدي أحمد بن ادريس؟ فاني لا أرضى به بديلاً . وقد قلت فيه هذه القصيدة » . وقد اطلعت على القصيدة فوجدتها مشتملة على الغلو العظيم في مدح جده أحمد . ولا يستغرب اعتقاده أن البناء عند قبر جده أفضل من حجه الى بيت الله فان هذا النوع من التصوف قد جمع من مخالف الأديان والملل والأهواء ولا حول ولا قوة الا بالله .

لشاهدة أنواره . ودخل داره مظهراً إرادة الخلوة وكان قد مدّ سلكاً في جوف الأرض أحد طرفيه متصل بصندوق تيار كهربائي في منزله ، والطرف الآخر يتصل بأنبوبة على بعد ثلاثة آلاف متر تقريباً فلما دخل ضغط على الزر الموجب لانبعاث الكهرباء الى الأنبوبة ، فظهر لهم الضوء منها ثم اختفى ، وصار يكرر هذا العمل حتى رسخ في أذهانهم البسيطة وقلوبهم الساذجة أنه المهدي . وأن هذا النور مرسل اليه من الله لكونه أبيض بخلاف ضوء الغاز الذي يعهدونه ، الى غير ذلك مما ماثلها ، وأضاف عليها مريدوه أن الادريسي منع الذئب عن افتراس الغنم . وأن الزاني حين وقوع الزنا يلصق بالزانية ، وأن سيف الادريسي يقطع رأس عدوه من مسافة أميال ، وأن رصاص الاعداء لا يؤثر في قومه وأعوانه .

فانبثت تلك الخرافات وهذه الخزعبلات في أنحاء اليمن وتهامة ،وليتها وقفت عند ذلك بل تجاوزت البحر الأحمر حتى وصلت الى مصر مقر أعوانه الذين هم رأس كل مصيبة على الاسلام ، فزادوها انتشاراً ، وصاروا يتحدثون بها في كل ناد ، ظانين أنه بواسطة هذه الحركة يتم فتح إيطاليا لليمن[1] .

ولما تمت السيطرة على تهامة رتب من قبله أربعة أمراء :

الأول : السيد محمد بن خرشان ، جعل مركزه وادي (يبا) لجمع الزكاة .

---

(١) يقصد سقوط اليمن بيد ايطالية . اذ نقول : (فتح) عندما ينتقل البلد من أيد ظالمة غير مؤمنة الى أيد طاهرة مؤمنة ، اذ نقول : فتح مكة ، فتح دمشق ، فتح الأندلس عندما انتقلت من أيدي الكفار الى أيدي المسلمين ، وعكس ذلك اذ نقول : سقوط اذ نتحدث عن سقوط بغداد بيد المغول ، وسقوط الأندلس على يد النصارى الاسبان و . . . وكانت ايطاليا على الطرف الآخر من البحر الأحمر اذ دخلت ارتيريا منذ مطلع القرن [المحقق] .

والثاني: ابن عرار، وجعله على قائم مقامية (محايل) و(بارق).

والثالث: السيد مصطفى[1] جعله على جبل عسير[2].

والرابع: السيد الفصال، جعل مركزه (المخواه)[3].

إلا أن هذا الأخير طرد من تلك الجهة لأنها أقرب الى مكة المكرمة، وأهلها موالون لدولة أمير مكة، ولم تتمكن منهم الخرافات.

وعندما آنس الادريسي في نفسه القوة شرع في محاربة الدولة وطردها من لواء عسير[4]، وكلف عامله مصطفى[5] بالتوجه الى جبل الحجاز[6] بجنوده

---

(١) السيد مصطفى: هو مصطفى المغربي [المحقق].

(٢) جبل عسير: والصحيح على رجال ألمع فقط، اذ أن جبل عسير لم يكن فيه اتباع للادريسي، وانما كانوا جميعاً أتباع لأمراء آل عائض بل ومعظم رجال ألمع [المحقق].

(٣) هذه المناطق كلها لم يكن للادريسي فيها سلطة، وانما افراد من الأتباع، ولم يرسل هؤلاء أمراء بمعنى الولاة، وانما أرسلهم دعاة له، لنشر الدعاية له، حتى يكون له أعوان في هذه المناطق يساعدونه عندما يفكر بمد سلطانه اليها وبث نفوذه، وليكونوا عوناً لهم في حروبه التي يخطط لها.[المحقق].

(٤) لواء عسير: لم يكن للادريسي من أي نفوذ في عسير، وانما كان لآل عائض، وكانوا يحاربون الدولة التي أسقطت امارتهم، وسيطروا على الجهات كلها، ولم يبق للأتراك من سيطرة الا على بعض المدن والقلاع، وقد اضطرتهم الظروف للتفاهم مع الجوار الذين جميعاً يرغبون في زوال الحكم العثماني على المنطقة، ولكن بعضهم يظهر لها الطاعة كأمير مكة، وبعضهم يعلن الثورة عليها كامام صنعاء. وقد أسرع الادريسي للتفاهم مع آل عائض لخطة في نفسه وعمل الطرفان معاً لقتال الأتراك وحصار أبها، وأسرع قائده مصطفى النعمي الى أبها للمساعدة في حصارها الى جانب آل عائض.

(٥) هو مصطفى المغربي.

(٦) جبل الحجاز يقصد به هنا الأطوار المشرفة على بلاد رجال ألمع [المحقق].

أهل تهامة وبضرب القبائل التي لا تطيع أمره ، فبدأت الجيوش ترحف ، فأطاعه بعض القبائل بلا حرب ، وحاربه البعض فكانت له الغلبة عليهم ، وملكهم بالقوة .

وبعد ذلك أصدر أمره للعامل المذكور بمحاصرة أبها عاصمة عسير ، فابتدأها بالمحاصرة في شهر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة .

وما زال يعيث في اليمن حتى اتسع خرق الفتنة ، وتشتتت عساكر الدولة من جميع الجهات ، ولم يبق منها سوى المحاصرين بأبها ، ومعهم المتصرف سليمان باشا ؛ فشددوا عليهم الحصار ، ومنعوا عنهم المأكل والمشرب وجميع الأرزاق حتى أكلوا المرر والكلاب ، ومات أكثر العساكر جوعاً ، واستمر الحصار مدة عشرة أشهر .

وعندما شعر دولة أمير مكة ببلوغ الادريسي الى هذا الحد من الافساد ، وأن ذلك بجر اليد الاجنبية الى الامتداد الى لواء عسير[1] ، أرسل له الرسل بالنصائح التي يفرضها الاسلام ، واطراح هذه القلاقل ، وأنه متعهد له بجميع ما يطلب ، فلم يزدد الا عتواً ونفوراً ، ولما خاف دولة أمير مكة ـ حفظه الله ـ من استفحال الأمر ووخامة العاقبة خاطب الدولة العلية في أن تلفت أنظارها الى هذا الثائر الباغي .

فرأت الدولة العلية ـ حرسها الله ـ أن تلقي فك هذا المشكل على كاهل دولته ، لما عهدت فيه من الهمة التامة في توطيد دعائم الأمن ، والعزم الماضي في قمع ثورة الثائرين ، وقطع دابر المفسدين ، فأصدر أمير المؤمنين أمره

---

(١) اليد الاجنبية : يقصد بها ايطالية التي كانت من وراء الادريسي ، وكان الجميع يعرفون نواياه في السيطرة على عسير ، وما اتفاقه مع آل عائض الا خطة منه يخفي وراءها اغتنام الفرصة وفرض السيطرة على المنطقة . [المحقق] .

الشاهاني الى دولته بالتو .. نفك حصار أبها . واستئصال شأفة الادريسي ، ور جاله المفسدين فامتثل الأ مر الشاهاني[1] وجمع جيشاً مؤلفاً من الأشراف والعرب ... قبائل: عـ . . ومطير ، وابن الحارث ، والبقوم ، وسبيع ، وقبائل حرب ، وانما خص . هؤلاء القبائل بالتوجه معه لأنهم فرسان مدربون .

وهؤلاء سوى الجيش ... نظم الذي سار مع دولة الأمير ، وهو مؤلف من جند « جندرمة » وجند ... [2] .

ولم يقم حفظه الله حر... ب عنه في تولي ادارة شؤون امارة مكة سيادة

---

(١) وافق الشريف حسـ... ير مكة للقيام بهذه المهمة بل هو رغب ذلك بمخاطبة الدولة العلية في نفسه ... تغطية موقفه أمام الدولة هذا الموقف الذي بدأ يكشف بأنه يخفي عـ . . للدولة ، وأنه يريد التفاهم مع الجوار لمحاربتها . وأنه يعدد الاتفاق مع الـ ... نفس ، وانه يرغب في الاستقلال عن الدولة وتوسعه مناطق نفوذه على ... جيرانه .

٢ - الظهور ... لقوة سواء أمام الدولة لتزيد في اعطائه السلاحات فتزداد قوته ،أم أمام ... رب لترتفع مكانته عندهم ،أم أمام الجوار حتى يخافونه وتضعف معنوياتهم ا... حربوا في حرب معه ، وهو مقتنع أنه سيقوم بهذه الحرب لضم المناطق الأخرى ... .

٣ - التعرف ... المنطقة ليسهل عليه القيام بعمليات عسكرية في المستقبل . ولكسـ... ـناً له بما يقدم لهم من أموال ومعونات وخدمات وبعضه ... حركته هذه ، ومن هنا كانت كتابة هذه الرحلة . وما اصطحبه من ... لهذا الغرض اذ كانت نواياه في المنطقة تشبه نوايا الإدريسي . وكل ... ن يسبق ويفرض نفوذه على عسير ولكن يخفي هذا [المحقق] .

(٢) وكان الجيش النظ... في الجهر بالمدافع والخطط الحربية العامل الأول في كسر شوكة القبائل ... ـة الإدريسي ، ولولا ذلك لما استطاع الشريف حسين التقدم في تلك الـ...

نجله الأكبر صاحب العطوفة والسيادة الشريف علي بك[1] - حفظه الله وقد سار عطوفته في ادارة شؤون الامارة سير دولة والده ولا عجب فهذا الشبل من ذلك الأسد. وقد اعتنى - حفظه الله - بالمحافظة على الأمن في جميع طرقات الحرمين الشريفين، خصوصاً الطريق التي بين مكة والمدينة، كما أن دولة والده قام بما كلف به من جهة الدولة العلية أحسن قيام على ما سيأتيك بيانه.

(١) الملك علي بن حسين - ملك الحجاز فيما بعد - المتوفى سنة ١٣٥٣ هـ.

تفصيل الحركة الميمونة لدولة الأمير حسين باشا أمير مكة المكرمة

لإطفاء هذه الفتنة ، وما آل إليه أمر الإدريسي وجنوده وذكر قبائل تهامة والحجاز وبلاد الحرمين تفصيلاً

كان قيام دولة أمير مكة وجيشه المنصور من مكة المكرمة ، يوم الأحد السادس عشر من شهر ربيع الثاني سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، الساعة التاسعة نهاراً ، ولم يزل سائراً حتى وصل الى بلاد (العُكيشيّة) في الساعة الأولى من ليلة الاثنين ، وهذه البلاد هي بلاد أسرة المرحوم الشيخ « الشُبحي » من أهالي مكة ، وبات الأمير والجيش بها ، ولم يقوموا منها الا منتصف الساعة التاسعة من يوم الاثنين ، ولم يزل سائراً بالجيش حتى وصل الى محطة « البيضاء » في منتهى الساعة الثانية من صباح يوم الثلاثاء ، وهي المرحلة الاولى من مكة المكرمة من جهة اليمن ، وبالبيضاء دبار الأشراف الحمودية ، من أشراف العبادلة ، وبها بئر ذات ماء عذب غزير ، وهي في الجهة الجنوبية لمكة ، ثم نهض منها بجيشه منتصف الساعة الثانية من ليلة الاربعاء ثامن عشر ربيع المذكور ، وأصبح وهو بمحطة السعدية[1] ، وهي المرحلة الثانية ، وبها ديار القبائل التي تسمى

(١) أحد المواقيت لمن أراد الحج أو العمرة وهو « يلملم » ميقات أهل اليمن ، وسمي مجدداً بالسعدية :

الجادلة ، وبها بئر عذبة الماء ، وواد متسع ذو مرعى ، وفيها وفد هناك على دولة الأمير ثلاثة أشخاص من قبائل غامد[1] وزهران[2] بكتب من كافة مشايخ قبائلهم تتضمن تقديم الطاعة لأمير المؤمنين ، وخليفة رسول رب العالمين ، ولدولة أمير مكة ، وتوفي أحدهم ، ودفن بجوار المسجد الذي هو أحد المواقيت للحرم المكي من الجهة اليانية ، والمسجد مبني على قمة رابية ارتفاعها ثمانية أمتار .

ثم أمر دولة الأمير بالرحيل فنهضنا الساعة التاسعة من يوم الأربعاء ، ونزلنا منتهى الساعة الثالثة ليلاً ، ثم بعد صلاة صبح يوم الخميس الساعة الحادية عشرة سرنا حتى وصلنا الى وادي الخضراء في منتهى الساعة الأولى صباحاً ، وهو المرحلة الثالثة ، وبه قبائل « شعبة » التي هي فرع من قبائل هذيل وقِلنا[3] به ، ووجدنا فيه تحت الأرض أبنية عتيقة ، يصل اليها الانسان من باب معقود بالحجر ، وفي تلك الجهة شمالاً على بعد نحو ألف متر من تلك الأبنية جبل على قمته تمثال شخص يشاع بتلك الجهة أنه تمثال المؤسس لتلك المباني ، وبهذا الوادي بئران ماؤهما عذب غزير ، ثم رحلنا مع دولة الأمير من وادي الخضراء الساعة التاسعة مساء اليوم المذكور ، وهجعنا ليلاً أثناء الطريق ، وبعد صلاة الصبح الساعة الحادية عشرة صباح يوم الجمعة الحادي والعشرين من الشهر المذكور أمر دولة الأمير بالرحيل فسرنا حتى اذا كان منتهى الساعة الثالثة صباح هذا اليوم نزلنا بوادي (الغالّة) وهو لقبيلة تسمى (الزنابجة) ، وبه بئر يقال لها : (الحدادية) ، أنشأها الشيخ

(١) غامد : قبيلة من عسير من أردشنوءة [المحقق] .

(٢) زهران : قبيلة من عسير من أزدشنوءة [المحقق] .

(٣) من القيلولة : النوم وسط النهار .

(أبو خطمة)[1] الذي هو أكبر تاجر في بندر الليث، وأقمنا بهذا الوادي الى يوم الاثنين الرابع والعشرين منه. وكان المكث في هذه المدة لانتظار قدوم القبائل القاطنة بتلك الجهة، حتى تنضم الى الجيش.

ولما انقضى هذا المأرب، أمر دولة سيدنا بالرحيل فنهضنا الساعة الثانية من مساء هذا اليوم: وهجعنا في وادي (الخُرقان)، وهو المرحلة الرابعة من مكة: وبه أراضي قبائل (رحمن).

وبعد صلاة فجر الثلاثاء الخامس والعشرين منه نهضنا ونزلنا منتهى الساعة الثالثة من صباح اليوم المذكور على بئر يقال لها (الكلابية) في الجهة الشرقية من بندر الليث، وهو مركز لقائم مقامية تابعة لولاية مكة، وبالليث قائم مقام من طرف الحكومة، ومأمور من أشراف مكة من طرف دولة أميرنا لحفظ الأمن وجباية الأموال.

وفي هذا المكان هبت علينا رياح شديدة أقلقت راحة الجيش، وسار ماراً بسوق بندر الليث وهي مرفأ على البحر الأحمر وفيها تجار من الحضارمة، وأهل الوطن، وحركة البيع والشراء فيها جيدة وأكثر واردات تلك الجهة الحبوب من: دخن، وذرة بيضاء، والسمن، والغنم، ومنها تصدر الى جدة ومكة. وأبنية منازل بندر الليث باللبن، وبه بعض أبنية بالحجر، وبالبندر المذكور حدائق ونخيل لبعض التجار، ولم نزل سائرين الى منتصف الساعة الرابعة ليلاً، ثم استرحنا، وبعد صلاة فجر الأربعاء السادس والعشرين منه، سرنا ونزلنا في منتهى الساعة الثالثة من صباح اليوم المذكور على ثلاثة آبار يقال لها آبار (نجيعة)، في وادي (الشاقة) الشامية، وهي المرحلة الخامسة من مكة، والوادي المذكور لأشراف ذوي حسن القاطنين

---

(١) هو الشيخ سعد جد الشيخ صالح باخطمة أحد كبار موظفي الشركة.

به. وهو كثير الخيرات يزرع فيه: الدخن والذرة بكثرة. وأرضه جيدة، وهو وادٍ واسع الجوانب يسيل ماؤه على وجه الأرض، يحف به من اليمين والشمال أشجار الأراك، والأثل، والطرفاء، والحمض، يخيل للنادم عليه أنه قادم على غابة عظيمة ممتدة مستطيلة من أعلى الوادي الى أسفله، وماء هذا الوادي ياتي من جبل كبير الحجم، شامخ الارتفاع اسمه (عننْ) وهو ملك لقبائل بني هلال[1] وقال الجيش بالوادي المذكور. فهبت عواصف كادت تدفنه فيه بما تحمله من الرمال والأتربة، لولا لطف الله تعالى.

ثم أمر دولة سيدنا حرسهُ الله بالرحيل، فنهضنا من تلك الجهة في منتصف الساعة التاسعة مساء يوم الأربعاء المذكور؛ وهجعنا بين (الشاقة) الشامية و(الشاقة) اليمانية، وهي تابعة لأشراف ذوي حسن أيضاً؛ وبعد صلاة الفجر الساعة الحادية عشرة سرنا الى أن نزلنا منتهى الساعة الثانية من صباح الخميس السابع والعشرين منه في وادي (الشاقة) اليمانية، التي هي لذوي حسن، وهي المرحلة السادسة من مكة، وقلنا بالوادي المذكور في مكان اسمه (عُلَيَبْ)، وهذا الوادي كثير المياه، ماؤه يتدفق على وجه الأرض، ويأتيه من جبل(نَخْرَة) لقبائل بني سليم، وهو في الجهة الشرقية من الوادي، ومزروعات الوادي كثيرة، وخيراته عظيمة وأشجاره كثيرة يشابه في منظره (الشاقة) الشامية.

وعندما استقر دولة الأمير بجيشه المظفر في هذا الوادي، أقبل عليه جميع أشراف ذوي حسن، ومعهم رؤساؤهم وهم: الشريف أحمد بن عبدالعزيز رئيس آل عساف، والشريف عايض أبو خمج، والشريف محمد أبو عصبة

---

(١) [بنو هلال بن عامر بن صعصعة، نزحوا من جبل حضن وما جاوره من الجنوب، واستقر بعضهم في هذه الاماكن وفي (ذهبان) و(البرك)، وبعضهم الآخر دخل المغرب عن طريق مصر أيام الفاطميين].

وهما شيخا النعرة، والشريف (رميثة) شيخ آل هاشم، والشريف مهدي شيخ آل عبده، والشريف أحمد أبوراسين شيخ آل سنبوك، والشريف محمد شيخ المرايسة، والشريف أحمد أبو خزاعة شيخ آل أبي سن، والشريف أحمد أبو حار شيخ آل رميثة وآل مهدي، والشريف حسين بن يحيى، فلما تكامل جمعهم طلبوا جميعاً العفو عنهم من دولة الأمير بسبب اتباعهم للادريسي ودخولهم في طاعته وعصيانهم الدولة العلية وأظهروا لدولته أنهم كانوا مخدوعين منه، فلما رأى الأمير صدقهم عفا عنهم جميعاً وأنعم عليهم بالكساوي، فلما رأوا ذلك دبت في رؤوسهم النخوة الهاشمية، وجهزوا جيشاً من عندهم عدده أربعمائة مقاتل بأسلحتهم وأمتعتهم لينضم الى جيش دولة الأمير، وأشراف ذوي حسن المذكورون يربو عددهم على خمسة آلاف مقاتل مستكملين جميع ما يلزم للقتال، وأمر دولة الأمير بالاقامة يومين في هذا المكان، فمكثنا فيه بقية يوم الخميس ويوم الجمعة الثامن والعشرين منه، وكان هذا اليوم هو يوم عيد الجلوس السلطاني[1] فأمر دولة سيدنا حفظه الله بإقامة معالم الأفراح، وجمع الجيش، وهو مؤلف من أشراف وعربان وجند يسمون جندرمة وهم من قبائل (بيشة) و(عقيل)[2]، ومركز

(١) [عيد الجلوس السلطاني: من الأعياد التي منيت بها الأمة الاسلامية تقليداً للعرب ولا تمتُّ هذه الاعياد الى الاسلام بصلة، شأنها في ذلك شأن عيد الميلاد، وعيد الاستقلال وغيره ولا يوجد في الاسلام سوى عيدين هما: الفطر بعد رمضان، والاضحى في العاشر من ذي الحجة، وهو وقت الحج] [المحقق].

(٢) : بيشة من قبائل الحجاز [الواقع أنها تتبع أبها] وعقيل من القصيم من نجد كانت الدولة تجندهم باختيارهم بالمعاش الشهري [وعقيل بطون العشائر تنتمي الى عقيل بن عامر من عبد قيس، دخلت في قبائل نجد بعد زوال امارات العيونيين وبني عصفور والجبريين بالمنطقة الشرقية، وامتهنت التجارة بين مصر والشام والحجاز في القرن الحادي عشر].

بيشة مكة المكرمة، ومركز عقيل المدينة المنورة، وعقيل هم المحافظون على الطرق الحديدية الحجازية، وبعد تأدية الدعاء لمولانا السلطان بالنصر والبقاء أمر - حفظه الله - باطلاق المدافع، وبالشروع في الألعاب الرياضية، كالمسابقة على الخيل - والهجان، وكان رؤساء المتسابقين على الصافنات الجياد نجلي أمير مكة: حرسهما الله وهما: عبدالله بك، وفيصل بك[1] وتمّ هذا الاحتفال على أحسن ما يكون من السرور والنظام بهمة وعناية دولة مولانا الأمير.

ثم أمر دولته - حفظه الله - بالرحيل في الساعة الحادية عشرة صباح يوم السبت التاسع والعشرين منه، فرحلنا، ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى وادٍ متسع جداً لذوي حسن أيضاً، وهو كثير الأشجار ومعظمها من الأراك؛ وقلنا تحت تلك الأشجار، وفي الجهة الشرقية من هذا الوادي جبل اسمه (شذى) مشهور بشجر البن الذي لا يوجد مثله في الجودة في الأرض اليانية. ويوجد بهذا الجبل أيضاً أشجار الفواكه بكثرة، ومياهه غزيرة، وهو من أحسن الجبال في الخصب والزراعة، وتابع لقبائل زهران.

ثم أمر دولة سيدنا بالرحيل في منتصف الساعة العاشرة مساء يوم السبت المذكور، فرحلنا، ونزلنا عند غروب الشمس من هذا اليوم. وبعد صلاة المغرب أمر دولة سيدنا بالمبيت في المكان الذي نحن فيه؛ وبعد صلاة فجر يوم الأحد غرة جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف سرنا حتى وصلنا الى أعلى وادي (دوقة)[2] الساعة الثالثة صباحاً، ونزلنا في محل يقال له: (المشيّة) في الجهة الشرقية من (دوقة)، وهو سابع مرحلة من مكة

---

(١) الملك عبدالله ملك الأردن - فيا بعد - والملك فيصل الأول ملك العراق.

(٢) [دوقة: تتبع غامد].

وبين هذا المكان وبين مرفأ (دوقة) سير ساعتين على الهجين، وهو وادٍ خصب التربة يزرع فيه الذرة، والدخن، والسمسم، والقطن الهندي، وجميع محصولاته ترسل الى مدينة (دوقة)، ومنها ترسل الى مرافىء الحرمين الشريفين بواسطة سفن شراعية.

وبعد أن استرحنا في هذا الوادي حضر بين يدي دولة سيدنا أمير مكة الشيخ محمد بن مرزوق شيخ مشايخ قبائل زبيد[1] التابعين لقائم مقامية القنفذة التابعة للواء عسير، وهذه القبائل فرع من قبائل حرب القاطنين بين مكة والمدينة، خاضعاً نادماً على موالاة الادريسي حتى إنه قال للأمير: لولا إسراع دولتكم بالتوجه الى ديارنا لفسدت أخلاقنا، ولم نرتجع عما كنا عليه من الغي والفساد بسبب هذا الطاغية الادريسي، وها نحن قد ظهر لنا الرشد من الغي، وقد أتيناكم خاضعين راجين الصفح عما فرط منا في حق الدولة، فلما ظهر لدولة الامير صدق هذا الشيخ في مقاله عفا عنه، وعمّن معه، وأمرهم بجمع الزكاة وإرسالها لقائم مقام القنفذة، فامتثل الشيخ ومن معه من الرؤساء ذلك.

وفي منتصف الساعة الثامنة مساء يوم الاثنين ثاني جمادى الأولى أمر سيدنا بالرحيل فنهض الجيش، وسار، وفي أثناء الطريق مررنا بواد يقال له: (القرماء)، وهو لقبائل زبيد المار ذكرهم، وهو وادٍ خصب التربة، كثير الأشجار مياهه تسيل على وجه الأرض، ومزروعاته: الذرة، والدخن، والسمسم ويزرع فيه القطن بكثرة، ومررنا بوادٍ يقال له: (ناوان)، وهو

---

(١) [زبيد: بطن من قبائل مذحج نزحت من وادي تثليث، وحالفت قبائل غامد، ومنها الفرع الذي ذكرته كما يوجد منها فرع في الجزيرة الفراتية بالعراق، [المحقق].

تابع لقبائل زبيد أيضاً. يشبه وادي (القرماء) الذي تبله في الخصب والزراعة، وبعد أن قطعنا هذا الوادي سرنا متمامنين حتى وصلنا الى ديار قبيلة تسمى العجالين، وشيخهم يحيى بن الدعس. فأمر سيدنا بنزولنا وبتنا في المكان، وبعد صلاة صبح يوم الثلاثاء الثالث منه. سرنا حتى نزلنا بوادٍ يقال له: (الأحسبة) في الساعة الرابعة صباح اليوم المذكور، وهذا الوادي هو ثامن مرحلة من مكة وملك الأشراف العبادلة وقبيلة العجالين، وعندما استقر الجيش أقبلت وفود الأشراف العبادلة وهم يزيدون على ثلاثمائة شخص مسلحين بالأسلحة النارية الحديثة ومعهم عبيدهم، والجميع فرحون بقدوم دولة الامير الى ديارهم، فلما وصلوا الى المكان الذي ينزل فيه دولته اجتمعوا وصاروا يترنمون بأناشيدهم الحسنة، ويطلقون النار من أسلحتهم كما هي عادة العرب، فقابلهم دولة الأمير أحسن مقابلة، وأمر بنزولهم في خيام أعدت لهم، وأولم لهم وليمة عظيمة، وأنعم عليهم بالكساوي كما أنعم على مشايخ ذوي حسن الأشراف القاطنين بوادي (الشاقة) الشامية، و(الشاقة) اليمانية المار ذكرهم وكما أنعم على الشيخ محمد ابن مرزوق شيخ مشايخ قبائل زبيد.

ثم حضر أيضاً بعض قبائل زبيد الذين هم تحت رئاسة الشيخ أحمد، وتقدم لمقابلة سيدنا بعض أشخاص منهم خاضعين، مقدمين الطاعة لجلالة أمير المؤمنين ولدولة الأمير.

وقابل سيدنا أشراف (المنادل) المهاجرين من وطنهم الذي هو وادي (قوز أبو العير) الى وادي الأحسبة[1] والذي اضطرهم الى هجرة أوطانهم

---

(١) [ان وجود الأشراف (المنادل) في وادي الأحسبة قبل وجود ابن خرشان الذي لم يوجد الا أثناء تحرك جيش الشريف].

شدة الظلم الذي وقع عليهم من السيد ابن خرشان عامل الادريسي ومأموره على تهامة عسير. والعامل المذكور مقيم بقرية تسمى (مخشوش) في وادي (بيا).

ولما استقر الشريف الحسين بن أحمد شيخ أشراف (المنادل) بين يدي سيدنا بث شكواه للأمير من معاملة الادريسي الرديئة وإيذائه للخلق خصوصاً الأشراف، حتى أنه من شدة ظلمه قطع يدي الشريف أحمد[1]

---

(١) هو الشريف أحمد الحواجي من أشراف (أبو عريش) هرب بعد قطع يديه الى استانبول، وأرسل منها الى ألمانيا حيث ركب يدين صناعيتين كان يأكل بهما بالملعقة، ويكتب بيمناه بالقلم الرصاص بمساعدة غيره، ثم حج واستقر في أبها، وكانت بينه وبين الشريف حسين مكاتبة، ولما ثار الحسين على الخلافة الاسلامية سجنه محي الدين باشا متصرف عسير، ومات في السجن- رحمه الله.

[وقد اشترك في تحرير جريدة (النفير) التي كانت تصدر أيام آل عائض في أبها، وكان رئيس تحريرها الامير محمد بن علي بن محمد بن عائض، وهي الجريدة الثانية بعد (الردّ) التي كانت غايتها محاربة الإدريسي، بينما كانت الاولى تظهر معايب الترك، وكان رئيس تحرير الثانية الامير محمد بن ناصر بن عبدالرحمن بن عائض وكان من كتاب هاتين الجريدتين: سعيد الغمّاز، وعلي بن خنفور، ومحمد عبدالله حجازي وحسين نحاس، ومحمد أبو هليل، وعبدالله محمد قدح، وسليمان حسين ميمش وأخوه محمد الذي نال منه محي الدين باشا بسبب ذلك وقد قام رئيسا تحرير الجريدتين بتأسيس منظمتين سياسيتين استقطبتا الكثير من شباب المنطقة وخاصة أبها وكان لها دور كبير في حصار أبها والقتال بين آل عائض والاتراك ثم حلت المنظمتان اسم «اتحاد الشباب الحر في عسير» وكان لهذا التنظيم دور هام في مجرى أحداث المنطقة حتى عام ١٣٣٦ حيث اختير الأمير حسن بن علي آل عائض ملكاً على عسير، وان يكون ولياً لعهده الامير محمد بن عبدالرحمن آل عائض، وذلك باجماع مجلس الشورى الذي كان يضم القادة والعلماء والمشايخ. واختير اسماً للمملكة «الدولة السفيانية في

القاطن بجوار الادريسي بصبيا ، فبئس الجوار والسبب في ذلك أن الشريف أحمد المذكور كان بينه وبين رجل اسمه يحيى من أغنياء صبيا وتجارها ضغائن شخصية ، وكان الادريسي مساعداً للشيخ يحيى الذي هو ضد الشريف أحمد لأن هذا الرجل كان يبذل الأموال للادريسي ويساعده في بث

عسير » وذلك نسبة الى الدولة الاموية الاولى التي قامت في دمشق والتي أسسها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وقد عرفت الأسرة الحاكمة باسم الدولة السفيانية على حين عرفت الأسرة الثانية باسم المروانية نسبة الى مروان بن الحكم.

وكان شعار دولة آل عائض نارسين بتقابلان على سهوتي حواديهما رمزاً للجهاد وكان حكام هذه الدولة وأمراؤها يميلون الى الشامية فيفضلون الافادة من أبناء تلك الديار ممن تخلف في عسير من الجيوش العثمانية ويعطونهم مناصب في الدولة.

وفي العصر الحديث أيام الامير حسن بن علي آل عائض قرر أعضاء مجلس بلدية الذين منهم محمد عبدالله حجازي ، وأحمد محمد أبو هابل ان تبقى هذه المدينة على وضعها الحالي ، الذي يخلد تاريخها الطويل في آثارها الموجودة لعدم امكانية استيعابها للسكان المتزايدين والتطور العمراني في المستقبل ، ومن هذا المنطلق رأوا أن تكون عاصمة جديدة لعسير يمكنها أن تواكب التزايد المستمر والتطور الدائم ، وتكون مدينة حديثة تماماً ، واختاروا أن يكون موقع هذه العاصمة الجديدة بين البحر غرباً وسفوح الأطوار شرقاً (جبال ألمع ، والحمراء ، ولبيباء) ، ومن محايل في الشمال حتى (القحمة). وجنوباً بين (الشقيق) و(الحمراء) ، وهذا المكان واسع يمكن أن يسمح بامتداد العاصمة. واختاروا أن تحمل هذه المدينة اسم دمشق تخليداً لعاصمة الامويين الأوائل الذين ينتمي اليهم آل عائض حكام عسير ، وأطلقوا عليهم تميزاً (دمشق - اليمن) ورأوا ربط هذه العاصمة الجديدة بأبها العاصمة القديمة بعدة طرق رئيسية يسهل معها تنقل المسافرين والسياح ومن يحب التعرف على الآثار ، هذا بالاضافة الى السكان الاصليين الذين لا يمكنهم التنقل.

أغراضه الشيطانية التي يبثها في القبائل اليمانية حتى يخرجوا على الدولة العلية، ويكونوا من أتباع الادريسي، وقد حصل مراده، فلذلك قطع يدي الشريف المذكور إرضاء لصاحبه يحيى.

فلما سمع دولة الأمير شكواهم وعدهم برفع المظالم عنهم وعن كافة قبائل اليمن بعون الله حتى ترجع الأمور الى ما كانت عليه: ويقيم كل انسان ببلده آمناً ان شاء الله. ففرحوا بذلك واستبشروا بالسرور، وانضموا الى جيش الأمير لمقاتلة الأعداء، وكان كلما مر الأمير بواد انضم اليه عربان من الوادي نفسه الذي يمر فيه.

ثم أمر دولة سيدنا بالرحيل في الساعة الثامنة مساء الثلاثاء المذكور، فنهض الجيش بأجمعه، وسرنا الى الساعة الثانية عشرة، ثم نزلنا في الطريق، وبتنا، وبعد صلاة الصبح أمر - حفظه الله - بالرحيل، فارتحل الجيش في الساعة الحادية عشرة، ونزل الساعة الثالثة صباح يوم الأربعاء الرابع منه. في وادٍ يقال له: (قنونا) بمحل يسمى (أم الجرم) في الجهة الشرقية من مرفأ القنفذة.

وهذا المكان هو تاسع مرحلة من مكة، ويبعد عن القنفذة بسير ساعة للراجل، ووادي (قنونا)[1] وادٍ عظيم وبه جداول ماء تسيل على وجه

---

(١) وهو الوادي الذي كانت تقام فيه سوق (حباشة) أو (بارق). وقال العلامة الفاضل الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه القيم «أسواق العرب» ص٢٥٨ «تقوم هذه السوق بتهامة في ديار (بارق) نحو قنونا على ست ليال من مكة من جهة اليمن... وبقيت هذه السوق قائمة كل عام حتى سنة سبع وتسعين ومائة حتى خربها داود بن عيسى العباسي، وقال مذيلاً: لهذه السوق يد كبرى على العلم يعرفها كل باحث شرقي أو غربي لأنها كانت السبب المباشر في تزويدنا بأوسع معجم جغرافي تاريخي وهو (معجم البلدان) لياقوت، وذلك أن ياقوتاً

الأرض ، وعيون عذبة الماء للشرب ، وهو لقبائل بني زيد[1] ، ويزرع به الدخن . والذرة بكثرة ، ومن كثرة الحبوب به تباع بثمن زهيد ، فكل خمسة عشر مداً من الحب تساوي من الثمن بمعاملاتهم ريالاً بطيرة ، وقيمته عشرة قروش مصرية ، والمد اليمني يبلغ وزنه ثلاث أقق على الأقل ، فيصير كل خمس وأربعين أقة من الحب بعشرة قروش مصرية .

والمحل المسمى (أم الجرم) ملك الأشراف ذوي زيد القاطنين بمكة ، والمتولي أعمالها وزراعتها عبيد لهم ، ومواليد عتقائهم .

وأما بندر القنفذة[2] ، فهو واقع على البحر الأحمر ، وهو مرفأ عظيم ، حتى ان البواخر البحرية تسير فيه الى قريب الشاطىء .

وهذه المدينة ثلثها مبني بأحجار ، والثلثان الباقيان أكواخ مصنوعة من جريد النخل وخشب أشجار السمر والطرفاء ، ولهم فيها صناعة جميلة ، واعتناء تام حتى انها تمكنت ثلاثين سنة تقريباً ، وأغلب البيوت المبنية بالأحجار طبقة واحدة عدا محلات الحكومة والاغنياء من التجار فبيوتهم طبقتان .

وبها محجر صحي ، وثكنة للجند العثمانيين ، وجمرك ، وجميعها مبنية

اختلف مع بعضهم على (حاشة) هل هي بالضم أم بالفتح ، ولما كثر تنتشه عن ذلك ألفي في روعه افتقار العالم لكتاب في هذا الشأن فكان معجم البلدان].

[وبارق هو عدي جد بعض قبائل أزد شنوءة ، وبه عرفت المنطقة] .

(1) [زيد اللات بن رفيدة الذين منهم بنو تميم الذي اقطعت لهم حرش من قبل الأمير صقر بن حسان لمناصرتهم له ضد الرسوليين ، وليسوا من رجال ألمع الذين هم من زيد بن عمرو بن ألمع احدى قبائل تهامة عسير] .

(2) [قام ميناء القنفذة بعد خراب ميناء (قاد) الواقع جنوب ميناء (الشعيبة) ميناء مكة السابق .

بالحجر بناء جميلاً ، وفي خارج البلد قلعة للحكومة العثمانية ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ، وبهذه المدينة سوق عظيم يوجد فيه جميع ما يحتاجه الانسان من ملبس ومـأكـل وخلافه ، وتردهـا أنواع الخضر ، والليمون ، والموز ، والقطن ، والسمسم ، والعدس ، وما شاكلها من أوديتها ، أما الفواكه فترد لها من جهة ما بين تهامة والحجاز يقال لها : (المخواة)[1] ، وبها ثلاثة حوانيت عظيمة لمبيع أصناف البقالة ، أحدها لشخص رومي ، والدجاج فيها بكثرة ، وهو رخيص ، وثمن الواحدة قرشان مصريان ، وبها مسجدان عظيمان للصلاة .

ومن عوائد أهلها ان رجالها يلبسون الأحذية نهاراً والقباقيب[2] ليلاً أما النساء فلا يلبسن في أرجلهن شيئاً بل هن حفاة على الدوام . ومن عوائد أهلها أيضاً أن الرجل لا يخرج من منزله صباحاً لقضاء أشغاله إلا بعد تناول طعام الافطار ، وبعد خروجه تخرج زوجته مستترة بملابسها بحيث لا يبدو منها سوى قدميها الحافيتين ، ومعها ثلاث جبنات قهوة ، والجبنة في عرفهم وعاء للقهوة من الفخار ، ثم تذهب الى بيوت صواحباتها فإذا دخلت عند احداهن سكبت لها صاحبة المنزل فنجاناً من قهوتها التي معها ، وبعد أن تشربه تخرج من بيت الى آخر وهلم جرا حتى تخلص قهوتها ، ثم ترجع الى منزلها ، ولهن محافظة تامة على هذه العادة .

وأهالي تلك الجهة سذّج بسطاء جداً ، ولسذاجتهم التامة تمكّن منهم الادريسي تمكناً تاماً ، حتى انهم يعتقدون فيه أن الوحي ينزل عليه من السماء ، وأن كل من خالفه ولم يسر على طريقته فهو كافر ، دمه مباح ، وسأذكر لك مثالاً من سذاجتهم :

---

(١) [المخواة : تتبع بلاد غامد] .

(٢) لعل ذلك لطرد هوام الأرض عند سماعها خفق القباقيب .

بينما نحن جلوس بالقرب م. مكان دولة الامير في يوم من الأيام، ونحن مقيمون في (أم الجرم) اذ حضر ...ن من شيوخ قبائل تلك الجهة، ولم يزالا سائرين حتى قربا من المكان ... ي ينزل فيه دولة الأمير، فقابلهم رئيس حجاب الأمير وسألهما عن مرا... فأجاباه: اننا نريد مقابلة عبدالله بك ... نجل دولة الأمير - فظننا أ... نا حضرا لأمر مهم جداً، فلما حضر نجل دولة الأمير سألهما: ماذا تر... ؟ فقالا له: خذ هذه القربة، واملأها لنا ماءً، فعجب من أمرهما غ... العجب، وأمر باعطائهما مرادهما ثم انصرفا[1]. وفي يوم الخميس ... خامس منه حضر الشيخ حسن شيخ مشايخ كافة قبائل بني زيد[2] البالغ عددهم مائة وخمسة وعشرون ألف مقاتل تقريباً وطلب مقابلة الأمير ... قابله قدم له الطاعة وأظهر الندم على ما فرط منه من متابعة الادر... وطلب الأمان له ولبعض قبائله الطائعين لأمره، وترك المنتمين للادر... حتى يحل لهم ما يستحقون بسبب خروجهم على أمير المؤمنين، وعدم ر... عن غيهم، فأمنه دولة الامير هو ومن طلب له الأمان، ثم إن هذ... شيخ اجتمع مع شيوخ الأشراف ذوي حسن السابق ذكرهم، وطلبوا ... دولة الأمير الاذن لهم بالتوجه الى وادي (حلي)، و(يبا)، و(قوز أ... بعير) لنصيحة ابن خرشان عامل الادريسي وأعوانه مشايخ الجهات ا... معه، والزامهم بتقديم الطاعة للدولة العلية ولأمير مكة، وبالا... لأداء ما عليهم من الزكاة المفروضة شرعاً للدولة العلية لتحقن دماء ... سمين فأذن لهم دولة الامير بالتوجه الى ابن

---

(١) لعل طلبهما ذلك منه ... الإهانة.

(٢) زيد اللات بن رفيدة إ... قبائل خثعم، وقد انتقلت بطون بعض بني زيد إلى نجد وأقامت ... (تثليث التويعية) وغيرها وقد تعرضت هذه القبيلة لغزو الجراكسة أثناء غزو ... في القرن العاشر الهجري.

خرشان ومن معه كما طلبوا ، فتوجهوا في الحال ، والمسافة بين المكان الذي فيه الجيش وبين القرية التي يقيم فيها ابن خرشان عشرون كيلومتراً تقريباً ، فلما وصلوا الى هناك قصدوا منزل الشيخ علي بن مديني شيخ قبائل قوز أبي العير ، وكلفوه بإحضاره باقي مشايخ وادي بيا ، فأرسل لهم فحضروا وهم: الشيخ البيطلي رئيس قبائل (المزاريق) ، والشيخ ابن خيرة من شيوخ قبائل قوز أبو العير ، والقبائل المذكورة تسمى: بني يعلى ، وشيخ قبائل النواشرة ، ولما كمل جمع مشايخ وادي (بيا) و (قوز أبو العير) نصحهم الوفد وأمرهم بعدم الخروج على دولة أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين السلطان محمد رشاد ، وبالطاعة لنائبه صاحب الدولة والسيادة سيدنا الشريف حسين باشا أمير مكة المعظمة ، فلم يجيبوا الوفد الا برفض أقواله وإظهار استعدادهم التام للحرب ، وذلك لاعتقادهم أن كل من خالف الادريسي فهو كافر ، يجب قتله شرعاً كما أخبرهم هو بذلك بطريق الوحي من الله ، وأخبرهم بأن أسلحة غيرهم لا تؤثر فيهم مطلقا لأنهم على الحق ، ومن عداهم فهو على الباطل ، وأخبرهم أيضاً بطريق الوحي أن كل جيش يقدم لمحاربتهم يكون غنيمة لهم ، فلذلك لم يقبلوا نصيحة الوفد ، بل أصروا على غيهم ، فلما يئس القوم منهم رجعوا آسفين لعدم قدرتهم على ارجاع هؤلاء السذج عن غيّهم.

لا ترجـــع الأنفس عن غيهـــا ـــــ ما لم يكن منهـــا لهـــا زاجر.

فلما رجعوا لدولة الأمير وأخبروه بذلك ، أمرهم بالرجوع اليهم ثانياً ليظهروا لهم غرورهم ولما قابلوهم أصروا على عنادهم ، ولم يزدادوا الا عتواً ونفوراً ، ومكث دولة الامير مع جيشه المظفر في هذه الجهة شهراً[1] رجاء

---

(١) [يبدو أن هذا الكلام غير صحيح إذ أرسل سرية لتغزوهم في يوم الاثنين

الحصول على الصلح وجمع الكلمة بين القبائل بدون اراقة دم، وفعل كافة الطرق الموصلة لذلك فلم يفد شيئاً.

ولما يئس دولة الأمير منهم، وعلم اصرارهم على الحرب. ومعاداة الدولة، أمر - حفظه الله - بإرسال سرية لهم لتغزوهم فسارت في ليلة الاثنين التاسع من جمادى الأولى، فسارت السرية وأصبحت في ديارهم، وغنمت منهم تسعة عشر رأساً من البقر، وسبعين من الغنم، وجملين، وأسرت اثنين من قبيلة بني شهر، ورجعت، فلما حضر الأسيران أمام دولة الأمير أمر بإطلاقهما بعد أن كساهما، السبب أن هذه القبيلة موالية للدولة[1].

وفي ليلة الثلاثاء العاشر منه ذهبت سرية أخرى قدرها ثلاثمائة فارس من الأشراف والعرب، وألف من أرباب الهجن، وأرسلت أمامها العيون الذين تعهدوا لدولة أمير مكة بضبط[2] ابن خرشان، فلما وصلت السرية الى قرية ابن خرشان أغارت عليهم صباحاً ففر هارباً قاصداً صبيا مقر الادريسي[3]، واستمر القتال ثلاث ساعات، ثم انهزم الأعداء عن ثلاثة

التاسع جمادي الأولى كما يأتي بعد سطرين فقط، وحضر مشايخ القبائل لعند دولة الأمير يوم الخميس الخامس من جمادي الأولى أي بعد أربعة أيام فقط.

(١) [قبيلة بني شهر بن نصر بن الحجر بن الهنو بن الأزد من قبائل عسير، وهي موالية لآل عائض الذين على خلاف شديد مع الدولة العثمانية ولست مع الدولة وموالية لها، وشيخها (فراج العسلي) أحد قادة آل عائض المعروفين، وكان معهم في حصار أبها مع قبيلته بني شهر، وكذلك كان (شبلي بن العريف) شيخ قبيلة (بني أثلة) البطن الثاني لبني شهر أما البطن الثالث فهم بنو الوليد وشيخهم ظافر بن دعبش].

(٢) أي القاء القبض عليه وأسره.

(٣) [الحقيقة أن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن عائض قد سلمه رسالة وأعلمه أن عليه أن يلتحق بصبيا إذ أنه قائد قوات الادريسي العام قد غادر أبها متجهاً

وعشرين قتيلا وسبعة أسرى من قبيلة النواشرة، ومن قبيلة بني زيد الذين لم يطلبوا الأمان مع شيخهم حسن بن خضر، بل اتبعوا الادريسي، اما الغنائم فكانت خمسة آلاف رأس بين ضأن ومعز، وخمسمائة من الابل، ومثلها من البقر، ومائتين من الحمير، وست وثلاثين من الرقيق بين ذكر وأنثى، ولما حضر الأرقاء بين يدي دولة الأمير ادعوا الحرية، وحصل نزاع بينهم وبين الغانمين لهم فأمر الأمير - حفظه الله - بإحضار القاضي الموجود معه، وهو الشيخ عبدالله كمال، النائب الشرعي بالطائف، وهو من العلماء الافاضل، فلما حضر وسمع دعواهم وشهادة شهودهم حكم بحرية بعضهم، فأمر دولة الامير بإطلاق من ثبتت حريته، ومن لم تثبت حريته منهم بقي غنيمة. أما القرية التي حصل فيها القتال فإنها جردت من كل موجود بها.

وفي اليوم الثاني أتت باقي قبائل بني زيد الموالون للادريسي، وأظهروا الندم على ما حصل من شق عصا الطاعة، وطلبوا الأمان، فأمّنهم، وأطلق المسجونين منهم.

وفي يوم الخميس ثاني عشر من جمادى الأولى حضر راشد بن رقوش شيخ كافة قبائل زهران[1] الذين يزيد عددهم على مائة وخمسين ألف مقاتل،

إلى صبيا وفك الحصار عن أبها حسب أوامر حسن آل عائض، فلم يبق لوجوده معنى، فما كان عليه إلا أن غادر].

(١) [راشد بن رقوش شيخ كافة قبائل زهران، من أتباع آل عائض وأحد قادتهم، وعندما استطلع آل عائض آراء جوارهم لإخراج الأتراك من المنطقة بما فيها القنفذة، فالشريف الحسين بن علي استمهلهم في الأمر، وله غاية في ذلك، واغتنم الإدريسي الفرصة ليحقق بعض نواياه تجاه عسير فوافق وأرسل قوة بإمرة مصطفى النعمي لمساندة آل عائض في حصار أبها، وكان مقر القيادة في الحصار (العثربان)، كما أرسل ابن خرشان للسيطرة على قبائل تهامة ودخول

وقابل دولة الامير، وأظهر الطاعة والموالاة له ولأمير المؤمنين، وقال: إننا سنكون من الآن من أخلص العرب للدولة العلية، ومن أشد المحافظين على طاعة أمير المؤمنين ودولة الامير، واننا مستعدون لأداء الزكاة الشرعية تامة، فقبل الامير قولهم، وأعدّ له محلاً لنزوله وآخر لخدمه، وقدمت لهم الضيافة، وأنعم الأمير عليه بالكساوى الفاخرة، وهذا الشيخ من ضمن الذين تقابلوا مع الادريسي بصبيا، وبايعوه هناك، ومقر هذا الشيخ جبل الحجاز الكائن بين أبها عاصمة عسير وبين الطائف، وهو الى الطائف أقرب، والقرية المقيم بها هذا الشيخ تبعد عن بندر القنفذة وهو المكان الذي نحن فيه ثمانية مراحل، ومما أخبرنا به الشيخ أنه وجد بمحل اضافة الادريسي حين كان هناك وفد من قبائل نجران، ويام، وديارهم تبعد عن صبيا المقيم بها الادريسي أربعين مرحلة[1] وهي واقعة في الجهة الشرقية من

القنفذة، أما آل عائض فقد أبقوا راشد بن قوش مع قبيلة زهران ومحمد بن عبد العزيز بن محمد الغامدي مع قبيلة غامد في الظفير ، .. لصد القوات التركية التي ستأتي لفك الحصار عن أبها فيما لو جاءت عن طريق الطائف. ولما اكتشف آل عائض نوايا الإدريسي طلبوا من مصطفى النعمي الرجوع بقواته عن أبها، وأعلنوا رفع الحصار عن أبها واتفقوا مع المتصرف سليمان باشا، وهنا أصبح راشد بن رقوش لا خلاف بينه وبين الترك إذ اتفق آل عائض معهم، بل سار الأمير محمد بن عبد الرحمن بن عائض للاقاة الشريف الحسين في القنفذة - كما سيأتي معنا - اتجه بطبيعة الحال الشيخ راشد بن رقوش إلى القنفذة والتقى مع الشريف حسين بصفته من قادة آل عائض لا لاعلان الخضوع وتقديم الطاعة كما ذكر المؤلف، بل ذكر له معايب الإدريسي وعدم اتباعه كما صرح المؤلف].

(١) [هذا دليل على أن المؤلف كان يسمع من شيوخ القبائل دون تحقيق، أو أنه قد سمع خطأ، إذ أن المسافة بين صبيا، ونجران لا تزيد على ثمان مراحل،

صنعاء عاصمة ولاية اليمن، وكائنة بين الاحقاف ونجد، ولم يحضر هذا الوفد لصبيا الا لمشاهدة مهدي آخر الزمان كما هو مشهور بأرضهم، فلما عاينوا الادريسي وقارنوا أوصافه على الحديث الشريف ظهر لهم الفرق، وتحقق عندهم أنه ليس المهدي المنتظر، ولما قابلهم الادريسي بعد الضيافة سألهم عن أحوالهم وما شاهدوه فيه فعرَّفوه بأنهم تحققوا تحققاً تاماً أنه ليس المهدي المنتظر باختلاف الأسماء والأوصاف، ولأشياء أخرى ذكروها له، فقال لهم، اني أريد أن تكونوا مع قومكم من أتباعي، فقالوا له: ان كنت على الطريق المستقيم كما تدعي،فلا حاجة لك بنا، وان كنت على خلافه، وهو الغالب، فلا حاجة لنا بك، ثم تركوه وتوجهوا الى ديارهم ولم ينل منهم إربا.

وفي ليلة الاربعاء الثامن عشر منه أمر دولة الامير بإرسال سرية ثالثة لتغزو قبائل أهل وادي (يبا) و(قوز أبو العير) و(حلي)، وتكون مؤلفة من ألف من الأشراف، والعرب أرباب الهجن، ومن ثلاثمائة فارس من العرب أيضاً، وثلاثة طوابير من الجند النظامية، وجميعهم تحت قيادة أصحاب السيادة عبدالله بك، وفيصل بك، نجلي دولته.

فتوجهت الحملة في الساعة الحادية عشرة من اليوم المذكور قاصدة وادي (يبا) لاخضاع القبائل الموجودة تحت قيادة ابن خرشان عامل الادريسي،

ومعلوم أن المرحلة هي أربعون كيلو متراً، وهل يمكن أن يكون مسافة ١٦٠٠ كيلومتر... وهي في الواقع لا تزيد عن ثلاثمائة كيلومتر، كما أن قبائل بام ونجران كانت تتبع آل عائض، وقد اشتركت معهم في حصار أبها، وقد وضعت مع قحطان في الجهة الشرقية من أبها وكان مشايخها يقودونها في الحصار، ابن منيف، ابن نصيب، وأبو ساق، وابن ماطرة، وقد أحاطوا بقوات الإدريسي تحسباً من أي حادث.]

وعندما أقبلوا على وادٍ يقال له عجلان ويبعد عن وادي (يبا) من جهة الشمال بساعة، تقابل الجيشان، وابتدأ القتال بينهما صباح يوم الخميس التاسع عشر منه واستمر أربع ساعات وانتهت الواقعة، ولم يقتل من قومنا - ولله الحمد - سوى نفر[1] من عساكر بيشة الجندرمة ونفر من عساكر عقيل الجندرمة وهو والد ابراهيم ناصر من أهل المدينة، وشخص من قبائل (الحيان)، ومن العساكر الأتراك خمسة وعشرون، منهم عشرة قتلوا أثناء القتال، وخمسة عشر ماتوا ظمأ لأن المياه كانت محملة على ظهور البغال وقد نفرت أثناء الحرب فألقت أوعية الماء التي على ظهورها، ولم يبق منه شيء، وكان اليوم شديد الحرارة، وممن قتل في هذا اليوم عباس أفندي القباني أحد ضباط الجيش العثماني، أما الجرحى من جيشنا منهم واحد من قبيلة الجانين وآخر من قبيلة الروقة التي هي من قبائل عتيبة، وواحد من أتباع الامير سعود، ابن عم الأمير عبدالعزيز أمير نجد الحالي، وكان الأمير سعود المذكور قد حضر الى مكة مع اخوانه الملقبين بالعرايف، وأتباعهم البالغ عددهم ثمانون شخصاً قد قدموا مكة فارين من ابن عمهم الأمير عبدالعزيز ابن سعود لظلمه لهم وتوعدهم بالقتل، فالتجؤوا لدولة أمير مكة، واحتموا بحمايته فأمرهم بالاقامة عنده حتى ينصفهم من ابن عمهم المذكور[2]، ولما أراد الخروج لقتال الادريسي خرجوا معه. وقتل من الدواب أربع من الهجين وأربع من الخيل. أما القتلى من قوم الادريسي فخمس وستون، والجرحى خمسون، وفي يوم الاثنين الثلاثين أمر دولة أمير مكة عموم

---

(١) يعني شخصاً واحداً.

(٢) كانوا قد شقوا عصا الطاعة ثم تابوا وسلموا أنفسهم إليه فعفا عنهم، ومات سعود واخوانه تحت طاعة ابن عمهم الملك عبد العزيز بن سعود الفيصل - رحمه الله -.

الجيش من أشراف وعرب وعساكر نظامية بالقيام لمحاربة ابن خرشان ومن معه، فسار الجيش تحت قيادة نجليه الكريمين وسار بمعيتهما الشريف زيد بن فواز، أمير الطائف، وجميل بك نجل عطوفة ناصر بك شقيق أمير مكة، وأحد أعضاء مجلس الأعيان، وكافة الأشراف، وفيهم أشراف المدينة المنورة برئاسة الشريف شحات بن علي بن راضي.

وكان عدد الجيش الذي سار للقتال خمسة آلاف ومائتين، منهم ألفان وخمسمائة من العرب والباقي من العساكر النظامية، وكان معهم ثمانية مدافع جبلية، ومدفعان مترولوز.

ونزلنا ليلة الثلاثاء غرة جمادى الآخرة على بئر يقال لها: (أم الدبّا)، وقلنا هناك وفي آخر اليوم المذكور أمر أنجال الامير الجيش بالسير الى وادي (يبا) وأرسلوا أمامهم العيون، ليهتدوا الى مكان العدو، فساروا ثم عادوا وأخبروا الجيش ان العدو كامن في وادي (عجلان) وهم منتشرون من الجبل الى البحر، أي من أعلى الوادي المذكور الى أسفله، وعددهم عشرة آلاف مقاتل، وقد حصنوا أنفسهم تحصيناً تاماً بين أشجار الاثل، والمرخ، والسمر، وأقاموا جسوراً من الأتربة لتكون حصناً لهم عند القتال.

فرتب الأميران الجيش ترتيباً تاماً، وسرنا حتى قربنا منهم، فأمر الاميران أرباب المدافع بإطلاقها عليهم، ولم تزل تقذف عليهم نارها، حتى أخرجتهم من مكامنهم، وولوا متيامنين قاصدين وادي (يبا)، فصاح القائدان: الخيل الخيل يا أهل الخيل، فاقتفى أثرهم الفرسان، وأرباب الهجان، واستمر القتال بينهم فصاروا تارة ينهزمون، وطوراً يفرون ويقاتلون، حتى صرنا في منتصف الساعة الخامسة ليلاً، فانهزم قوم الادريسي قاصدين (يبا)، ومعهم قائدهم ابن خرشان، وملكنا وادي (عجلان)، وأقمنا بقية ليلتنا هناك.

ولم يصب أحد منا بأذى ، وقد قتل منهم سبعة ، وبعد صلاة الصبح أمر قوادنا بالزحف على (يبا) ، و (قوز أبو العير) ، والمسافة بين وادي (عجلان) ، ووادي (يبا) ساعة واحدة ، فزحف الجيش على وادي (يبا) . وكان قوم الادريسي كامنين فيه ، ومعهم قوادهم وهم : ابن مديني ، والبيطلي ، وابن خيرة ، وهؤلاء هم مشايخ وادي (يبا) و (قوز أبو العير) ، وكان معهم أيضاً قبائل وادي (حلي) الذين حضروا لنصرة قوم الادريسي ، ومعهم مشايخهم وهم : أحمد الصُمّي ، وابن الصغيِّر ، وابن عجي ، حتى بلغ عدد المقاتلين من الأعداء اثني عشر ألف مقاتل ، وجميعهم كامنون لنا وسط الوادي وقد صنعوا لهم حصناً عظيماً غابات الاثل ، والأراك ، والطرفاء ، والأشجار في هذا الوادي متلاحمة حتى يخيل للرائي أنها شجرة واحدة .

فلما قربنا منهم أمر قوادنا وهم عبدالله بك ، وفيصل بك بترتيب الجيش للقتال ، ورتب نظيف بك ، قومندان العساكر النظامية جنده ، وبعد الترتيب صدر الأمر بزحف عموم الجيش على العدو ، فزحفنا عليهم في منتصف الساعة الثانية صباح يوم الأربعاء الثاني منهم ، وأخذت الجنود النظامية تصوب مقذوفات مدافعها الى مكامن العدو في الغابات ، وهجم عموم الجيش عليهم من عرب وترك ، وفي المقدمة نجلا الشريف ، واستمر القتال الى الساعة الثامنة ثم صدر الأمر من عموم القواد بالهجوم ، فهجم في المقدمة أربعمائة فارس ، واقتفى أثرهم عموم الجيش ، وصار القتال بالسلاح الأبيض ، وما وافت الساعة العاشرة حتى انهزم العدو ، وانكسروا شر كسرة ، ووجهتهم وادي (حلي) ، الذي هو في الجهة اليمانية من وادي (يبا) وبينهما خمسة عشر كيلومتراً ، وتركوا في الميدان ستمائة قتيل ، منهم من قبيلة (بني يعلى) مائة ، ومن أهل (صبيا) و (الشقيق) ، الذين أرسلهم الادريسي مدداً لأهالي (يبا) مائة وعشرون ، وكانوا أربعمائة ، ومن قبائل

وادي (حلي) مائة وخمسون ، ومن قبيلة (النواشرة) أربعون ، والباقي من قبائل متفرقة .

وامتلكنـــا الوادي من أعـــلاه الى أسفلـــه ، ونزل الجيش في قريـــة (المراريق) ، وبتنا ليلة الخميس بواذي (يبا) مكللين بالنصر ، ومعنا سبعون أسيرا[1] ، وفي صباح يوم الخميس ذهب الجيش ليفتش أكواخ الأعداء

---

(١) لقد كتب المؤلف هذه الرسالة وطبعها بعد المعركة بسنة واحدة وممن قاد هذه المعارك واشترك فيها الأمير عبدالله بن الحسين فكتب في مذكراته التي نشرها عام ١٩٤٥ ميلادية أي بعد نشر الطبعة الأولى لهذه الرسالة بـ ٣٣ سنة ، ولما كانت هذه المعركة هي الفاصلة في هذه الحرب أفرد لها فصلاً خاصاً في مذكراته ذكر فيها معلومات غير مذكورة في هذه الرسالة منها الأمراض التي أصابت الجيش ، والفظائع التي ارتكبت بسكان القرى ، وعدد ضحايا الجيش التركي لذلك أثبتنا هذا الفصل من مذكراته كما هو :

واقعة قوز أبا العير

وتحرك الركب الهاشمي من الحجاز في فصل الأسد[1] ، في حمارة القيظ ، فوصلنا القنفذة ، والانسان لا يستطيع أن يطأ الأرض الملتهبة كالنار ، وليس في القنفذة من عربان البلاد المجاورة أحد سوى أهلها . وكان في الصحة ثلاثة طوابير نظامية ، يبلغ عددها ثلاثة آلاف جندي . وبعد أخذ الأهبة ، كانت الحركة نحو (قوز أبا العير) وكان فيه قائد للسيد الادريسي ، اسمه ابن خرشان ، ومعه عشائر تهامة . فأمرت أن استصحب معي مائتي خيال وألف هجان ، مع تلك الطوابير والمدفعية ، فتوجهنا وكان معي المرحوم الملك فيصل ، وحيث أن التدريب العسكري للحركات الليلية كان غير كامل الترتيب ، فلم تتمكن القوى التركية من قطع المسافة في الوقت المناسب ، الا بعد تأخر تسع ساعات ، فوصلنا الى نقطة بساحل البحر جنوبي القنفذة ، بها ماء يستطيع

(١) هو برج الأسد ، ويكون بين برجي السرطان والسنبلة .

فوجدنا فيها صناديق كثيرة من أنواع الرصاص ، ووجدنا أشكالاً متنوعة ،

الانسان شربه ، اسمه (أم الدبة) . وبعد استراحة ثلاث ساعات ، توجهنا فأدركنا الزوال ، ونحن على طرف سهل صلب من رمل دمث ، والبحر بالناحية الغربية ، وأمامنا وادي (يبا) الكثير الحراج الملتف الأشجار ، والجيش يسير ويتقدمه الطابور الاول ، ثم الثاني ، ثم الأثقال ، ثم الطابور الثالث . وعلى الجناح الأيسر القوى الهاشمية والجبل ، وعليها الأمير فيصل (الملك فيصل) . وكانت القوتان تأتمران بأمرتي ، وقائد الطوابير الثلاثة هو القائد زكي بك الشركسي . ولدى قدومنا الى ذلك المحل ، عاد الينا ضيف الله العمود ، أحد الشيوخ ، وقد أرسل - ومعه كوكبة من الخيل - عنا لكشف ما وراء الحرجة وما يليها ، فقال : انها محشوة بالرجال . وفي تلك الأثناء ، واذا النقبة من العيون - اي القوة الكشافة - تعود مسرعة ، ثم عادت المقدمة من الهجانة وهي منهزمة متوجهة نحو الغرب الى ناحية البحر ، واذا بجحيم من النار يطلق فجأة من تلك الحراج ، فأمرت زكي بك بالتوقف ، وأشرت عليه أن يسوق الطابور في شكل الصيادة ، ويكون الطابور الثاني احتياطه ، وأن تقف الأثقال ، وأن تقف أيضاً القوى الهاشمية ، فاذا دفعناهم وجاء الوقت المناسب ، أمرت القوى الهاشمية بالهجوم ، والتعقيب من ناحيتها . فحرر هذا الأمر ووقع منه ومني وأرسل الى الأمير فيصل والى قواد الطوابير ، فسرنا والتحمنا مع القوى الكامنة في الحراج فدفعناها وتوغلنا .

وقبل أن يأتي الوقت ويصدر الأمر بهجوم القوة المعاونة ، واذ بنا نراهم يهجمون مسرعين ، وأن ليس أمامهم الا زرع بحصد ، فقلت لزكي بك : مر الطابور الاحتياطي يتقدم الى المسرد ، حيث كانت فيه القوة المعاونة فاني لست آمن عليهم الهزيمة الآن فقال : انه لا يستطيع ترك القوة الآن ، ورجاني أن أبلغ هذا الأمر بذاتي . وقبل أن أتم المحاورة . واذا بالمرافق يقول لي : انظر يا سيدي الى يسارنا فاذا بالقوة المعاونة ترتد لا تلوي على شيء ، وقد بلغت الى حيث الطابور الثاني ، وكان يقوده اسماعيل بك . فقلت : سر بالطابور وخذ موقعاً الى يسار الطابور الأول . أما القافلة فمرها لترجع الى (أم

ووجدنا ما ينوف على خمسمائة بندقية من نوع المارتين الفرنساوي ،

الدبة) ، ولكن الطابور الثالث هو الاحتياطي . واذا بالرجل يمسك بعرف جواده يتقيأ ، ولم يكن في حالة ترضيني ، رأيت فيه من الجبن ما أزعجني ، فكررت الأمر فلم يصنع ، واذا بنا نضرب من الميسرة ضرباً مروعاً .

وبعد ثلاثة أرباع الساعة . كان الموقف في غاية الحرج ، واذا بفريق من الهجانة ، فأنخته بين السحاء والموقع الرملي ، وشرعت أدافع ما استطعت ، واذا بأناس من المنهزمين يلتحقون بي ، وهم فرسان عرفوا بالنجدة ، كفاجر بن شليويح ، وحبيليص الشيباني ، وفهد العرافة بن سعود ، وبعض الأشراف ، ثم لحق بي الشريف شاكر بن زيد ولم يكن لنا منهم الا الثبات لتخليص القوة العثمانية من موقفها القتال ، وبالنتيجة لم يسلم من الطوابير الثلاثة الا سبعون نفراً . ولما أن أعيدت الحملة والمدافع الى أم الدبة ، كنت آخر من ترك الموقف ، بعد أن قتل ابن خيرة أمير الجناح الأيمن للقوة الإدريسية . ووصلنا القنفذة في اليوم الثاني بخسارة عظيمة . ولو كر الادارسة ليلتها أو الليلة الثانية ، لقضوا على الجميع ، ولكن خسائرهم كانت أفدح .

كانت هذه الواقعة ، واقعة (قوز أبا العير) ، والتراجع الذي وقع من القوة المعاونة العربية السبب الأول في سوء الظن الموجه الينا من باقي قوات الحملة التركية ، وأولهم الميرالاي نظيف بك . وكأنهم نسوا ما كان يحيق بهم من حركات كهذه ، في اليمن وعسير وفي جبل الدروز والكرك وفي كل محل .

وبعد خمسة عشر يوماً ، تكررت الحملة بقوات جديدة وردت ، وأمّر على الجميع الشريف زيد بن فواز ، وقد صدر الأمر الي بأن أكون أحد أمراء الحملة ، فتوجهنا من القنفذة صباحاً ووصلنا ظهراً الى (أم الدبة) ، وكانت القوة المركبة هي هذه : ثلاثة طوابير نظامية ، كل طابور ثمانمائة وخمسون جندياً . بقيادة القائد زكي بك . وثلاثة طوابير رديف بقيادة القائمقام اسماعيل بك ، وكان عدد هذه الطوابير ألف ومائتي جندي . وطابور آخر اسمه طابور اليمن . لأنه جلب من اليمن يقوده قائد اسمه ضياء الدين بك ، وعلى المجموعة هذه كلها الاميرالاي نظيف بك . أما القوة المعاونة فكانت هي هي ، خيلها وهجانتها .

والانكليزي ، والطلياني ، وهي من الأسلحة التي وردت لهم من الادريسي وتزد له من الدول التي ترغب في اضمحلال الدولة العلية .

فتحركنا وقت الظهر . ولما وصلت القوة الى محل المعركة الاولى ، وكانت الساعة الحادية عشرة غروبية ، وجدنا قوة الادارسة في تلك الحالة الحرجة ...سها ، فقابلونا بنار حامية كسالف عادتهم . فقال نظيف بك للشريف زيد : ماذا تأمر؟ قال : لا أمر لي الا بعد أن تعرض علي ما تراه أنت ، فاذا رأيت ما يجب تنبيهكم اليه فعلت . فالتفت الي وقال : ما رأيك؟ فقلت : الأمر ...بيت واستئناف الحركة صباحاً ، لأني أخشى أن لا تكون الحركات العسكرية ناجحة ليلاً ، ونحن في أرض دخل لا تعرف مخارجها ومداخلها . ...ن : تقول هذا من أجل أن يرى الناس أن سبعة طوابير عثمانية أوقفتها ...رذمة بدوية . فجلى عما كان يكتم . فقلت له : هذا رأي اكتبه كتابة . ثم ...عت الي اليوزباشي أركان حرب بهاء الدين ، فقال له : ماذا تقول؟ فقال : ...ون أن كل شبر تتقدمه الآن في وقت الغروب والليل مقبل ، يسوقك الى ...ضمحلال ، واني أنضم الى رأي عبدالله بك . فقال له : أكتب الأمر بالمبيت :

...ي زكي بك الجبهة — طابور اليمن في الساقة
...ي سعيد بك الميسرة — القوة الهاشمية المعاونة الميمنة .
...نقال في الوسط

فلما كتبه عرضه على الشريف زيد ، فوافق عليه وصدق ، ثم أمرت بأن تكون مع زكي بك في الجبهة ، وأن الامير فيصل (الملك فيصل) على القوى الهاشمية في اليمين ، وبقي زيد بن فواز ، ونظيف بك في مقر القيادة . فتقدمنا تحت وابل من الرصاص ، وقومنا الجبهة من طابورين ، ومن كل طابور ثلاث ...زة احتياطاً له ، والطابور الثالث احتياطاً للكل ، ونظمت الجهة في شكل مربع : فنحن جبهتنا الجنوب ، والآي سعيد بك جبهته الشرق ، وطابور اليمن جهة الشمال والقوى الهاشمية جبهتها الغرب .

وعند اتمام هذا الترتيب ، حمل علينا أهل اليمن من الجهة حملة صادقة .

ولبساطة أهل اليمن يعتقدون أن هذا السلاح ، والرصاص ، والجنيه الانكليزي يخرجه لهم الادريسي من تحت السجادة ، فبئست العقيدة . أما

استمرت ثلث ساعة ، وقوبلت بجحيم من النار ، فتراجعوا . ثم بعد ربع ساعة كروا على الجبهة الشرقية ، فقوبلوا بمثلها . على أننا كنا في خطر من نار أتت من جهة مكشوفة ، فاضطر كل واحد منا أن يعمل له مجناً جنبياً ، ولما كف هجومهم علا الصياح في الميمنة ، حيث كانت النوبة على القوة المعاونة ، فترجرجت ثم كرت ، وبعد لأي أوقف الهجوم ، ثم كانت الحملة على طابور اليمن ، فأمد من الاحتياطي العام ، ولم تدم هذه الحملة كثيراً ، فتراجعوا ، وكانت الليلة ليلاء حتى الصبح ، فكنت متى سمعت طلقة من ناحية أهل اليمن تقابل بمئات الألوف من الطلقات في هذا الجانب ، وكنت تسمع الإيعاز حالاً من الجبهات بالبوق (اش كس اتش كس) (اقطع النار) .

وبعد الساعة الرابعة ، طلبت الى مركز القيادة ، فحضرت . واذا بالمرحوم الشريف زيد ونظيف بك يقولان : كانت نجاة القوة هذه نتيجة لرأيك الميمون ، فلو سرنا لكنا في خسران عظيم . فقلت : التجربة السالفة هي التي هدت الى ما وقع . فقالا : كيف الجبهة؟ قلت : على ما يرام ، كل جندي قد نال قسطه من العشاء ، وزود بطارتين من الماء . فلا خوف . ان شاء الله .

ولم نذق تلك الليلة النوم الا غراراً أو نعسة . ولما أصبح الصباح ونادى منادي الصلاة بالبوق أولاً ثم بالآذان ثانياً ، كبر أهل اليمن من كل ناحية ، فصلت كل فئة في محلها . ثم جلب الحرس الى مصافه ، وقرأ مفتي الجيش سورة الصف . ثم ابتدأت المدفعية تصلي الحرجة ناراً حامية فتمسح الأرض مسحاً . واذا عسرة اليمن يقودها الشيخ ببطري تتقدم على أعلامها ، فلما خرجت من الأدغال وتمست في أرض صحصح ، باغتتها القوى الماشية بهجوم بالخيل من ناحية البحر ، ثم أصلتها المدفعية ناراً حامية ، فاهترت يمنة ويسرة كشجرة في مهب الريح . ثم ولت الأدبار ، فاتبعها القوى الماشية الراكبة .

وتقدم الآي زكي بك ، وأنا معه . فلما وصلنا الحرجة ، لم يرعنا الا وأهل اليمن مآزرهم وليس على ظهورهم من الثياب شيء . غير المحازم والخناجر في

الغنائم التي غنمناها في هذه المعركة فهي تزيد عن خمسة عشر ألف أردب من الحبوب . وكانت دواب الجيش جميعها تأكل منها ، أما الأثاث كحلي النساء

أواسطهم . فقابلوا الجيش بطلقة أو طلقتين من كل واحد منهم . ثم استلوا خناجرهم وحملوا تلك الحملة ، فأصلتهم القوة التركية ناراً حامية ، فوقع الأكثر ، وهزم من بقي . وكنا حين ذاك نسمع لعلعة البنادق والمدافع من ناحية الاي سعيد بك . ثم أخذت الأصوات تبتعد كلما تقدمنا ، فقال زكي بك : نحن في خطر . حيث تمكن هؤلاء من احداث فجوات بين الميمنة والقلب والميسرة . وحين ذاك كان في المتر معه فتيان ومدفعان . وبه الشريف زيد بن فواز والأمير الآي نظيف بك . فقال زكي بك : سآمر بالوقف ، وهذه الشجرة الدوحاء علامة لك ، فاذهب الى المتر . ولكن بيننا وبين قوة سعيد بك الى ينبغي ان تسرع السير حتى موازيا من يسارنا . أما القوة الهاشمية فلا سبيل الى اللحاق بها فلما وصلت واذا بالشريف زيد بن فواز . ومعه مائة وخمسون هجاناً وأرباب الأسنان من المشايخ والشرفاء فسألته عن نظيف بك . فقال : تقدم بالفتيين والمدفعين الى الكعدية . بئر بأعلى بيني . واذا بالملك فسأل معه . فلما سألته عن قواده قال : العهد بها يوم ان أغارت . فبعثت برافقتي الى زكي بك . ومعه من يرشده الى الكعدية ، حيث قائد العرزة والمتر . النظامي ، وسرت مع ربعي . فلما سرنا نحو خمس دقائق . واذا بنا نخرج الى أرض جرداء . فتبينت لنا مياه الكعدية . وبها نظيف بك والبلكان الفتيان تضرب مدافعه بالقذائف الحاصدة ترمي من قرب والتي تدعى (شرا) . ولما برزنا وعلم البدو معنا ، ورأوا الضربة ، ترك أهل اليمن نظيف بك وحملوا علينا . وانحنا ونزلنا . فكانت معمعة من أفظع ما رأيت . وكان الشريف زيد يصاب أحياناً بالرعاف . ولا يصبر الشمس ، وهو واقف وعلى رأسه المظلة السوداء ، فأقول له : يا عم اندرق بعدو . فيقول : لو أحببت الاندراق لكنت في الطائف ، اصبروا ستكشفون الأمر وهرع الملك فسأل الى الأمير الآي نظيف بك ، ونحن في تلك الساعة الحرجة . واذ بجملة الأثقال ومعها طابور اليمن ينسلون . فقدم ذلك الطابور شجاع . وانتشر حتى كانت أقدام اليمن متصلة

والسلاح الأبيض من سيوف وجنابي، وخناجر وما شاكلها فكثيرة جداً، مع أن الادريسي كان أخبرهم بمقتضى أخبار الوحي له اننا سنكون غنيمة لهم فانعكست القضية عليهم.

بسطنف بك على الكعدبة، وأمر الشريف زيد، ومعه الشيخ جابر بن هليل عظيم الشتة من عشائر عتيبة، الحملة بالتقدم، وصاحوا: يا حاملوه يا حاملوه! فحملنا نحن من مرابضنا والعلم الهاشمي بيد ابن جنيح - وكان رجلاً طويلاً أسمر - وكانت الهزيمة على أهل اليمن. ثم أخذنا نسمع أصوات الطلقات من ناحية الشرق فتبيّن أنها قوات سعيد بك قد أقبلت.

وعند وقت العصر كنا بقوز أبا العير، وليس من قوات اليمن أحد، فقد اضمحلوا وتراجع ابن خرشان الى القحمة. ثم قبيل المغرب، جاء التقرير الطبي الى مقر القيادة، بأن الوفيات اليوم في الجيش بلغت مائتين وثمانين، وأن الوباء وباء الكوليرا. وفي اليوم الثالث، نزلت القوة الى ثلثها، وقدم المرحوم الى القوز ولقد رأيت بعيني رأس الغفير القائم على خيمتي يقع ميتاً كأن قد ضرب برصاصة، وأصبحت القوة المسلحة التركية ألفاً وسبعمائة نفر من سبعة آلاف، فأمر بالحركة نحو أبها، وكلما تقدمنا تناقص المرض. وكانت وقائع. في بارق وفي الشية، ثم صعدنا الجبل من عقبة ساقين المشهورة، ولما اجتزناها بعد ثالث، أيقنا بالسلامة من شر تهامة وأوبائها.

ثم كانت واقعة سدوان ثم واقعة اثني خريم، وكان قائد الادارسة السيد مصطفى الادريسي والسيد الفضال، وكانت الهزائم تتتالى على أهل اليمن، وكانت الفظاعة من الجند التركي، في احراق القرى وتقتيل الأبرياء، السبب الأول في الانقلاب الأخير، حيث قال الأمير: ليس من هؤلاء خير للعرب... ولقد عرضت عليه أربع مرات جثث شويت على النار شياً بأن تدخل أعمدة الخيام من أدبارهم حتى تخرج من افواههم وقد عرض عليه، في اثني خريم، ست رؤوس وقد قطعت عن أجسادها. ووضع ذكر كل منهم في فمه. فقال أمير لسطنف بك: هذا يليق؟ فأجابه: أليسوا قد حرقوا قلوبنا!! فسكت».

ومن مآثر الامير ان ذهب احد أهالي تلك الجهة الى دولته في أم الجرم وطلب منه الصفح عنه ورد أمواله اليه لأنه ذو عائلة، واعترف بخطئه وتاب الى الله، فأمر دولته حفظه الله برد أمواله اليه، ولاشتغاله بأخبار الجيش المحارب لم يأمر بتنفيذ إرادته في يومها، فحضر الرجل اليه ثانياً ومعه قصيدة مختصرة، وهذا الرجل أمي وأعطاها الدولة الامير فلما قرأها دولته سرَّ، وأمر في الحال برد جميع الذي له. فجمع من القوم البعض من أمواله، وأعطاه دولته من النقود ما أرضاه فتوجه وهو يدعو لدولة الامير بالنصر وها هي القصيدة بذاتها لم أغير منها شيء.

يـا سيـدي بشرتـني بـالعقيـدة — من بعدما جبتك من القوم مسلوب
وأنت حليم عليم في كل حيلة — فيما شكيته وأنت يا سند مغلوب
وكيــل السلطـــان والله وكيلــه — وأمرك يريّع كل ما راح مكسوب
الأمر لله ثم لك في القبيلة — عتبان غير أشراف مع ترك وحروب
تغشاك من البيـض مـا هي قليلـة — أعدادها ما هو في الأسواق مجلوب
وحيــاة من ينشي المطرفي المخيلـة — يا ما يجينا أنه من الرب مكتوب

قاله أحمد بن حامد الرصيفي.

وفي ليلة الجمعة الرابع منها سرنا من أسفل وادي (بيا). الى أعلاه وذلك من الجهة الغربية الى الجهة الشرقية ونزلنا في قوز أبو العير. وهو يرتفع عن مسطح وادي بيا بخمسة عشر متراً تقريباً، وأرضه رملية لائقة للإقامة فيه، بخلاف نفس الوادي فإن أرضه من الطينة الصفراء التي تصلح للزراعة وفي القوز ثلاثة آبار مبنية بالحجر، ماؤها عذب غزير. وهواؤه جيد.

فلما استقر بنا المقام أرسل لنا دولة الأمير رسولاً من طرفه بمنع الجيش عموماً من الاعتداء على ما بقي من الأكواخ والقرى وما فيها، وذلك رحمة

وشفقة منه على أهل اليمن ، فمن ضمن هذه القرى قريتان احداهما للأشراف المناديل ، والثانية من أشراف الرواجحة ، الذين اضطهدهم ابن خرشان نائب الادريسي وألجأهم الى المهاجرة عن أوطانهم ،والاقامة في وادي الأحسبة ، عند الأشراف العبادلة ، وهم منضمون الى جيشنا لمحاربة الأعداء كما سبق ، وهؤلاء الأشراف جميعهم من أشراف مكة ، هاجروا من زمن مديد الى اليمن لطلب الرزق ، فصار لهم في وادي بيا وقوز أبو العير مراكز عالية ، وصارت لهم سلطة تامة على قبائل أهل وادي (بيا) ، من طرف الدولة العثمانية ، فلما اتسعت سلطة الادريسي واحتل بيا ، ضايقهم ابن خرشان ، نائبه ، حتى تركوا أوطانهم وهاجروا الى وادي الأحسبة عند الأشراف العبادلة وجميعهم يتصل نسبهم بجدنا الامير الجليل الشريف قتادة الذي كان ملكاً بمكة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة من الهجرة[1] وأكبر أولاد الشريف قتادة هو الشريف راجح جد هؤلاء الأشراف الرواجحة.

أما دولة المرجوم الشريف قتادة فهو ابن ادريس ، بن مطاعن ، بن عبدالكريم ، بن عيسى ، بن الحسين ، بن سليمان ، بن علي ، بن عبدالله ، بن محمد الثائر ، بن موسى ، بن عبدالله ، بن موسى الجون ، بن عبدالله المحض ، بن الحسن المثنى ، بن الامام الحسن ، بن الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[2]

(١) ذكر العصامي في تاريخه « سمط النجوم العوالي » : ان ولاية الشريف قتادة كانت سنة ٥٩٩ ومات مقتولاً سنة ٦١٧ قتله ابنه حسن . وكان استلامه الملك من الشريف مكثر بن عيسى آخر الشرفاء المواشم.

(٢) وجاء نسبهم في « سمط النجوم العوالي » مجموعاً من موضعين كما يلي : قتادة ابن ادريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان بن عبدالله ابن أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه.

ونسب أشراف المغرب الاقصى يتصل بإدريس بن مطاعن المذكور سابقاً، ونسبة الأشراف المناديل لجدهم منديل بن الشريف أحمد، بن أبي نمي الذي تولى إمارة مكة سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة من الهجرة وصدر له الأمر الشاهاني بالامارة من السلطان سليمان. والشريف أبو نمي المذكور هو الذي حفظ الامارة لأولاده طبقة طبقة، حتى لا تخرج من بيته وذلك بمقتضى معاهدة صدرت في ذلك التاريخ وأيدها السلطان سليم الفاتح لمصر، ومن ذلك التاريخ صارت تصدر الأوامر الشاهنية بالامارة الجليلة لكل من يتولى امارة الحرمين الشريفين، الى أن استلمها دولة الامير العظيم سيدنا الشريف حسين أمير مكة الحالي في شهر ذو القعدة سنة ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية[1].

وهو من ذرية الشريف أبو نمي أمير مكة السابق ذكره، فإنه رحمه الله

---

(١) على هامش النسخة تصحيح لتاريخ ولاية الشريف حسين بأنها كانت سنة سنة وعشرين وثلاثمائة وألف ١٣٢٦ وكذلك ذكر الاستاذ الزركلي في «الأعلام» عند ترجمته للملك حسين، وفي ترجمته للملك علي قال: انه عاد الى الحجاز سنة ١٣٢٧ عندما تولى والده امارة مكة. غير أن الملك عبدالله قال في «مذكراتي» ان ولاية والده كانت سنة ١٣٢٨.

وفي ملحق شفاء الغرام ص٣١٤:

«ان الشريف علي انفصل عنها ـ ولاية مكة ـ في شوال سنة ١٣٢٧، وجاء الخبر من الآستانة بتولية امارة مكة لعمه الشريف عبدالاله باشا، وبقي فيها أياماً، ثم وصل الخبر بتولية الشريف حسين باشا، ثم وصل في ذي القعدة... ولم يزل الشريف حسين في امرة مكة من ٦ شوال ١٣٢٦ هـ حتى أعلن نفسه ملكاً على الحجاز

اكتب هذا وأنا بعيد عن كتبي فلم أتمكن من الترجيح ولعل ذلك يتيسر لي قبل انتهاء طبع الكتاب فأذكر الصواب في نهايته ـ ان شاء الله ـ (الناشر).

توفي عن ثلاثة أولاد وهم[1]:

الشريف حسن وهو جد دولة أمير مكة الحالي.

والشريف بركات وهو جد الأشراف البركاتية، وهذا الضعيف كاتب هذه الرحلة منهم.

والشريف أحمد، الذى من ذريته الأشراف المناديل.

وفي صباح يوم الجمعة الرابع من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف سارت سرية عددها ألف مقاتل تقريباً الى وادي حلي، والمسافة بينه وبين قوز أبو العير أربع ساعات بالهجين، وكانوا فرساناً وأرباب هجان، فغنموا ألفي رأس من الغنم، وأربعمائة من البقر، وثلاثمائة من الابل، وقتلوا سبعة من أهالي حلي[1] وأخذوا خمسة من العبيد وأسروا ثلاثة ورجعوا الى المعسكر.

---

(١) هو أبو نمي محمد بن بركات، ولد سنة ٩١١ وسلطان السلطان الغوري مكة مشاركاً لوالده الشريف بركات وعمره ثمان سنين- وفي رواية ثلاث عشرة سنة- فكانت آخر ولاية لمكة من دولة المماليك الشراكسة وسنة ٩٢٨ ولاه السلطان سليمان مكة مشاركاً لوالده فكانت أول ولاية عثمانية لمكة.

وكانت وفاته سنة ٩٩٢ ومدة ولايته لمكة مع والده ومنفرداً ومع ولديه أحمد وحسن مدة ٦٣ سنة.

وكان له شعر ونثر. وكانت وفاة والده بركات سنة ٩٣١.

والشريف أحمد لم يستقل بولاية مكة، وانما أشرك فيها مع والده سنة ٩٤٦ الى ٩٦١ حيث توفاه الله.

(٢) [لم يصل جيش الشريف الى وادي (حلي)، وانما كانت فيها قوة من آل عائض برئاسة ابن مخالد شيخ قبائل محايل، ووادي حلي كان مقراً لإمارة بني ذؤيب من بني حرام من كنانة والتي استمرت حتى قضى عليها الامير سالم بن عبدالله ابن ابراهيم الجد الرابع عشر للأمير عائض بن مرعي وذلك في أواخر القرن

وأخبرونا: أنهم شاهدوا بين وادي (حلي) ووادي (يبا) أطفالاً تحت الاشجار قد ماتت من شدة الظمأ حين فر أهالي وادي يبا قاصدين حلي. ووجدوا أطفالاً ملقاة بالطريق لا يزيد عمر الواحد منهم على ستة أشهر أو سبعة، تركوا حال فرار أمهاتهم من هول الحرب، ولا شك أن هذا حصل لهم بسبب كرامات الادريسي التي تكرم عليهم بها.

وفي يوم السبت خامس جمادى الثاني حضر من الآستانة العلية نشأت باشا بصفته قائداً عاماً لجميع العساكر النظامية وذلك اجابة لطلب دولة أمير مكة، وكان دولته هو القائد العام لعموم الجيش، وكان جل قصده حفظه الله فك حصار أبها عاصمة عسير بسرعة زائدة خوفا من سقوطها في أيدي الاعداء لطول زمن الحصار، اذ لو سقطت في أيديهم لا يمكن أخذها منهم الا بعد مشقات زائدة.

لذلك لم يتوجه بجيشه الى الادريسي الذي كان مقيماً بصبيا التي تبعد عن قوز أبو العير، سبعة مراحل، وكان المكلف بضربها محمد علي باشا والي اليمن، المقيم بجيشه في أسكلة[1] صبيا جيزان، وأسباب عدم الضرب نجهلها[2]، فربما يصلح بعض قواد جيش دولتنا المظفرة.

فقصد دولة الأمير التوجه الى أبها مباشرة، ولما كمل ورود الذخيرة أمر عموم الجيش بالسير من أم الجرم الى قوز أبو العير.

العاشر، وقد ازدهرت (حلي) أيام بني دؤيب الذين كانت حاضرتهم (الصحارية) وكان لها ميناء يسمى (الشرجة) بين (النقتى) و (دهبان)، وقد اندثرتا اليوم، والآن توجد محلة اسم الشرجة وليست هي الميناء المذكورة ولكن محطتها، وحلّ محلها ميناء (مخشوش)].

(١) [الأسكلة: الميناء].

(٢) ولعلها الرشوة.

فسرنا في يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة الساعة العاشرة نهاراً ، وكان عدد الجند المنتظمين أربعة آلاف وثمانمائة ، ونزلنا بوادي عجلان ، وبتنا هناك ، وبعد صلاة الصبح سار الجيش بقيادة دولة الأمير ، وأقبلنا على قوز أبو العبر في منتصف الساعة الثانية من اليوم المذكور ، فقابلنا الجيش المظفر الموجود هناك من العرب والأتراك وكان الجميع فرحين مسرورين بقدوم دولة الأميرعليهم ، وكانتالقواد قد نظمت الجيش لمقابلة دولته ، وصاروا يطلقون النار من أسلحتهم والفرسان تركض بخيلها أمام ركابه ، حتى شرف السرادق المخصوص لنزول دولته فيه . وفي يوم الأربعاء التاسع منه وفد على دولته عربان تهامة الذين كانوا يحاربوننا بالأمس ، ومعهم مشايخهم وهم في غاية الخضوع والذلة ، مظهرين ندمهم على ما حصل منهم ، طالبين العفو عنهم ، مستعدين لأداء ما عليهم من الزكاة المفروضة شرعاً ، فعفا عنهم دولته حفظه الله ، وكسا مشايخهم وولى عليهم أميراً من الأشراف من طرفه وهو الشريف شنبر ، لجمع الزكاة منهم وتسليمها الى قائمقام القنفذة .

وفي يوم الخميس العاشر منه حضر مشايخ وادي (حلي) وهم :

أحمد التمي ، وابن الضغير ، والشيخ عجي ، ومعهم مشايخ وادي يبا ، وهم : علي بن مديني ، وابن خيره ، والبيطلي السابق ذكرهم ، وهم كانوا من أعظم أنصار الادريسي لأن قبائلهم أعظم قبائل تهامة في العَدد والعُدد ، وهم مشهورون بالشجاعة ، غير أنهم لا يركبون الخيل ولا الهجان لعدم وجودها في ديارهم ، بل هم أهل فلاحة وزراعة ، فلما اجتمعوا بين يدي دولة الأمير قام دولته فيهم خطيباً وألقى عليهم النصائح الغالية ، وأمرهم بعدم شق عصا الطاعة وعدم الخروج على مركز الخلافة الاسلامية ، وحذرهم من دسائس المفسدين ، فلما سمعوا نصحه بثوا لدولته شكواهم من الادريسي وأظهروا أنه أثر عليهم بدهائه ، وخدعهم بمكره حتى أطاعوه ، ونحن الآن قد

حصحص لنا الحق فنطلب العفو من أمير القبلة عما مضى، وسنكون من الآن من أشد المخلصين للدولة العلية، ولا نسمع فيها وشاية أي واش من المفسدين، فعفا عنهم وأمرهم بأداء الزكاة للدولة العلية، فامتثلوا خاضعين وانضموا لجيشنا لمحاربة العصاة.

وفي هذا التاريخ قدم علينا باخرتان حربيتان عثمانيتان وأصدر دولة الامير لهما الأمر بالتوجه لضرب ثلاث جهات على شاطىء البحر الأحمر وهي: الشقيق، والوسم، والبرك، لأن هذه الجهات الثلاث هي مصدر السلاح الأوربي الــذي يرد من مصوع، وجيبوتي، وعــدن، من الــدول الاجنبية المعادية للدولة العلية باسم الادريسي، وهو يوزعه على القبائل الموالية له.

وقبائل تلك الجهات الثلاث هم أشر القبائل المعادية للدولة، لأنهم متغالون في حب الادريسي، وذلك لأن منهم قوماً يذهبون الى المرافىء الاجنبية للإتيان بجميع ما يلزم للادريسي، وقد امتلأت قلوب هؤلاء القوم من كراهة الدولة العلية بسبب ما يسمعونه من الأجانب الذين لا يفتر لسانهم عن ذمها لكونها اسلامية فكانوا إذا حضروا يبثون في قبائلهم ما سمعوه عن الدولة العلية، ويصفونها بكل مكروه واظهار فضل الدول الاجنبية، وأنها منبع العدل والانصاف، وتسعى في راحة رعاياها الى غير ذلك مما جعل هذه القبائل تكره الدولة وتتمنى لها الفناء. وشيخ هذه القبائل هو علي بن عبده[1]، المقيم بالبرك، وكان دولة الامير قد أرسل له ينصحه بعدم العصيان، ويأمره بالطاعة لدولتنا العلية، فلم يزد الا عتواً ونفوراً، فلما يئس الأمير منهم وتحقق عنده أن تلك الجهات هي منبع الفساد لعموم أهل

---

(١) [محمد علي بن عبده].

اليمن أمر قائد البواخر الحربية بالتوجه لها وضربها ، فتوجهت البواخر ، وضربت البرك المقيم بها رئيس هؤلاء العصاة الشيخ علي[1] المذكور فخربتها البواخر بقذوفاتها ، وهرب هو الى صبيا قاصداً رئيسه في الفساد الادريسي .

وبعد ذلك توجهت البواخر الى مرفأ الشقيق فقتل من أهلها من قتل ، وهرب منهم من هرب .

ثم ذهبت البواخر الى الوسم لضربها أيضاً فاجتمع أهلها من رجال ونساء وأطفال على شاطىء البحر أمام البواخر وصاروا يهللون ويكبرون ويضربون البواخر بالرصاص وهم يقولون : (المدد يا مهدي الله يا ادريسي) وكل منهم يعتقد أن نار البواخر ورصاص العدو لا يؤذيهم أبداً ، كما أخبرهم بذلك امامهم الادريسي وعندهم يقين تام بذلك .

وبعد أن ضربوا البواخر بالرصاص أمر رئيس البواخر بإطلاق نارها عليهم فأطلقت عليهم حتى أحرقتهم ومات منهم بين ذكر وأنثى وطفل ما يزيد عن ستمائة شخص وفر الباقون هاربين .

فأمر رئيس البواخر بنزول الجيش الى البلد ، فلما شعر أهلها بنزول العساكر الشاهانية فيها ، رفعوا علماً ايطاليا على منزل كائن وسط البلد ، فصوبت باخرة نارها عليه فألقته وهدمت المحل الذي نصب عليه ذلك العلم ، وانبث الجيش في القرية للبحث عن رافع هذا العلم الطلياني ، فقبضوا على شخص مختبىء فاعترف بأنه هو الذي رفع العلم الطلياني بأمر الادريسي ، فإنه أخبر أهل هذه الجهة انه متى رفع هذا العلم على ديارهم صاروا في مأمن من عدوهم ، لأن أصحابه يدافعون عنهم متى رفعوه وهم لا يدرون من أصحابه لبساطتهم وسذاجة عقولهم ، فحسبنا الله ونعم الوكيل في

(١) [محمد علي].

هذا الرجل الفاسق الباغي الخارج عن الدولة الاسلامية، ولا شك أن هذا وأمثاله لا يرجى منهم خيراً أصلاً، لأنهم اتخذوا الكافرين أولياء لهم، وباعوا دينهم بدنياهم.

وكان هذا الرجل الغر سبباً في إراقة دم كثيرين من أهل اليمن بتسلطه على عقولهم بدهائه، فضلاً عن خراب بلاد وقرى كثيرة، ومن جملتها هذه المرافىء الثلاثة فإنها لم تضرب الا بسببه، فنسأل الله الكريم ان يكفي الأمة الاسلامية شر هذا الرجل وأمثاله، وأن يخذلهم حتى يبعد عن المسلمين شر الدسائس الاجنبية من الكافرين الذين لا يألون جهداً في بثها بين المسلمين، خصوصاً في بلدٍ مثل مصر إذ فيها من جمعيات الفساد ما لا يحصى، ومن جملتها تلك الجمعية التي أسست مسجداً على روح ملك ايطاليا بجوار أعظم مسجد ديني وهو الأزهر الشريف، ليموهوا على بسطاء العقول بهذه الأفعال، ويوهمون أن الايطاليين مسلمون باطناً، وهذه الجمعية التي أثرت على الادريسي حال وجوده بمصر كما أسلفنا. وهي التي كانت ترسل المنشورات الى العرب بطرابلس الغرب ليرضوا بحكم ايطاليا ويخرجوا من حكم الدولة العلية، ولكن الله سبحانه وتعالى قد خيّب رجاءهم فإن العربي مهما كان بسيطاً لا يقبل حكم النصراني بحال أصلاً.

وادي يبا

ولنرجع الى الكلام السابق فنقول: وادي (يبا) خصب التربة كثير المزروعات يأتيه الماء من جبل الحجاز، والأراضي المزرعة به يبلغ قدرها سبعين ألف فدان تقريباً، من أجود الأطيان، ومساحة الوادي[1] من

---

(١) [يقصد طول الوادي].

الشرق الى الغرب سبعون كيلومتراً ، ومن الشمال الى الجنوب ثمانية آلاف متر تقريباً . ويزرع في كل عام ثلاث مرات ، ومزروعاته : الذرة ، والدخن ، والسمسم ، والبلة ، والليمون ، والخضر بكثرة ، وطينته صفراء ، وهو مقسم الى حياض كتقسيم الأراضي الزراعية بمصر ، وبهذا الوادي آبار كثيرة لسقي الأرض ، غزير الماء ؛ أما أشجاره فكثيرة إذ كل قطعة أو حوض فهي محفوفة بأشجار الاثل بشكل منتظم حتى أن المقبل على الوادي يظنه غابة لكثرة الأشجار فيه .

ووادي (حلي) بهذا الشكل أيضاً الا أنه أكبر من وادي (يبا) في الحجم وأكثر في الخيرات ، اذ مساحته توازي ثلاثة أمثال وادي يبا .

ومكثنا بقوز أبو العير من اليوم العاشر من جمادى الآخرة الى اليوم الحادي والعشرين منه ، وفي هذا اليوم أمر دولة الأمير بالرحيل فقام الجيش ومعه قبائل : يبا . وحلي[1] ، الذين انضموا لجيشنا ، وكان عدد الابل الحاملة للذخيرة ألفي جمل من قبيلة حرب القاطنين أهلها بين مكة والمدينة . وفي مدة اقامتنا في وادي يبا كانت الابل وهي ألفان والهجان وهي أربعة آلاف ، والخيل وهي خمسمائة ، والبغال وجميع الدواب التي مع العرب تأكل من الحبوب المتروكة من العصاة حتى ارتحلنا . وهي لم تنفد لكثرتها .

وادي مشرف وسوق الجمعة

ثم سار الجيش ولم نزل سائرين الى الليل . وبتنا أثناء الطريق ، ونهضنا بعد صلاة الصبح ، وسرنا حتى أدركنا القيلولة فقلنا في ربوة على طرف وادٍ

---

(١) [لم ينضم الى جيش الشريف أحد من رجال القبائل . وانما هذا من زيادات المؤلف] .

اسمه مشرف، حسن المنظر، كثير الأشجار والانهار تجري فيه، ونصبنا خيامنا على غدير ماء، مربع الشكل، ثم نهضنا من هذا الوادي في الساعة التاسعة مساء يوم الأحد الثاني والعشرين منه، ونزلنا الساعة الاولى من ليلة الاثنين بسوق الجمعة وهو المرحلة الحادية عشرة من مكة وهو لقبائل تسمى ربيعة[1]، وفي كل يوم جمعة تجتمع القبائل من جميع الجهات في هذا المكان للبيع والشراء، وعدد من يحضر بهذا السوق في يوم الجمعة يربو عن[2] عشرين ألف نفس، ولا يمسي المساء الا وهم متفرقون كل الى وطنه.

وجميع أهل اليمن وأغلب أهل الحجاز لهم أسواق يجتمعون بها في أيام مخصوصة ومن عوائد أهل اليمن المتعاهدين عليها أن كل سوق من أسواقهم يكون حفظه على أهل جهته لمنع اعتداء الحاضرين على بعضهم[4]، حتى إن القاتل اذا حضر السوق وتقابل معه خصمه لا يقدر أن يمسه بسوء ؛ بل يتحادثان مع بعضهما، وكل في مأمن من الآخر، فإذا تفرقا ووصل كل الى وطنه رجعا أعداء كما كانا، ومن خالف هذه العادة وقتل خصمه قتل من قبائل الجهة الموجود بها السوق، ويكون دمه هدراً، وهذه المعاهدات المبرمة بينهم هي التي تجعل أسواقهم عامرة، وهي قاعدة قديمة من زمن الجاهلية.

ومكان السوق الجمعة الذي نزلنا فيه، واد منحصر بين جبال، والمياه تجري فيه بكثرة، وبتنا هناك وقلنا به، وبعد القيلولة أمر دولة الامير بالرحيل، فرحلنا الساعة الثامنة مساء الاثنين الثالث والعشرين منه، ونزلنا في ربوة ماؤها غزير في طرف هذا الوادي، وبتنا هناك، وسرنا

---

(١) [ربيعة القاطرة، وتسمى ربيعة الشام].

(٢) عن: علي.

(٤) بعضهم على بعض.

الساعة الحادية عشرة صبيحة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين منه.

وبينما نحن سائرون في وسط الوادي بين مياهه اذ شعرنا أن القوم كامنون لنا في مضايقه المسماة، بريع الحجاية ،وقد حصنوا أنفسهم تحصيناً تاماً، فلما علم دولة الامير بذلك رتب الترتيبات اللازمة، وجمع الجيش كله من عرب وأتراك، وأخذ الكشاف (المنظار) بيده لاكتشاف القوم، حتى عرف مكامنهم فلما عرفها تماماً، أمر باتجاه[1] المدافع اليهم، وكان دولته قائداً لها وبجانبه نشأت باشا.

ثم أمر كافة الأشراف والعربان والعساكر النظامية والجندرمة ان يتسلقوا الجبال المقابلة للعدو، وأمر بإطلاق المدافع فصارت ترسل مقذوفاتها على استحكاماتهم حتى دمرتها، ثم هجم الجيش بأجمعه عليهم ودام القتال بيننا وبينهم الى أن انهزموا بعد ساعتين من الزمن، ووجدنا من قتلاهم سبعة بخلاف الذين حملوهم، وقتل من قومنا نفر من عساكر بيشة، وآخر نظامي.

ثم نزلنا الساعة الرابعة يوم الثلاثاء المذكور، ورتب دولة الامير على كل جبل كميناً يراقب القوم خوفاً من هجومهم علينا ليلاً، ثم بتنا في مكاننا، وسرنا منه منتصف الساعة الثانية عشرة صباح يوم الأربعاء الرابع والعشرين منه[2] وقلنا في مكان اسمه، الزبارة، وسط الوادي، وهو المرحلة الثانية عشر[3] من مكة وبتنا به.

---

(١) [توجيه].

(٢) [يقصد الخامس والعشرين اذ أرّخ لليوم السابق بالتاريخ نفسه].

(٣) [الثانية عشرة].

معركة سهول

وفي صباح الخميس الخامس والعشرين منه، سرنا الى الساعة الحادية عشر[1]، وفيما نحن سائرون وسط الوادي والجبال الشاهقة تحفنا من الجانبين، ونحن في مضايق عسرة المسالك، اذ حضر العيون الذين في المقدمة لكشف مكامن العدو، وأخبروا دولة الامير أن القوم عندما انهزموا في القتال الأول جمعوا أنفسهم وكمنوا لنا في مكان يقال له: سهول، وهو من أعسر المضايق، وعددهم يزيد عن[2] سبعة آلاف مقاتل، والقائد لهم ابن عرار نائب الادريسي بتلك الجهة.

فرتب دولة الامير الترتيبات اللازمة، ولما أقبلنا على مكامن القوم بادرناهم من بُعد بضرب المدافع، ولما كشفنا المضايق الكامنين فيها وجدنا الطريق يمر وسطها ولا يوجد لنا طريق خلافه، فهناك أيقنا بالهلاك، وتعاهد الجيش بأجمعه على اقتحام هذا الطريق الذي لا يوجد غيره للوصول الى أبها التي نريد فك حصارها، اذ لو سقطت في أيديهم لا يمكن ردها الا بعد تضحية آلاف من الأنفس، لذلك صار دولة الامير يشجع القوم على القتال، وقد استمر تسع ساعات، والمدافع الجبلية و(المكسيم) و(المترليوز) تقذف عليهم نيرانها، والاشراف العرب تهجم عليهم من كل جانب، حتى انجلوا عن مكامنهم وانكسروا شر كسرة، وولوا مدبرين، وتبعهم أبطالنا، ولم يزالوا وراءهم حتى أجلوهم من كافة مضايق سهول، وذهبوا الى وادٍ فسيح اسمه: بارق، ولما برحوا من الوعر الى السهل اقتفى أثرهم الفرسان من جيشنا، وصاروا يضربونهم بالسلاح الابيض حتى دارت عليهم الدائرة،

---

(١) [الحادية عشرة].
(٢) [على].

وتركوا هذا المكان أيضاً ، وبعد ذلك نزلنا في وادي بارق المذكور ، عند قرية تسمى : العُجم وبتنا ليلتنا ، وقلنا فيه اليوم الثاني .

وفي الساعة العاشرة مساء يوم الجمعة السادس والعشرين منه سرنا حتى وصلنا[1] أعلا[2] قرى وادي بارق ، فانتشرت الجيوش بالوادي للغنيمة فوجدوا من الحبوب ما لا يحصى ، فأخذوا ما أخذوا ، وتركوا ما تركوا ، وأهل تلك القرى هم الذين حاربونا تحت قيادة ابن عرار نائب الادريسي ، وهم قبائل شتى وهي قبائل حميضة ، وبني التيم ، وبالقرن ، وآل موسى ، وآل جبلى ، وبعض قبائل ربيعة .

وبعد استقرار الجيش في هذا المكان بساعة ، حضر الشيخ هيازع ، شيخ قبيلة آل موسى ، ووقف بين يدي دولة سيدنا أمير مكة نادماً على طاعته مع قومه للادريسي ، وخروجهم على أمير المؤمنين ، وقال : ان سبب طاعتنا له هو أني ،عند مقابلتي له مع كافة شيوخ تهامة والحجاز أكد لنا أنه هو المهدي المنتظر ، وأخبرونا ان دولة الترك صارت دولة نصرانية تجب محاربتها ، ولجهلنا بأغراضه الشيطانية أثّر علينا حتى اتفقنا على الجهاد ، ومن جملة ما أخبرنا به أننا لو حاربنا الترك لا تؤثر فينا مقذوفاتهم النارية مهما كانت ، بل يكون جيشهم غنيمة لنا حتى اعتقدنا أننا لا نحارب الا كفاراً ، وها قد انعكس الامر علينا يا إمام القبلة ، وسلم جيشكم منا ومن نارنا ، وقتلنا شر قتلة فعرفنا أننا كنا مخدوعين ، وأن كل من خالف أوامر أمير المؤمنين ، وشق عصا الطاعة ، فقد جرّ الوبال على نفسه وقومه ، وقد ندمنا على ما فعلنا فعسى الله ان يعفو عنا ، وها أنا قائم بين يديك يا دولة الامير فافعل بي

---

(١) [وصلنا الى] .
(٢) [أعلى] .

ما بدا لك ، فعفا دولة الأمير عنه وعن قبيلته ، آل موسى في الحال ، وأمر برفع السلب عن باقي قرى بارق إكراماً لهذا الشيخ .

وبعد ساعة حضرت هذه القبيلة أمام سرادق دولة الأمير وشرع أهلها يلعبون بأسلحتهم النارية فرحين بالعفو عنهم وانضم بعضهم الى الجيش لمقاتلة الاعداء .

وادي بارق

ووادي بارق المذكور من أعظم الاودية اتساعاً ، خصب التربة ، خيراته كثيرة ، يزرع فيه السمسم ، والذرة والشعير ، والدخن ، والنيلة ، ولأهله اعتناء تام باستخراج زيت السمسم[1] وإرساله للخارج بكثرة .

وقرى وادي بارق تبلغ خمسين قرية كلها مبنية بالحجر المنحوت الجميل ، والدور فيها من طبقتين الى ثلاث ، ولم نكن نظن أن يكون بهذه الديار اعتناء بالابنية بهذا الشكل .

وتحقق لدينا ونحن هناك ان الذين قتلوا منهم في معركة سهول ست وعشرون[2] ومائة ، ومن جملتهم شقيق ابن عرار نائب الادريسي .

وبتنا في قرية من قرى آل موسى ، تسمى سوق الأحد وهي موضع للبيع والشراء مثل سوق الجمعة المتقدم .

وفي يوم السبت السابع والعشرين منه ،حضر الشيخ عبدالرحمن شيخ

---

(١) الذي يقال له ، السيرج ، والشيرج ، وهو زيت السمسم .
(٢) [ستة وعشرون] .

قبائل بني شهر من أهل تهامة، وطلب من دولة الامير أن يكون مرور الجيش من قبيلته، وكذلك صعود جبل الحجاز مع العقبة المسماة: ساقين، إذ هي لبني شهر أيضاً، فاستحسن دولة الامير رأيه وأجابه الى طلبه، وذلك لأن عقبة محائل التي هي للحكومة، وهي الطريق الرسمي الموصل الى أبها عاصمة عسير هدمت من أسفلها الى أعلاها بواسطة السيد مصطفى عامل الادريسي بتلك الجهة، وذلك لأنه حاصر قلعة شعار الواقعة في رأس العقبة، وامتد الحصار ستة أشهر حتى اضطرت العساكر الشاهانية الى التسليم، فأخذهم أسارى وأرسلهم الى صبيا مقر رئيسه، وأخذ ما كان في القلعة من بنادق ومدافع ثم هدمها حتى لم يبق لها أثر يذكر[1]، ولهذه الأسباب ترك دولة الامير عقبة محائل وسار بجيشه الى عقبة ساقين.

وفي يوم الأحد الثامن والعشرين منه سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف، أمر سيدنا بالرحيل من وادي بارق، فارتحل الجيش بأجمعه وسار معنا الشيخ عبدالرحمن بن ذهيل، ومعه قوم كثيرون من بني شهر، وقد مررنا أثناء سيرنا في أودية عسرة المسالك جداً، ولم نزل سائرين حتى وصلنا[2]، وادي بقرة، التابع لقبائل بني شهر، وهو كثير النخيل والعيون، وبتنا هناك في ضيافة بني شهر، وقمنا منه الساعة الحادية عشر[3] صباح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه قاصدين عقبة ساقين.

---

(١) [دمرت قلعة شعار أيام (عبد الرحمن بن عائض) (١٢٩٧ - ١٣٠٥ هـ) أثناء ثورته ضد الأتراك، ولم يكن للادريسي أي أثر هناك ثم أعيد بناؤها ودمرت في عهد الأمير علي بن محمد بن عائض.

(٢) [وصلنا الى].

(٣) [الحادية عشرة].

عقبة ساقين[1]

وفي منتهى الساعة الواحدة صباح هذا اليوم ،ابتدأنا في صعود العقبة المذكورة ، وهي عقبة عظيمة جداً ، ولبثنا جميع يومنا في صعود ، ثم بتنا أثناء العقبة في محل يقال له: صلبة ، وهي روضة من رياض العقبة على طرف شلال ماء .

وفي الساعة الحادية عشرة صباح يوم الثلاثاء غرة رجب الفرد ،واصلنا الصعود مجدين المسير حتى أدركتنا القيلولة ، فقلنا في روضة يقال لها: براد تحت أشجار متنوعة الأشكال ، ذوات روائح زكية . وبعد القيلولة نهضنا وأخذنا في الصعود الى أن وصلنا[2] سطح العقبة منتهى الساعة الثالثة من ليلة الاربعاء ثاني رجب ، ونزلنا في واد يسمى: تنومة ، لبني شهر أهل الحجاز ، اذ أن قبيلة بني شهر بعضها ساكن فوق الجبل المسمى : بالحجاز[3] ، ويسمون بأهل الحجاز[4]، وبعضهم ساكن بتهامة ويقال لهم: أهل تهامة . وقبيلة بني شهر من أعظم قبائل اليمن وعددهم يزيد عن[5] ستين ألف مقاتل .

---

(١) [هناك أكثر من ١٣٥ عقبة تمتد على أطراف عسير بينها وبين تهامة ،أهمها: ساقين ، شعار ، الصماء ، العوص ، وضلع وغيرها ، وتمتد من بني مالك (بجيلة) جنوب الطائف الى ظهران الجنوب في بلاد سنحان ، ومن هذه العقبات يرتقى من تهامة الى السراة].

(٢) [وصلنا الى].

(٣) [ويسمى جبل الحز ، والطور].

(٤) [أهل السراة].

(٥) [على].

ومكثنا هناك الى اليوم السادس حتى وردت جميع الابل والدواب الصاعدة بالذخائر مع العساكر النظامية، لأن صعود هذه العقبة شاق جداً اذ يبلغ ارتفاع وادي تنومة عن سطح البحر ثلاثة آلاف متر تقريباً، وبرده في فصل السرطان[1] أقوى من شتاء مكة المكرمة؛ وهواؤه أجمل من هواء جبل لبنان الموجود بالشام، وقد أقمت في جبل لبنان صيف عام خمس وعشرين وثلثمائة وألف من الهجرة. وكنت أظن في ذلك الوقت أنه لا يوجد ما يماثله في جودة الهواء، فلما رأيت هذا الوادي وجدت فرقاً عظيماً بينهما.

وهذا الوادي تابع لقائمقامية النماص، وهي من أقضية لواء عسير، وتسمى هنا: بقضاء بني شهر.

وفي الوادي المذكور نهر عظيم يتفرع منه جداول تجري فيه من كل جانب، ويزرع في هذا الوادي: الحنطة، والشعير، والعدس، بكثرة وثمنها عندهم رخيص جداً فكل تسعة أمداد من البر بريال، وكل ثلاثة عشر مداً من الشعير بريال، وكل ثمانية أمداد من العدس بريال، هذا عند ارتفاع الأثمان، أما الثمن المعتاد بينهم فهو كل اردب من البر بثلاثة ريالات، وكل أردب من الشعير والعدس بريالين.

وجميع أهل الشرق، ونجد، وبيشة، يفدون على بني شهر القاطنين بجبل الحجاز بالتمر، والابل، والخيل، ويشترون منهم الحبوب. والريال المستعمل بينهم هو الريال الفرنسي المسمى: بأبي طيره، وهو يساوي عشرة قروش مصرية وجبل الحجاز المذكور يفضل عن غيره بأربعة أشياء: بجودة السمن،

(١) [وهو ثلاثون يوماً من أول أربعينية الصيف، أي من ٢١ حزيران حتى ٢١ تموز].

بسبب جودة المرعى ، وغنمه لا يوجد أحسن منها ، وماءه[1] من أعظم المياه وأخفها ، وهو شديد البرودة في فصلي الاسد والسنبلة كأنه مثلج ، أما في أيام الشتاء فإن جميع المياه به من غدران ، وأنهار ، وآبار تتجمد من شدة البرد ، وسكان هذا الجبل في غاية القوة وسلامة البدن .

جبل الحجاز

وانما سمي هذا الجبل بالحجاز لأنه الحاجز بين تهامة ونجد ، وأقل ارتفاع فيه عن سطح البحر ألفا متر ، ومساحته واسعة جداً ، ويحده من جهة الشمال عقبة (الكري) ، التابعة للطائف ، ومن جهة الجنوب جنوب صنعاء بأربعة أيام،وطوله من الشمال الى الجنوب احدى وأربعون مرحلة ، وكل مرحلة سير يوم بالابل المحملة ، وهي أربعون كيلومتراً ، وسأذكر لك تفصيل بعضها : فمن الطائف الى أبها عاصمة عسير خمسة عشر[2] مرحلة ، ومن أبها الى صعدا[3] سبع مراحل ، ومن صعدا الى شهارة ثمان مراحل ، ومن شهارة الى صنعاء عاصمة ولاية اليمن سبع مراحل ، ومن صنعاء الى نهاية جبل الحجاز[4] جنوباً أربع مراحل[5] وعدد سكان جبل الحجاز على أقل تقدير أربعة مليون ونصف[6] .

---

(١) [وماؤه] .

(٢) خمس عشرة مرحلة .

(٣) [صعدة] .

(٤) [ينطبق هذا الكلام على جبل السراة الواقعة جنوب الطائف وتشمل سراة جنوب الحجاز ، وسراة عسير ، وسراة اليمن] .

(٥) [إن صنعاء ليست على جبل الحجاز ، وانما هي بوادٍ كبير يحيط به عدد من الجبال] .

(٦) [أربعة ملايين ونصف] .

أما من الشرق الى الغرب فلا يتجاوز أربع مراحل ، من أي جهة كانت .

تهامة

وتهامة اليمن السالف ذكرها : هي أرض مبسوطة منخفضة عن جبل الحجاز انخفاضاً عظيماً : وهي واقعة بين جبل الحجاز والبحر الأحمر ، شديدة الحرارة ، كثيرة الاودية فلا يبعد الوادي فيها عن الآخر أكثر من ثلاث أو أربع ساعات ، وجميع الأودية تشرب من السيول التي تهبط من جبل الحجاز المذكور ، وكافة أودية تهامة جيدة صالحة للزراعة ، وتزرع بماء السيل الذي يأتيها من الجبل ، في السنة ثلاث زرعات .

وتهامة اليمن : تبتدىء من جهة الشمال بقائمقامية الليث ، التابعة لامارة مكة ، وفيها أمير مولى[1] من قبل دولة أمير مكة ، ويحدها من الجنوب بلاد سلطان لحج ، وعدن . وعدد مراحل تهامة من جهة الشمال الى الجنوب أزيد من خمسين مرحلة ، وجميعها آهلة بالسكان اذ يبلغ عدد أهل تهامة على أقل تقدير خمسة ملايين[2] .

وجبل الحجاز الفاصل بين تهامة ونجد آهل بالسكان ، وقراه متصلة ببعضها[3] فإذا سافر مسافر من الشمال الى الجنوب ، فإنه يكون دائماً بين مزروعات وأشجار وأودية كثيرة المياه والمرعى ، وجميع الجبل بهذا الشكل ،

---

(١) معيّن .

(٢) [يغالي المؤلف بعدد السكان ، أو قدّر ذلك حسب أقوال مشايخ القبائل الذين يريدون زيادة عدد قبائلهم] .

(٣) [متصلة بعضها ببعض] .

وكافة قراه مبنية بالحجر المنحوت ، ودورها من طبقتين الى ثلاث ، ولا يوجد فيه أكواخ مثل تهامة .

وأما نجد فهي في الجهة الشرقية من جبل الحجاز ، وهي سهل[١] منخفض عن جبل الحجاز بخمسمائة متر فأقل .

وفي اليوم الثاني من وصولنا وادي تنومة المذكور ،وهو يوم الخميس ثالث رجب ، وفد على دولة الامير قبائل بني شهر تحت رئاسة نجل شيخهم (فائز) . ورئيسهم الأكبر هو سعيد بن غرم والد فائز المذكور لم يحضر لأنه كان محصوراً بأبها ، وهذه القبيلة هي المخلصة للدولة العلية ، ولم تمل للادريسي أصلاً ، بل رفضت طاعته ، وذلك لكثرة المراسلات بينهم وبين دولة أمير مكة ، حتى إنه صدّ الادريسي عن جهتهم . والشيخ سعيد بن غرم المذكور ، أشرف أهالي الحجاز جاهاً ونسباً ، حتى إن سيدنا المرحوم الشريف محمد بن عون[٢] أمير مكة صاهرهم ، فأعقب من هذا البيت دولة سيدنا المرحوم الشريف علي والد دولة سيدنا الشريف حسين باشا أمير مكة الحالي .

وكان الادريسي تمكن من خداع قبيلة من بني شهر يقال لها : بني يتلا

---

(١) [يقصد غير مرتفعة ، وانما هي هضبة] .

(٢) الصحيح انه محمد بن عبدالمعين بن عون وزوجته الشهرية كان اسمها صالحة وكنيتها أم علي [والحقيقة أن المصاهرة ليست بين محمد بن عون وهذه الأسرة ، وانما هي بين عبدالله وبين الأسرة المذكورة ، اذ نزوج عبدالله بن محمد بن عون صالحة بنت فايز بن عزم العسبلي جد فايز بن سعيد المذكور ، وأمها عائشة بنت الامير عائض بن مرعي ، وصالحة أم أولاد الشريف عبدالله ، ومن بناتها أيضاً عابدية التي تزوجها الشريف حسين بن علي أمير هذه الرحلة وهي أم أنجاله ومنهم الامير (عبدالله ملك الأردن)] .

وشيخهم شبيلي بن عريف فوالوه، ولما وصل[1] دولة الامير وادي تنومة، امتنع هذا الشيخ من مقابلة دولته خجلاً، أما قبيلته فقد امتثلت جميعها لطاعة دولة الامير.

وعين الامير الشيخ سعيد بن غرم بك قائمقام لقضاء بلدة (النماص)، وجعله شيخ مشايخ كافة بني شهر[2]، وعنده نيشان من الدولة العلية لخدماته الجليلة، ونجله فراج بك مبعوث بمجلس المبعوثان بالدولة[3] عن قبيلة بني شهر.

وبعد صلاة صبح اليوم الثامن من رجب حضرت العيون وأخبرت دولة الامير أن قوم الادريسي كامنون في عقبة تسمى دهماء، تحت قيادة الشيخ محمد بن دليم شيخ قبائل قحطان، وهذه العقبة من أعسر العقبات، اذ لا يمكن الصعود لها الا فرداً فرداً، من الطريق العمومي، وعدد قومه الكامنين خمسة آلاف.

فأمر دولة الامير حفظه الله بترتيب الجيش من عرب وغيرهم، وأمر بتقديم المدافع أمام الجيش، ولما أقبل الجيش على العقبة اشتبك القتال، فأمر دولة الامير بإطلاق المدافع على مكامن العدو، وقسم الجيش قسمين:

---

(١) وصل الى.

(٢) [مشيخة بني شهر منحصرة من القديم في آل العبلي، وآل العريفي، وآل دعبش، ولم يجعل الشريف أحداً شيخاً، ولم يكن للشريف سلطة على هذه القبائل، ولم تكن هذه القبائل وغيرها من قبائل عسير مخدوعة بالادريسي، وانما سارت معه مرحلياً، لاتفاق الوقت مع آل عائض الذين يشرفون على هذه القبائل، فلما اختلفوا معه، وأصبحوا بجانب المتصرف كذلك وفدوا بناء على ذلك على الشريف حسين].

(٣) هو المجلس النيابي، وكان مقره عاصمة الدولة الاسلامية استانبول.

قسماً في الجناح الأيمن وقسماً في الجناح الايسر وبقي هو ـ حفظه الله ـ في قلب الجيش ومعه الاشراف ودام القتال أربع ساعات والمقذوفات من المدافع والبنادق متوالية حتى تزلزلت الجبال ، وبعد ذلك انكسر العدو شر كسرة ، وانهزموا تاركين في ساحة الوغى ثمانين قتيلاً ، منهم ثلاثون من قحطان ، وأربعة عشر من قبائل بالأحمر ، واثنا عشر من قبائل عسير ، وسبعة من قبيلة بني يثلا الشاذة من قبائل بني شهر ،وعشرة من قبائل بالأسمر(١) .

وتمّ لنا ـ ولله الحمد ـ النصر ، ودخلنا ديار بالأسمر ، بعد أن جلونا الأعداء عن عقبة دهماء ، وعقبة سدوان ، وانتشر الجيش في قرى بالأسمر لكسب الغنائم فغنم من المواشي والحبوب والأثاث شيئاً كثيراً ، فلما رأى أصحاب القرى ذلك وفدوا على دولة الأمير ومعهم شيخهم علي بن جعدان وصاروا يذرفون دموع الندم ، على ما حصل منهم من العصيان ، حتى لحقهم ما لحقهم من التلف ، وصاروا يصرخون طالبين العفو والرحمة من دولة الأمير فرق لهم قلب دولته وعفا عنهم ، وأمر في الحال بإرجاع ما أخذ منهم ، وأنعم على شيوخهم بالكساوي .

وقد انضم الشيخ وبعض قومه إلى الجيش المنصور بعدما اتضح لهم كذب الادريسي وبهتانه ، وكان هؤلاء القوم يحاربوننا معتقدين أننا كفار ، وأن جهادهم في طاعة الله بناء على التعليمات الخبيثة التي أدخلها في أذهانهم

---

(١) [محمد بن دليم شيخ قبيلة شريف بن عبيدة من قحطان ، وكان من قادة آل عائض ، وقد أبقاه الامير محمد بن عبدالرحمن آل عائض في مكان عندما نزل الى القنفذة ، ولم تحدث أية مقاومة وانما كانت المقاومة من بعض أفراد بالأحمر وبالأسمر من أجل النهب والسلب] .

الادريسي الخبيث، حتى اعتقدوا ان المدة من الهجرة إلى عام ظهور الادريسي زمن فطرة[1] وصاروا يسمونه بزمن الجاهلية في جميع أحاديثهم وذلك لبساطتهم المتناهية.

وكان دخولنا بهذا الوادي المسمى بوادي حوراء، في منتهى الساعة الحادية عشر[2] من يوم الأربعاء مساء تاسع رجب، وقد قتل من جيشنا في هذه المعركة ثلاثة: اثنان من العساكر النظامية، وواحد من العرب.

وادي حوراء

وهذا الوادي كثير المزروعات، خصب التربة، ومحصولاته من: البر، والشعير، والذرة، كثيرة. وجباله مملوءة بأشجار العرعر، واللوز، والتين، والعنب، والخوخ، وغير ذلك من الفواكه، وبهذه الجبال ينابيع طبيعية خارجة من جوف الصخور، ينحدر ماؤها بشكل غريب إلى وادي حوراء، ومنظر هذا الوادي جميل للغاية، وقراه متصلة ببعضها، وبه عيون ماء كثيرة تسيل على وجه الأرض.

ولما استقر بنا المقام بهذا الوادي أقبل علينا رجال قبائل بالأسمر نادمين على ما حصل منهم، قائلين: إننا بلا شك نستحق ما حل بنا من الذل والهوان، وسنكون من الآن من أخلص رعايا جلالة أمير المؤمنين، وسيادة دولة الشريف إمام القبلة، وإننا مستعدون لدفع الزكاة الشرعية على التام، فأمرهم دولة الأمير بإحضارها، وإرسالها معه إلى أبها، عاصمة

---

(١) لعله يقصد: زمن فترة.

(٢) الحادية عشرة.

عسير، فأحضروا الزكاة التي كانت مؤخرة عليهم، محمولة على إبلهم لتوصيلها إلى أبها وتسليمها للمتصرف.

قرى بالأسمر

ثم أمر دولة الأمير بالرحيل صباح يوم الخميس عاشر رجب سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف، فسرنا حتى نزلنا في قرى بالأسمر في مكان يسمى (سوق الاثنين) وأقمنا يومين.

قرى بالأحمر

ثم رحلنا صباح يوم السبت ثاني عشر رجب. قاصدين قرى قبيلة بالأحمر، فوصلنا الساعة التاسعة مساء اليوم المذكور قرى[1] واد يسمى (عمق)، وفي الجهة الجنوبية من هذا الوادي، عقبة يقال لها(بيحان).

ولما نزلنا في هذا المكان قدم العيون على دولة الأمير وأخبروه بأن قوم الادريسي كامنون لنا في عقبة بيحان، تحت قيادة الشيخ ابن دليم القحطاني، الذي كان قد فرّ منا في الموقعة الأولى، ومعه الشيخ الحفظي من مشاهير رجال ألمع والشيخ الفوية[2]، من شيوخ قبائل شهران، القاطنين في الجهة الشرقية من عسير ومعهم أربعة آلاف وثلاثمائة مقاتل، منهم سبعمائة من أهالي عسير، وألف من رجال ألمع، وسبعمائة من قبائل بالأحمر، وثمانمائة

---

(١) [الى قرى].

(٢) [الفويه: من مشايخ بني واهب من شهران، القاطنين في بيشة، والواقع أنه كان في أبها ولم يكن في هذا المكان، وجميع هؤلاء المشايخ من أتباع آل عائض].

من محايل ، والشقيق ، وصبيا ، ووادي أبو عريش وهؤلاء من أهل تهامة ، وخمسمائة من قبائل قحطان ، التي هي أكبر قبيلة في جزيرة العرب ، وستمائة من قبيلة شهران[1] .

فلما سمع الأمير ذلك رتب الجيش الترتيب اللازم ، لمقابلة العدو ، وأخذ أربعة طوابير نظامية ، وأربع[2] مدافع جبلية ، ورشاشتين من صنف المترليوز ، وجعلهم تحت قيادة دولته ، ولزم الجبل الأوسط .

وأمر طابورين آخرين ، والأشراف ، وألفاً من العربان ، بالسير إلى الجناح الأيمن تحت قيادة نجله عبد الله بك ، وأرسل معنا مدفعين جبليين ، وواحد مترليوز .

وأمر طابورين أيضاً من العساكر النظامية ، وألفاً من العربان ، بأن يكونوا في الجناح الأيسر تحت قيادة نجله فيصل بك ، وأرسل معهم مدفعين جبليين ، وواحد مترليوز .

وبعد أن تمت الترتيبات ، ووقف كل قائد منهم في مركزه ، أطلقت المدافع على استحكامات العدو ، وصار الجيش يتقدم إلى الأمام ، وكان مبدأ القتال الساعة السابعة مساء من يوم الأحد ثالث عشر من رجب ، واستمر إلى منتهى الساعة الأولى من ليلة الاثنين الرابع عشر منه ، وافترق الجيشان على غاية من التعب .

وفي صباح يوم الاثنين وقت الاسفار اشتبك القتال بالبنادق والمدافع ،

---

(١) [ما ذكر من هذه القبائل لم تكن في هذه الاماكن أبداً ، وانما كانت في حصار أبها مع آل عائض ، فلما فك آل عائض الحصار سمحوا لهذه القبائل بالعودة الى ديارها] .

(٢) [أربعة مدافع] .

وكان الأعداء يصيحون بنا : أتبغون فك حصار أبها؟ وتخليص النصارى الموجودين فيها؟ ووالله ، وحق محمد المهدي الادريسي[1] لا تصلون إليها بحال أبداً ، وسيكون هذا الوادي مقبرة لكم ، ويكون ما معكم غنيمة لنا كما أخبرنا المهدي بذلك بوحي من الله[2].

فلم يأت آخر الساعة العاشرة من اليوم المذكور حتى انكسروا شر كسرة .

ولم نزل وراءهم نقتل فيهم حتى ملكنا العقبة ، من شرقها إلى غربها ، ولما انجلوا عن العقبة بأجمعها سجد دولة الأمير - حفظه الله - شكراً لله على هذا النصر العظيم وامتلاك تلك العقبة .

ثم أمر العساكر النظامية ، والجندرمة ، بالصعود إلى أعلى العقبة والمبيت بها ، للمحافظة عليها ، وبقي دولته مع باقي الجيش بوادي بيحان .

عقبة بيحان

وفي صباح يوم الثلاثاء الخامس عشر من رجب ،سرنا من قرى بيحان ، وصعدنا العقبة ، وهي عسرة المسالك ، كثيرة الأشجار ، ومنظرها من أجمل المناظر ، وبها قرى كثيرة ؛ فأخذ الجيش ما كان بها من المتاع .

---

(١) إنه ليس لأحد حق على الله - جل وعلا - يطلب به النصر ،وإن الله لذو فضل على الناس ، وإن من يكتم العلم ، ويترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أشد وزراً من الجاهل .

(٢) [كان حصار أبها قد انتهى ، وكلام المؤلف من خياله - يريد اضفاء صفة القتال - وعظمة أميره وانتصاراته الوهمية] .

وادي صبح

ولم نزل سائرين حتى وصلنا[1] قرى من أملاك بالأحمر في وادٍ يسمى: وادي صبح وكان ذلك في الساعة التاسعة آخر اليوم المذكور، فنزلنا هناك. وهو وادٍ خصب جداً، كثير البساتين والأشجار، ويزرع فيه البر، والشعير، والذرة، والسمسم، والبرسيم، والأنهار فيه بكثرة، وجباله كأنها رياض، تحفها الأشجار من العرعر، واللوز، والتين وغيرها من النباتات ذوات الرائحة الذكية، وهواء هذا المكان جميل جداً، وماؤه من أحسن المياه.

ولما استراح دولة الأمير في سرادقه، ونزل الجيش بأجمعه أقبلت قبائل بالأحمر تحت قيادة شيخهم محمد بن محص[2]، والكل خاضعون ممتثلون، وطلب شيخهم من دولة الأمير الأمان والرحمة له ولهم، فأمنهم دولته، وكسا شيخهم وكبارهم؛ وصاروا يسخطون على الادريسي كما سخط عليه غيرهم ممن قبلهم؛ وتعاهدوا بأداء الزكاة للدولة، وإرسالها لمركز عسير العمومي أبها، وتعاهدوا على ذلك، فأمر دولة الأمير جيشه برد أموالهم إليهم، فلما رأوا ذلك من دولة الأمير انضموا لجيشه ورغبوا في محاربة الادريسي ومن معه ثم أخبرونا عن ما قتل منهم، ومن باقي القبائل فإذا عددهم خمس وسبعون[3]: تسعة من رجال بالأحمر، وعشرة من رجال ألمع، وثلاثة عشر

---

(١) [حتى وصلنا الى].

(٢) [هذا الاسم غير موجود في عداد مشايخ القبيلة، وانما كان بعض قطاع الطرق يغيرون على الجيش، وعندما يهزمون يدّعون مشيخة القبيلة لينالوا الأعطيات، وهذه الغارات هي التي يسميها المؤلف المعارك، وشيخ قبائل بالأحمر من آل محيا وهي فيهم من القديم].

(٣) [خمس وسبعون: خمسة وسبعون].

من قحطان ، وخمسة عشر من أهالي صبيا ، وتهامة ، وعشرون من شهران ، وثمانية من قبائل عسير.

عقبة صبح ومعركتها .

وفي صباح يوم الخميس سابع عشر رجب سنة تسع وعشرين وثلثمائة وألف سرنا قاصدين عقبة يقال لها : عقبة صبح ، فلما أقبل عليها أوائل جيشنا ، أطلق العدو نيرانه ، فاشتبك القتال بيننا وبينهم ساعتين ، وبعدما قطعنا العقبة مررنا بأودية خصبة ، مغطاة بالأشجار ، تجري فيها المياه بكثرة ، ولم نزل سائرين حتى وصلنا وادياً[1] يقال له : عَبل ، فنزلنا فيه الساعة التاسعة مساء يوم الخميس المذكور .

وهذا الوادي فاصل بين ديار بالأحمر ، وديار قبائل عسير ، وهو وادٍ خصب التربة ، مزروعاته كثيرة ، وبه من أشجار الفواكه ما لا يحصى لكثرتها .

عقبة الدرجة ومعركتها .

وفي صباح يوم الجمعة ثامن عشر رجب ، أمر دولة الأمير بالرحيل فرحلنا ووجهتنا : شعار . وعند منتصف الساعة الثانية حضر عيون جيشنا وأخبروا الأمير : بأن قوم الادريسي كامنون بعقبة يقال لها : عقبة الدرجة ، تحت أعلام أربعة : مع كل علم ألفان وخمسمائة مقاتل تحت قيادة أربعة مشايخ منتدبين من قبل السيد مصطفى المحاصر أبها عاصمة عسير ، وهو نائب الادريسي على جبل الحجاز والقواد الأربعة المذكورون هم : السيد عبد

---

(١) [حتى وصلنا وادياً : حتى وصلنا الى وادٍ].

الرحمن بن دعبش[1] ، ومحمد بن دليم القحطاني[2] ، والفويه شيخ شهران[3] ، وواحد من شيوخ ألمع . وهم ممتدون في العقبة ثلاثة آلاف متر ، من المشرق إلى المغرب ، فأمر دولة الأمير الجيش بأن يكمن في سد جبل أمام العقبة المذكورة ، وأن لا يسير الى الأمام ، ثم رتب ـ حفظه الله ـ الجيش ترتيباً تاماً ووضع أمام كل علم من أعلام العدو مدفعين جبليين ومدفعاً متراليوز ، وطابورين من العساكر النظامية .

وقسم الجيش العربي والأشراف قسمين :

قسماً في الجناح الأيمن تحت قيادة عبد الله بك ، وقسماً في الجناح الأيسر بقيادة فيصل بك .

وأمر العساكر النظامية بالصعود على رؤوس الجبال ، ومعهم المدافع لمقابلة العدو وجهاً لوجه ، ثم أمر ـ حفظه الله ـ أرباب المدافع بضرب

---

(١) [أحد مشايخ قبيلة آل الوليد من بني شهر ، وكان ابنه ظافر من قادة آل عائض ، وكانا في معية الامير حسن عند استقباله الشريف] .

(٢) [محمد بن دليم القحطاني : هو محمد بن دليم بن فردان ، وليس محمد بن دليم بن شايع شيخ قبيلة شريف من عبيدة] .

(٣) [ألفوية : هو محمد ألفوية شيخ قبائل بني واهب من شهران ـ كما مر معنا ـ وشيخ قبائل شهران هو سعيد بن عبد العزيز بن حسين بن مشيط الرشيدي ، إلا أن المؤلف لا يعرف مشايخ القبائل ، وبعض قبائل شهران يرأسها أيضاً ابن نهادة وهي قبائل ناهس الذين مقرهم منطقة (يعرى) .

وابن مشيط شيخ شهران كلها ، وهو من قبيلة الحباب التي تحالفت مع شهران ، وكانت مشيخة شهران في آل حناظل من ناهس ، ثم آلت الى أبي السرح ثم الى آل حمدان وناهس ، وشهران ، وبني واهب من خثعم من الأزد ، أما الحباب فهم من سنحان بن عامر من الأزد] .

الاستحكامات التي شيدها العدو بالعقبة، ووضع فوقها أعلامه، فاشتبك القتال بيننا وبينهم، ودام ست ساعات، والمدافع تقذف نيرانها عليهم، وجيشنا يتقدم بين نار الرصاص من الطرفين، ولما رأى دولة الأمير أن القتال سيطول، أشار على رجال المدافع بأن يوجهوا مقذوفاتها نحو الراية المنصوبة من العدو تجاه دولة الأمير، فحرر أحدهم مدفعه على راية العدو المذكورة فرماها، وقتل تحتها ثمانية أشخاص. فلما سقط العلم ولى الأعداء هاربين، وانتشر القتال بينهم فانكسروا شر كسرة، وشتت الله شمل هؤلاء البغاة، وانجلوا عن العقبة، وصعد جيشنا سطحها، واقتفى فرسان العرب أثر العدو يقتلون فيهم حتى انجلوا عن مكامنهم انجلاءً تاماً.

وقتل منهم في هذه المعركة ما يزيد عن مائتين[1] من قوم الشيخ مصطفى المحاصر لأبها عاصمة عسير الذي مات فيها أثناء الحصار بسبب الجوع ما يزيد عن[2] خمسة آلاف نفس.

ولما شتت الله شمل العدو، وتفرقوا باكين على من فقد منهم في ساحة الوغى ووصل الخبر إلى مصطفى عامل الادريسي المحاصر لأبها وأيقن بشتات شمل قومه، ولّى هارباً من جبل الحجاز إلى تهامة، وترك أمواله وكنوزه التي كنزها من الفضة والذهب وجميع ما يملكه في قصره الموجود في قرية من قرى عسير[3]، ولما شعر أهل القرية بفرار أميرهم أطلقوا المسجونين من العثمانيين

---

(١) [ما يزيد عن مائتين: ما يزيد على مائتين].

(٢) [ما يزيد عن خمسة آلاف: ما يزيد على خمسة آلاف].

(٣) [لم تكن قرية مصطفى هذا في عسير وإنما في تهامة، وهو من أهالي صبيا، كان يبيع فيها العطر، وأصله من المغرب، وتربى في بيت أحد النعامية السادة، ثم التحق بخدمة الادريسي، وهذا من أخطاء المؤلف].

ومن العرب غير الموالين لهم، ويربو عددهم عن[1] خمسمائة شخص، وبعد أن أطلقوهم من سجنهم اقتفوا أثر أميرهم حتى لحوه في منتصف العقبة أثناء نزوله، ولما أبصروه صاحوا صيحة واحدة وقالوا له: قف يا ساحر، فإنك سحرتنا وخدعتنا بأضاليلك، أنت والشيطان الادريسي حتى خرجنا عن طاعة الدولة واتبعناكم، فنزل ما نزل بنا من البلاء، فلما سمع الرجل ذلك وقف خائفاً وجلاً حتى أدركوه، وأخذوا يضربونه بالعصى حتى صرعوه، وأخذوا ما كان معه من الأموال وجردوه من ثيابه، ولم يتركوا عليه سوى مئزر يستر عورته، ثم تركوه في أسوأ حال. وهذا بلا شك مآل كل من شق عصا الطاعة، وسعى في التفريق بين الأمة الاسلامية[2].

رسل الإدريسي

ويا ليت هذا الطاغية اقتصر على بث الفتنة في أنحاء عسير، بل أراد أن يبثها في جميع أنحاء جزيرة العرب.

وذلك أنه كان يرسل رسلاً من قبله، من أهالي صبيا لقبائل العرب بصفة مبشرين بظهور المهدي المنتظر، وأنه قد ظهر بصبيا وهو «الادريسي» وكان مع هؤلاء الرسل قطعة حبل من قطن مكتوب فيها بخطه ـ كما يزعمون ـ ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾ ٣ ـ ١٠٣، وكانوا إذا أتوا قبيلة ذهبوا إلى رئيسها وأخبروه، أنهم قادمون لمبايعته من قبل المهدي، فإن كان من البسطاء وقبل منهم ذلك، سلموه طرف الحبل الموجود

---

(١) [يربو عددهم عن: يربو عددهم على].

(٢) [هذا الكلام غير صحيح، وهو من أخطاء المؤلف، وانما سار مصطفى مغادراً المنطقة ثم أمره بذلك آل عائض عندما أعلنوا فك الحصار في أبها].

معهم ، وأعطوه الورقة المتقدم ذكرها ، وإن كان من العقلاء طردهم ، ولم يوافقهم ولله الحمد ، أحد من قبائل الحرمين الشريفين.

وقد شاهدت بعض هؤلاء المبشرين بنفسي وذلك أني خرجت من مكة في شهر صفر سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف ، قاصداً وادي فاطمة لتفقد بعض مزروعاتنا ، فلما وصلت قريتنا[1] التي تسمى قرية أبي عروة رأيت هناك بعض المبشرين ، من أعوان الادريسي ، المتعهدين ببث الفساد فجلست استمع له ، فصار يحدثنا بكرامات الادريسي التي تقدم ذكرها أول هذا الكتاب[2] وصار يخبر أنه هو المهدي المنتظر ، وأنه في هذا العام سيكون عندكم يوم عرفة ، ويظهر ظهوراً تاماً ، وأنتم يا أشراف مكة أحق الناس في الاسراع بالبيعة له ، لأنه هو الذي أخبر به جدكم ، ولم يزل يذكر من خرافاته ونحن نوافقه تارة ونعارضه أخرى حتى عرفنا حقيقة أمره ، وتيقّنا أنه من أعوان رسل إبليس ، الذين أخذوا على عاتقهم التفريق بين المسلمين والسعي في انقلاب الأمة على دولة جلالة مولانا أمير المؤمنين ليرضوا بذلك أعداء الدين . ولما تحققنا ذلك طردناهم من أرضنا ، وقد طردوا أيضاً من كافة القبائل.

فاحذروا أيها المسلمون من الدسائس الخارجية والداخلية ، والتفوا حول الراية العثمانية حتى يؤيد الله بكم دينه ، وينصركم على أعدائه ، فإن التفرقة ضياع لكم ﴿ولا تفرّقوا* فتفشلوا وتذهبَ ريحكم﴾ ٨ - ٤٧ .

---

(١) [فلما وصلت قريتنا: فلما وصلت الى قريتنا].

(٢) في الصفحات (٩ - ١٠).

(*) ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " الآية

شعار

وبعد أن كمل صعود جيشنا المظفر إلى سطح عقبة الدرجة ، حثثنا السير قاصدين شعار ، فوصلناها[١] الساعة العاشرة مساء الجمعة ثامن عشر رجب ، فوجدنا القلعة الواقعة أعلا[٢] عقبة محايل قد خرَّجها مصطفى عامل الادريسي بواسطة أعوانه[٣].

وشعار موضع متسع تحفه الجبال ، وسرنا حتى وصلنا الساعة الحادية عشر آخر النهار وادٍ لقبيلة بني مالك[٤] من عسير ، فلما دخلناه تفرق الجيش للغنيمة فأخذ ما وجده في القرى ، وبعد ذلك حضر مشايخهم لدولة الأمير وطلبوا منه الأمان لهم ولقبائلهم ، فأمنهم وأمر برد ما أخذ منهم ، وأمر مشايخهم بأن يصحبوه إلى أبها ففرحوا بذلك فرحاً تاماً .

دخول أبها

وفي يوم السبت تاسع عشر رجب ،رحلنا صباحاً قاصدين (أبها)[٥] فلما

---

(١) [فوصلناها : فوصلنا اليها].

(٢) [أعلا : أعلى].

(٣) [سبق أن علقنا ان القلعة قد خربت من قبل ، ولم يكن للادريسي اي سلطة هناك].

(٤) [حتى وصلنا الساعة الحادية عشر آخر النهار وادي قبيلة بني مالك. حتى وصلنا الساعة الحادية عشرة آخر النهار الى وادٍ لقبيلة بني مالك].

(٥) [ازدهرت إمارة آل عائض أيام الأمير عائض بن مرعي الذي امتد سلطانه وخشي الأتراك أن تطرق جيوشه أبواب الحرمين وتعود سيرة الوهابين ـ على حد زعمهم ـ تارة أخرى . لذا فقد اشتدت وطأة الأتراك على هذه الإمارة

قربنا منها سمعنا أصوات المدافع بجهتها ، فأرسل دولة الأمير الرسل

لوأدها ، والتي صمدت أمام جيوشها المتتالية واشتد القتال ، وردت إمارة آل عائض تلك الجيوش ، ومن أشهر المعارك التي جرت بين الطرفين على ما بينهما من تباين في العدد والعدة معارك عام ١٢٦٩ هـ ، وهي من أهم المعارك البشرية التي جرت على ربوع عسير واشتد فيها القتل بين الجانبين حتى كتب النصر في النهاية لقوات آل عائض ، ووصل صداها إلى كل أجزاء الجزيرة العربية بل تجاوز ذلك إلى خارجها .

وجمعت الغنائم من هذه المعارك ، وأرسل جزء منها هدية إلى الامام فيصل ابن تركي في نجد الذي كان بدوره أيضاً يحارب الترك لإخراجهم من نجد ، كما يجمع بين الطرفين الدعوة السلفية ، ومحاولة طرد الترك من الجزيرة .

وأرسل مع الهدايا قصيدة للشيخ العلامة علي بن الحسين الحفظي أحد قضاة آل عائض وتتحدث هذه القصيدة عن تلك المعارك ، واستبسال أهل عسير وهذه هي القصيدة .

أيـــا أم عبـــد مـــا لـــك والتشرد
ومسراك بـــالليـــل البهـــيم لتبعـــد
ومـــــــــأواك أوساد الكهوف توحشاً
ومثواك أفيــــاء النصوب وغرفـــــد
ومـــا جـــاوزت ساقـــاك من سفـــح رهوة
وأشعـــافهـــا مـــا بـــين عـــال ووهْـــدَ
ومسراك من ذات العيــــــــــق وكوثر
ونهران مزور القــــــذال الملبـــــــد
ومـــا السر إن أبـــدلـــت قصراً مشرفـــاً
وعرشاً وفرشاً بـــــالقرى والتلـــــدد
فمـــا مثـــل هـــذا منـــك إلا لضيقـــة
من العيش أو من سوء أخـــلاق معنـــد

ليكشفوا لنا الخبر، فلما حضروا أخبرونا أن مصطفى عامل الإدريسي

فقالت: رويداً يا أبا عبد، إنما
أضاق بنا ذرعاً شديد التوعد
عرمرم جيش سيق من مصر معنفاً
يهتك أستار النساء ويعتدي
ويسبي ذراري الأكرمين جبارة
وينظم سادات الرجال بمقلد
فقلت لها: من دونكن ودونهم
ضروب حماة بالحديد المهند
وضرب يزيل الهام عما ربت به
ويظهر مكنونات أجواف أكبد
وطعناً ترى نفذ الأسنة لمعاً
من القوم يعوي جرحها لم يسدد
قفي وانظري يا أم عبد معاركاً
يشيب لها الولدان من كل أمرد
وإن كنت عنها في البعاد فانلي
ففيها أسود من عسير[1] بمرصد

(١) عسير: اسم حلف لمجموعة قبائل من الأزد وقحطان، وبه سميت المنطقة، وليس اسماً لرجل تنتمي إليه هذه القبائل التي استقرت في المنطقة - كما يزعم بعضهم ممن عدّ هذا الرجل من عنز، وهذه القبائل لا تنتمي لعنز بن وائل، وإنما هي قبائل قحطانية سكنت المنطقة بعد خراب سد مارب، ومعرقة في أصولها منذ تلك المدة، وكانت تسمى «غسان» وعندما تكاثرت توسعت حتى شملت المنطقة التي امتد إليها نفوذ «آل يزيد» (آل عائض) وهذه القبائل المتحالفة أطلق عليها اسم عسير، وتتكون من احدى عشرة قبيلة ولكل واحدة منها بطون وأفخاذ وفروع، وتشمل: قبائل عسير السراة وهي بنو مغيد، وعلكم أبناء عمرو بن ثمالة الأزدي، وبني ربيعة بن ألمع بن عمرو وحليفتها رفيدة بن كلب بن خثعم،

حينما أيقن بقدوم دولتكم ترك حصار أبها ، وأن هذه المدافع هي من قبل

وفيهـا ليوث الأزد من كـل شيعـة
يصـالون نـار الحرب حزنـاً لمفسد
وفيهـا رئيس « عـائـض » حول وجهـه
حيـاض المنـايـا صـدرت كـل مورد .
خليفـة عصر للحنيفي مثقـف
لمـا اعوج منـه في حجـاز وأنجـد
فيـا لـك من يوم الحفـير[1] ومـا بـدا
لريـدة من طول الغمـام مشيـد
ويـا لـك من يوم اللحوم سبـاعـه
شبـاع وطـير الجو تحظـى لمشهـد
ويـا لـك من أيـام نصر تتـابعـت
بهـا من شواظ الحرب ذات التوقـد
تطـامـت (رقـاب الروم) فيهـا عيونهـا
كمـا عـاق دود للجراد المقـدد

وبني مالك بن كلاع بن مالك بن عبد الله بن نصر بن الأزد ، ولمالك هذا مقبرة تضم قبره وبعض أفراد أسرته وتقع شرق قرية « شوحط » من أمهات قرى بني مالك ، وعليها آثار متهدمة ، وعسير الشام وهم : بنو قطبة ، وبنو ظالم ، وبنو عبد العوص وهم أبناء بكر بن وائل بن ألمع بن عمرو ، وبنو بارق وهم أبناء ألمع بن عمرو ، وعسير اليمن وهم : بنو زيد بن عمرو بن ألمع بن عمرو ، وبنو جونة ، وبنو قيس ، وهم أبناء مسعود بن ألمع ، وعبد شحب بن ألمع بن عمرو وكل هذه تسمى عسير تهامة . وكل قبيلة من هذه الاحدى عشرة لها مناطق على الساحل وقد ضاعت فيها بنو كنانة واندمجت معها ، وانخرط أبناء هذه القبائل في الفتوحات الاسلامية ، ومنهم من سكن الشام ، ومنهم من أقام بالعراق ، ومن سكن مصر ، ومن استقر بنجد .

(١) الحفير : جبل حرملا . وريدة قرية في بلاد بني مغيد .

سليمان باشا متصرف عسير الذي كان محصوراً وقد خرج من أبها بعد فك

فأضحى جثاثاً في البقاع مركماً
تزعزعه ريح العشية والغد
ويا لك من يوم المرار[1] لواؤه
تقنع بالصرعى به كل مقعد
كأن اقتحام الشريد وعوره
قرود نحاها فجأة أعسر اليد
تخرمها بحر الهجير وإنها
لتعهد منه فرى ناب ومفصد
فيا عجباً من حبضّى[2] ومادنا
لوادي (كسان)[3] من قتيل منّد
وفي ربوة الشعبين[4] داهية أتت
عليهم فما أغنى دفاع بعجد
ويوم المقضّى[5] قد تقضّت أمورهم
بفاقرة الظهر التي لم تضمّد
ومن قبل ذا يوم العزيزة عزُّهم
ذليل بضرب المشرفي المجرّد
كتائب فيها ضرموا ثم غودروا
بأشلائهم قاني الدما المكنّد
بأيدي رجال من شنوءة جدهم
رقى بهم مجداً إلى فوق فرقد

---

(١) اسم مكان: جرت به معركة، ويقع إلى الغرب من أبها في بلاد رجال ألمع.
(٢) حبضى اسم عقبة بين الصليل والقارية في بلاد بني جونة من رجال ألمع.
(٣) كسان: وادي في بلاد رجال ألمع.
(٤) الشعبين تثنية شعب قرية تعتبر حاضرة بني قطبة من رجال ألمع وبها دار الامارة.
(٥) المقضّى: اسم معركة جرت بين الطرفين المتقاتلين.

حصارها، وها هو قادم ومعه طابوران من العساكر لملاقاة دولة الأمير،

تـداعـى عليهم من صميـم أصولهـا
ثبـات وجمع كـالمحيـط المزبـد
ففـاخر بهم يـا خـاطبـاً فوق منـبر
عـلى النـاس فـاقوا بـالحسام وسؤدد
وليهنـأ بنو قحطـان مجـد فخـارهم
مـدى الـدهر في نـاد بواد وأبلـد
فيـا راكبـاً أمـا لقيـت ببيشة
ومـا دفعتـه من ضراب وفـدفـد
فسلم عـلى قـبر (ابن شكبـان سالم)[1]
فقـد كـان قـدمـاً قـادمـاً كـل سيّـد
يحامي عـلى التوحيـد حـتى عرى لـه
من الحتـف كـأس جرعـة ذو تردد
ومر عـلى أجزاع (ضلفـع)[2] وقـف بهـا
قليـلاً ومـا يغنيـك عن ضرب مبعـد

---

(١) سالم ابن شكبان من مشايخ بيشة عينه الأمير عبدالعزيز بن محمد سعود على بيشة بعد أن قتل أخاه محمد على يد قوات الأمير عبدالعزيز، وكان في صفوف قوات الأمير محمد أحمد اليزيدي وقتل مع القائد لقوات عسير الأمير مرعي بن محمد.

(٢) ضلفع اسم جبل يبعد عن «رنيه» ستين كيلو متراً تقريباً، ويقع في الجهة الشرقية الجنوبية بملتقى وادي «بيشة» و«رنيه».

وتلتقي عند سفوحه الشرقية بعض أودية السراة التي تصل إلى سهب «داغر» حيث تلتقي مع وادي بيشة مصب أودية السروات، وتتجمع وتنتهي في رغوة صحراء بيشة الشرقية، والتي تمتد إلى جبال «سقمان» دون «صبحاء» و«المضب» وفي هذه الصحراء تفرغ أودية السراة مياهها من قرب الطائف حتى أودية قحطان ونجران.

ويذكر الحفظي جبل «ضلفع» في شرحه لهذه القصيدة في ديوان شعره المخطوط الذي توجد نسخة منه عند الأستاذ سعيد النماز، أنه في عام ٧٨٦ هـ جرت معركة عظيمة بين القبائل النجدية «بني لام» وحلفائها من تميم، ومطير، وحرب، وعقيل و«كلب»

وكانت المسافة بيننا وبين (أبها) ثلاث ساعات ، فلما تحقق دولة الأمير قدوم

عـــلى ظهر قبّـــاء الكـــلى لا يريبهـــا
حفـــا حزن منجـــاة قفر منكـــد .
تـثر الحصـا بـالخـف كـالحذف قبلهـا
وقـد ضـاق همـا صـدرهمـا للتبعـد
كمـــا فر من (عـــين برمـــلان) وحشه
يجفلـه قَنـاصـه بـالـترصّـد
توسّمـــت الوسمي[1] أمّـــا بكوره
فمن(نقـا الـدهنـاء) سعـدانهـا النـدي
وأمـــا ثوانيـــه فـإن زال ظعنهـــا
فمن (حضن) حـــتى (الرشاء) المهـــد
تعللهـــا منـــه غواد فـــأشطـــأت
بقول ورمـــــث زهرهـــا ذو تطرد

و« عنزة » بقيادة الأمير (ربيعة بن فضل بن سعيد بن حسن بن حجي) أمير « بني لام » وكانت هذه القبائل تحت سيادة آل مهنا من لام وتمكنت من احتلال « بيشة » وبين القبائل العسيرية بقيادة « عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن غانم بن صقر بن حسان اليزيدي ومعها قبائل الحلف (قحطان ويام) ، والدواسر وبعض قبائل رجال الحجر وقد تصدت لتلك القبائل وطردتها من بيشة . وبعد عدة معارك تجمعت تلك القبائل النجدية بسفوح جبل « ضلفع » لتستعيد نشاطها إلا أن قبائل عسير قد باغتتها وأنزلت بها هزيمة نكراء لم تعد تطمع بعدها بدخول تلك الجهات ، ولم تستعمل قبائل عسير في هذه المعركة سيوفها ورماحها ، وإنما استعملوا « المعيرات » وهي أقل من السيف وذات حديد يتمنطق بها سكان السروات وتهامة ، وهي سلاحهم اللازم لهم في حلهم وترحالهم ، يشدونها على البطن في حمائل من الجلد كالحزام . فالشاعر يعرض بمصرع تلك القبائل المتحالفة وإنه لم تجد كثرتها كما لقيت قوة الأتراك مصرعهم على يد العسيريين كما أشار إليه شاعرهم .

(١) الوسمي : أول المطر .

(٢) (نقا) ، (عين برملان) ، (حضن) ، (الرشاء) ، الدخول ، (حومل) ، (صبحا) ، (عرضا) ، (السرائح) : أسماء مواقع .

سليمان باشا المذكور أمر جيشنا بإطلاق المدافع إكراماً له وشمل السرور

فأضحت تسامى في سنام كأنها
بخدٍ تليع المضب عالي التصعد
فقل (المعدِ) لا تغرّ بسرحها
فتلقى كماة الحي جنباً بموعد
بسمر العوالي والمواضي دونها
ومبيض موضون الحديد المسرد
وأما أجازتك (الدخول نحوملا)
(فصبحا)(فعرضا)(فالسراديح) فاعتدي
وسقها على نجدٍ يؤمك ليلها
بنات نعش والضحى فيه تهتدي
وإن خلأت يومها الشحط مزارها
فأبدل بها عيناء ذات التعرد
ودعها عن التهجير حتى إذا رأت
وروداً بماء من (صفار)[1] فأورد
وأشرف على وادي اليمامة[2] قائلاً
ودمعك سفّاحاً على الخدّ والثّدي
سلام على عبد العزيز وشيخه
وتابع رشد للامام المجدد
دعا الناس دهراً للهدى فأجابه
فئام منهم عالمون ومقتدي
وقفاهما حذوا (سعود) بسيفه
مميز مجود النقود من الردي

---

(١) صفار: اسم موقع.

(٢) وادي اليمامة: وادي حنيفة التي تقع عليه الدرعية والرياض.

الجميع لخلاص أبها من حصار هذا الطاغية ، ولما حضر سليمان باشا سلم على

وعرّج بهـــا ذات اليمـــين وقـــد هوت
عــلى غرصـــات للريـــاض بمقصـــد
ونـاد بـأعـلى الصوت بشرى (الفيصـل)
ومن نسل سادات الملوك مسدّد
إليـــك نظـــامــاً نشره في وقـــائـــع
عــلى جحفـل المصري قــد شدّ بــاليــد
فعشرون ألفـــاً من قضى اللـــه منهم
فمـــا بـــين مقتول وعـــار مجرد
ولم ينــــج منهم غــــير قواد قومهم
عـــلى صـــافنـــات في قليـــل معود
كـــأن أنـــين الومقـــين ومن بـــه
جوارح رمي قـــاصفـــات لأعمـــد
أنـــين معـــيز زارهـــا داؤهـــا الـــذي
بـــأكبـــادهـــا أضنـــى عليهـــا ليعتـــدي
أو ساكـــني الأمصـــار قـــد حـــل فيهم
عقـــاص فـــأصماهم عـــلى كـــل مرقـــد
أتـــاهم بهـــا إذ غـــاب نجم مشعشع
من الجو في مغرابـــه نحس أسعـــد
فكـــل الـــذي لا قوه يحسب دون مـــا
تعكّس من حزم الهمـــــام المعمـــد
فقـــل لـــدليـــل القوم هـــلا أفـــاده
من العـــلم أن البغي قتّـــال معتـــد
ومهمـــا أعـــادتـــه الأمـــاني لحربنـــا
نصبنـــا لهم أمثـــالهـــا بـــالجـــدد
ويـــا قـــافـــلاً أمـــا ثنيـــت زمـــامهـــا
وأقبلـــت مـــا استـــدبرتـــه للتعود

دولة الأمير، وهنأ الجيشان بعضهما بالنصر، واختلطا معاً.

ولاح سهيـــل ضـــاحكـــاً لـــك ثغره
وقـــد لحتـــه عينهـــا مغلـــق الغـــد
فسلّم عـــلى الأحبـــاب تسلـــيم موحـــد
ولا تنس جـــيران البجـــير[1] بـــالحـــد
وآخر قولي وابتـــــــــــدائي فيهم
صـــلاة وتسلـــيماً عـــلى خـــير مرشد
وآل وصحـــــب كلمـــا قـــال منشد
أيـــا أم عبـــد مـــالـــك والتشرد.

فطلب الامام فيصل بن تركي من الشيخ أحمد بن علي بن مشرف أن يرد عليه فقال:

بشير سعـاد جاء نحوك فاسعد
وقد وعدت وصلاً فاوفت بموعد
لقد عرفت وقت المزار فأقبلت
إليـك وقـد نـامـت عيون لحسد
فجاءت تجر الذيل خشية قائف
لمعرفـة الآثـار بـالحدس يهتدي
يؤرج ترب الأرض عرف عبـيرهـا
وتهدي لسمع الصب وسواس عسجد
أتتـــك سحـــيراً والنجوم كـأنهـا
دراري ترى في قبـة من زبرجـد
فلما حوتها عرضة الدار سلمت
سلام حبيـــــــب زائر ذي تودد

(١) البجيري: محلة من محلات الدرعية فيها المقبرة.

وفي الساعة التاسعة مساء هذا اليوم، دخلنا أبها وجميع الجيش والأهالي

نقر بنيل الوصل عيناً وطالما
تبيت لذكراها بليلة أرمد
فتاة يريك الصبح غرة وجهها
ويبدو الدجى من شعرها المتجعد
ويعجب غصن البان إن هبت الصبا
له سحراً من قدها المتميد
يريك ابتساماً لامع البرق ثغرها
ويفترُ عن شهد ودر منضد
وقد جمعت كل المحاسن جملة
فلم يستطع تفصيلها من معدد
وفاقت جمالاً كل هيفاء كاعب
إذا ما مشت ما بين غيد وخود
فغاص جميع العاذلين، ولا تطع
بها كل واش لائم أو مفند
فلو برزت يوماً لغيلان لم يهم
بميٍّ ولم يبد القريض لمنشد
ولو لمحت بالطرف طرفة ما بكى
لخولة اطلال ببرقة ثهمد
لقد أصبحت في الغانيات فريدة
كما انفرد الوالي بحزم وسؤدد
حليفُ المعالي «فيصل» ناصرُ الهدى
مذيق العدى كأس الردى بالمهند
ترى الوفدَ والأضيافَ من حول قصرهِ
عكوفاً لوردٍ حوماً حول مورد

نصوصاً من القرآن تشفي من العمى
وكــل حــديــث لــلأئمة مسنــد
فوازره عبــــد العزيز ورهطـــه
عــلى قلــة منهم وعيش منكــد
فمــا خــاف في الرحمن لومــة لائم
ولم يثنــه صولات بــاع ومعتــد
وقفــــى سعود إثره طول عمره
إلى حين ووري في الصفيح الملحد
وقد جاهدوا في الله أعداء دينه
فمـــا وهنوا للحرب أو للتهـــدد
وكم غـارة شعواء شنوا عـلى العدا
وكم طـــارف منهم حووه ومتلـــد؟
وكم سنــة أحيوا؟ وكم بـدعـة نفوا
وكم هـدموا بنيــان شرك مشيـد؟
وقــائعهم لا يحصر النظم عــدهــا
وإن تسأل السمار عن ذاك ترشد
وكم لهم من وقعـــة شاع صيتهـــا
بهـــا أيَّـــد الرحمن سنـــة أحمد
وكم فتحوا من قريـــة ومـــدينـــة
ودانــت لهم بـدو وسكـان أبلـد
وكم ملكوا مـا بـين ينبـع بـالقنـا
ومـا بين جعلان إلى جنب مزبد
ومن عــدن حتى تنيــخ بـأيلـة
قلوصك من مبدي سهيل إلى الجدي
وقد طهروا تلك الديار وطردوا
ذوي الشرك والافساد كــل مطرد

يـــــأمر بمعروف ونهي عن الردى
وبـــالصلوات الخمس للمتعبـــد
وقد هدموا الأوثان في كل قرية
كما عمرت أيديهمو كل مسجد
فكن ذاكراً فوق المنـــابر فخرهم
وناد بهِ في كل ناد ومشهد
تغمـــدهم رب العبـــاد برحمة
واسكنهم روض النعـــيم المخلـد
ولا تنس ذا الحي اليماني إنـــه
لشيعة أهل الحق بالحق مقتدي
قبائل من همدان أو من شنوءة
من الازد اتبـــاع الرئيس المسود
هموا قد حموا للدين إذ فلّ عضبه
وبدد منه الشمل كل مبدد
فهم فئـــة للمسلمـــين ومعقـــل
وكهـــف منيـــع للشريـــد المطرد
سما للعـــلى حقـــاً عـــلي ولم يزل
يروح بأسباب الجهاد ويغتدي
وكم عسكر للمسرفـــين ابـــاده
بحـــد الظبـــى والسمهرى المسدد
وصيرهم صنفين ما بين هالك
وبين أسير في الحـــديـــد مصفـــد
ومـــا زال يغزوهم ويرمي ديارهم
بفرسان حرب في الـــدلاص المسرد
وفتح الخنا بالسيف للدين آية
وزجر وإنـــذار لأهـــل التمرد

فلما تولى عاضناً منه « عائض »[1]

إمـــام همـــام كـــالحسام المجرد

(١) كانت عسير حتى عام ١٢١٥ تحت امرة آل يزيد، وانتشرت في هذه الآونة الدعوة السلفية التي كان من دعاتها محمد بن عامر المتحمي المعروف بأبي نقطة وأخيه عبد الوهاب، وقام أمير عسير آنذاك محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بمقاومة الدعوة التي استنجد رجالها بجيش من نجد، فقتل محمد بن أحمد، وتولى بعده ابن عمه خالد بن مرعي الذي لم يطل عهده أكثر من شهرين إذ قتل في إحدى المعارك أيضاً، وتولى الأمر سعيد بن مسلط بعهد من خالد بن مرعي إلا أنه وجد المقاومة غير مجدية فاستسلم بمن معه في أبها التي كان محاصراً فيها وأصبح من جند الدعوة السلفية.

عين عبد العزيز بن محمد بن سعود أمير الدرعية محمد بن عامر عاملاً له عسير ولكنه لم يلبث أن توفي عام ١٢١٧ هـ في بيشة، وخلفه أخوه عبد الوهاب حسب أوامر الدرعية ولكنه قتل في وادي بيش عام ١٢٢٤ أثناء قتاله مع الأمير حمود أبو مسمار: وتسلم مكانه طامي بن شعيب الذي هزمته الجيوش المصرية والتركية وأخذ أسيراً وقتل عام ١٢٣١.

اتفق سعيد بن مسلط ومحمد بن أحمد المتحمي على جمع كلمة العسيرين ومقاومة الترك عام ١٢٣٢ هـ، وقد تمكنوا من ضم الشريف حمود أبو مسمار إليهم خوفاً من انضمانه إلى الترك، وأرسل إليهم قوة بإمرة وزيره حسن بن خالد الحازمي ثم لحقه بنفسه، إلا أن الترك قد أسروا محمد بن أحمد المتحمي ورأى سعيد بن مسلط أطماع الشريف فقضى عليه بقرية « الملاحة » وتفرد سعيد بن مسلط بإمرة عسير بعد أن عاد الشريف أحمد بن حمود بجيشه إلى تهامة خوفاً من أن يلقى ما لقي والده، واستطاع النجاة بحيلة دبرها له الوزير حسن بن خالد الحازمي، ولكن ألقي القبض عليه قبل أن يصل إلى مقره في أبي عريش. أما الحازمي فقد قتل في إحدى المعارك بجبل « شكر » قرب جرش.

وبقي سعيد بن مسلط في إمرة عسير حتى عام ١٢٤٢ هـ حيث خلفه أخوه لأمه علي بن مجثل، وهو ابن عمه، واستمر علي في الحكم حتى عام ١٢٤٩ هـ حيث أوصى من بعده لعائض بن مرعي. وقد ذكر الحفظي في تاريخه المسمى حلية الزمن من أخبار دول اليمن أن سعيد بن مسلط بن مجثل، وعائض بن مرعي كانوا في طبقة واحدة علماً وحزماً وبذلاً وشجاعة وزهداً وورعاً وصلاحاً ونقى وتواضعاً.

. . .

فما زال يحمي بالسيوف حمى الهدى
ويردي العـدا في كـل جمع ومحشد
ويهزم منهم عسكراً بعـــد عسكر
ويضرب من هـامـاتهم كـل قمحـد
فلمـا أتـى الأحزاب منهم وألبوا
شَفيَّ النفس من أعـداء دين محمـد
فـلا زال تـأييـد الالـه يمـده
بنصر واسعـاف عـلى كـل مفسد
ودونكهـا بكراً عروساً زَفَفتُهـا
إليـك تهـادى في حرير وعسجـد
شمـت الأخطـار شوقـاً ولم تهـب
وطيـس هجـير أو وغـى ذي توقـد
إليـك من الاحساء زمـت ركـابهـا
فكم جاوزت من فدفد بعد فدفد
فأحسن قراها بالقبول وبالرضى
ودع أم عبـد عنـك ذات التشرد
وأحسنُ مـا يحلو بـه الختم: اننـا
نصـلي دوامـاً في الرواح وفي الغـد
على المصطفى والآل ما هبت الصبا
ومـــا أطرب الاسماع صوت المغرد

كما ازدهرت هذه الإمارة في عهد ابنه محمد (١٢٤٩ - ١٢٨٩ هـ)، حيث توسعت وامتدت على الشاطىء الآخر من البحر الأحمر في أفريقية، كما استطاعت بعض فرق عسير بإمرة علي حميدة والي صعدة أن تصل إلى حضرموت وعمان وتتمركز في بعض المواقع وتضايق الأتراك من هذا كثيراً لأنها أصبحت إمارة مهابة، تملك أكبر قوة في الجزيرة العربية، وتحسب لها الدولة ألف حساب، وتعد الوحيدة في الجزيرة العربية التي تخرج عن سلطة

الدولة العلية، لذلك رغبوا في القضاء عليها حينما حاولوا إعادة القوة للخلافة، والانتهاء من الإمارات المحلية ونفوذ رؤساء المناطق ومشيخات القبائل، فأرسلوا قوة كبيرة جاءت من جهات متعددة، وخططوا بأن يشغلوا الأمير محمد بن عائض في الجنوب فإذا دارت رحى الحرب هناك تقدموا من الشمال، من جهة الطائف، ومن البحر عن طريق القنفذة، ومن الشرق تأتي قوات من نجد عن طريق بيشة.

استطاع الأتراك احتلال موانىء اليمن التي هي (المخا) و(الحديدة) والتمركز في (زبيد). فهب الأمير محمد بن عائض بقوات من جيشه من عسير وقحطان ويام وهمدان وغيرها، وكان هو بنفسه على رأس تلك القوة، واشتبك مع الأتراك في قتال عنيف دخل إثره (زبيد) و(الحديدة) وحصر أعداءه في (المخا)، وبينما هو على تلك الحال إذ بقوات تركية ثانية تتحرك من الشمال - حسب المخطط الموضوع لها - وتحتل بلاد بني الحارث وزهران وغامد وبيشة بعد أن أوقفها عدة أيام أمير تلك الجهات الأمير سعيد بن عائض، وذلك ريثما يصل الخبر إلى أخيه محمد بن عائض الذي ينازل الأتراك في جهات اليمن - كما ذكرنا - كما تمكنت قبائل بيشة بقيادة أميرها أحمد بن ضبعان من صد الترك بعد التفاف القبائل القحطانية القاطنة هناك حول ابن ضبعان.

وصل خبر الجبهة الشمالية، إلى الأمير محمد فوقع في حرج فخطط أن يعود بسرعة ليحمي حاضرته (أبها) قبل أن يصل إليها عدوه، فتحرك نحو الشمال، وشاع خبر تقدم الجيوش التركية بين رجال قبائل اليمن فاستغل بعضهم - وهم الذين كانوا من المرتزقة وممن يعيش على السلب والنهب ودون أن يفكروا في النتيجة وبدأوا يغيرون على مؤخرة العسيري إضافة إلى زيادة وطأة الأتراك الذين يحاولون القضاء على الأمير محمد، ويحولون دون وصوله إلى أبها حتى تحتلها قواتهم القادمة من الشمال قبل أن يصل إليها حاميها.

أدرك الأمير محمد ما يخطط له، فسار في قسم من جيشه إلى عاصمته، وأبقى قسماً آخر يدافع عن بلاده ضد تقدم الأتراك من الجنوب، وجعل إمرته

لأخيه عبد الله بن عائض، وجعل قسماً ثالثاً احتياطياً يتحرك نحو أبها ببطء بقيادة أخيه الآخر يحيى بن عائض، واضطر أن يعطي أخويه صلاحيات في الضرب بقوة على العابثين في الأمن والذين يغيرون على الجيش وذلك كي يضمن سلامة قواته، وهذا ما أرهب القبائل اليمنية فكفت أذاها، وارتقى الأمير محمد السراة عن طريق عقبة (ضلع) ووادي (مرية).

تمكن الأتراك من التقدم نحو أبها على الرغم من المعارك التي خاضوها أثناء تقدمهم في بلاد بالأسمر وبالأحمر وشهران وصبيا وأبو عريش والشقيق وجيزان والبرك والقنفذة، ولم يكن وصول أمير أبها مسرعاً ليمكّنه من صد الترك، إذ تمكّن الترك من تدمير بعض القطع البحرية التابعة لآل عائض وأخذ بعضها الآخر.

انتقل الأمير محمد يقاتل من حصن إلى حصن حتى حوصر في (ريدة) بعد دخول معارك استبسل فيها الجيشان، وكثر فيها القتل، ثم اضطر إلى قبول الصلح الذي تقدم به شريف مكة وأحد قادة جيوش الأتراك وهو عبد الله بن محمد بن عون الذي بينه وبين الأمير محمد بن عائض مصاهرة، وقد حصل على موافقة شروط الصلح الذي تقدم به من السلطان عبد العزيز.

دخل الترك (ريدة) وكانوا بإمرة أحمد مختار باشا، إذ كان القائد العام التركي محمد رديف باشا قد انتقل إلى (أبها) بقوة كبيرة قادها بنفسه ليقاتل فيها الأمير ناصر بن عائض، واستطاع دخولها بعد عشرة أيام من سقوط (ريدة)، وما كان سقوط (أبها) إلا لنفاذ ذخائرها إذ كانت قوية التحصين، وكان الأمير ناصر بن عائض يرى التحصن فيها على حين رأى أخوه محمد أن يكون في (ريدة)، ثم استطاع الأمير ناصر إجلاء الأتراك عن أبها تارة أخرى، والامتناع فيها بعد أن علم بمقتل أخيه في (ريدة).

بعد أن دخل الأتراك (ريدة) صلحاً جمعوا آل عائض الذين كانوا فيها، كما جُمع معهم بعض أعوانهم المعروفين، ورجع بعد ذلك القائد العام (رديف باشا) ودخل قلعة (ريدة). فوجد وكيله أحمد مختار باشا مع آل عائض فوبخه على ابقائهم أحياء.

فاعتذر إليه بوجود الأمان المعطى لهم حسب شروط الصلح، إلا أن رديف باشا لم يعترف على هذا، وأظهر حقده، وأعطى أوامره بقتلهم، وكانت المحادثات تدور بين القائدين باللغة التركية ففهم سعد بن عائض ما يحيق بهم من خطر فانقض على رديف باشا وطعنه بمدية كانت معه، وأعطى أوامره لرجاله بالوثوب على الأتراك فجرت معركة بالسلاح الأبيض وما في الأيدي، كان نتيجتها قتل الأمير محمد وعدد من آل عائض وبعض أنصارهم، بعد أن فتكوا بالأتراك فتكاً ذريعاً، ومن بقي من آل عائض وأنصارهم نفي إلى استانبول، ويقدر عددهم بستمائة إنسان فيهم عدد من آل عائض مثل عبد الرحمن، وسعيد، ويحيى، وأحمد وعدد من رجالهم البارزين من علماء وقضاة وقادة وقد عوملوا أثناء نقلهم إلى استانبول معاملة غير انسانية تحدث عنها أحد قضاتهم وهو أحمد عبد الخالق في قصائد مؤثرة، كما تكلم كلمة قوية بليغة تنبىء عن ذلك عند مثولهم أمام السلطان عبد العزيز الأمر الذي جعل السلطان يأمر بإكرامهم وانزالهم في القلعة السليمانية وكلف الأميرال سليمان أدهم بملازمتهم والاشراف على شؤونهم. ونقل آل عائض عائلاتهم من نساء واطفال أثناء حصار ريدة إلى بلدة الحرملة وهي من معاقلهم القديمة الحصينة، ونقلت هذه العائلات تحت الحماية الشديدة من قبائل قحطان بإمرة شيخ بني طلق عائض ابن شايع بن جلالة. أما القائد التركي محمد رديف باشا فقد حمل لينقل إلى استانبول للمعالجة إلا أن منيته قد وافته في ميناء (الشقيق) فدفن هناك ودمرت قلاع (ريدة) وحصونها وأصبحت أثراً بعد عين. وقد كان اسطول عسير يساند الجيش البري إلا أنّ القوة البحرية العثمانية التي كانت تدعمها قوة انكليزية قد تمكنت من تدميره، والتجأت بعض قطع أسطول آل عائض إلى مرافىء (زيلع) و(بربرة) في الصومال أو إلى جزر (دهلك) و(مصوع) في ارتيريا حيث كانت كلها تحت إمرة آل عائض وكان قائدهم العام فيها (حبيشي بن موسى) و(أحمد بن عبد الله الزيلعي) و(ابراهيم سنين البربري)، وقد تمكّن الأسطول الانكليزي من ملاحقة القطع التي لاذت بالفرار وأخذها.

وكان الأسطول العسيري يتألف من أكثر من خمس وثلاثين قطعة بحرية بين

كبيرة وصغيرة وتشكل جسراً بين شواطىء الإمارة الغربية في الساحل الافريقي والممتدة من (مصوع) في الشمال وإلى شرقي (بربرة) في الجنوب. وشواطىء الإمارة الشرقية التي تمتد على سواحل شبه جزيرة العرب من ميناء (قاد) الذي يقع جنوب (الشعيبة) ميناء مكة القديمة شمالاً وحتى (عدن) جنوباً وتضم موانىء (الليث) و(القنفذة) و(الشقيق) و(جيزان) و(الحديدة) و(المخا) إضافة إلى ما ذكرنا من (عدن) و(قاد).

وهكذا انتهت القوة البحرية لآلة عائض بمقتل الأمير محمد بن عائض إلا أنها عادت تتكون من جديد عندما انسحب الأتراك من المنطقة عام ١٣٣٦ وسلموا قطعاتهم التي كانت تابعة لهم في البحر الأحمر، كما سلمت المنشآت العسكرية والأسلحة والذخائر والمعدات بوثيقة رسمية إلى خمسة من آل عائض هم:

١ - الأمير حسن بن علي بن محمد بن عائض.
٢ - الأمير محمد بن عبد الرحمن بن عائض.
٣ - الأمير محمد بن ناصر بن عائض.
٤ - الأمير عائض بن محمد بن عائض.
٥ - الأمير ناصر بن عبد الرحمن بن عائض.

وكذلك فإن القطع البحرية الجديدة التي أصبحت بحوزة آل عائض وقد استولى عليها الانكليز مرة ثانية عندما كانوا يدعمون الادريسي وكانت قواعدها في (البرك) و(القحمة) و(الشقيق) و(القنفذة).

وقد انقرض نسل الأمير عائض بن مرعي من عدد من أولاده ولم يبق إلا في عدد من أحفاده وهم:

١ - الأمير محمد بن عائض بن عبد الرحمن بن عائض.
٢ - الأمير عبد العزيز بن عائض بن عبد الرحمن بن عائض.
٣ - الأمير عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عائض.
٤ - الأمير يحيى بن حسن بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض.

٥ ـ الأمير عبد الله بن عائض بن عبد الله بن محمد بن عائض.
٦ ـ الأمير يحيى بن عائض بن علي بن محمد بن عائض.
٧ ـ الأمير عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن محمد بن عائض.
٨ ـ الأمير سعيد بن حسن بن عبد الله بن محمد بن عائض.
٩ ـ الأمير سعيد بن عبد الله بن محمد بن عائض.
١٠ ـ الأمير حسن بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض.

والعقب في أحفاد المذكورين، ونلاحظ أن أولاد الأمير عائض بن مرعي رغم كثرتهم لم ينجب منهم سوى محمد وعبد الرحمن.

وكانت فترة هدوء قد حدثت بين محمد بن عائض والأتراك في أواخر عهده قبل الحروب النهائية التي وقعت بين الطرفين، وجرت مراسلات بين الأمير محمد بن عائض وخديوي مصر ومنها ما يلي:

من خديوي الأقطار المصرية وما والاها من الأقاليم السودانية إلى حضرة الأمير الكبير ذي الحسب الشهير محمد باشا بن عائض قائمقام صنجق العزيزية اليمانية، دامت معاليه وسعدت أيامه ولياليه.

غب سلام يفوح عرف الثناء من أثنائه ويلوح لطف الولاء من أرجائه أحمد إليكم الله سبحانه وتعالى على نعمه المقرونة بالشكر وتتوالى وأسأله لنا ولكم ولجميع المسلمين دوام السلامة وحسن العاقبة في الدنيا والدين وأطالعكم بحسن مودّة تألفت عليها الخواطر وصفت منها السرائر فدلت عليها الظواهر وقد كنت طالعتكم أولاً بما اقتضته أخوّة الإسلام وأوجبته رغبتي في اتحاد كلمة الموحدين على الدوام ومحبتي لبقاء البيوت القديمة مشيدة الأركان مصونة الجوانب من أن تطرق إلى ساحة حماها صروف الزمان وعرفتكم أنكم إذا برئتم مما قيل فيكم من عدم المطاوعة وأثبتم ما توسمته من حسن نيتكم من البقاء في دائرة المتابعة فإني متعهد لكم بما هو أنفع وأحرى ومتكفل بأن توجه إليكم رتبة أمير الأمراء فلما أظهرتم ما أعمله فيكم من الصداقة الحقيقية وأشهرتم خلوص الطوية لجانب الدولة العلية السلطانية ترتب عليّ أن أفي بما وعدت وأقتفي أثر ما تعهدت

....

ليتحقق لديكم من بعد أن اسمعيل كان صادق الوعد ، فكاتبت دار الخلافة العلية بما هو الواقع من عدم الخلاف واستملت لكم من جانب السلطنة السنية أعطاف الألطاف وحررت إليكم ثانياً بالبشارة بحصول ما سبقت إليه الاشارة والذي أوجب تأخر ما ذكر للآن عن ناديكم إنما هو تأثير ما قد قيل فيكم مما أوغر الصدور وأوعر سهل الأمور فما زلت أكرر مراجعتي في نفي شائبة الشبهة عن جهتكم وأعيد المكاتبة في اثبات حسن نياتكم وبراءة ساحتكم حتى تحقق لدى السلطنة ما أنتم عليه من حسن الحال وزال من النفوس آثار ما سبق من القيل والقال فصفت الآن لكم القلوب وتم بحمد الله تعالى الأمر المطلوب ووردت لنا من الباب العالي مكاتبة رسمية تعلن أتحافكم بتلك الرتبة البهية بعنوان الباشاوية وصدر في ذلك فرمان سلطاني بمزيد الاعزاز وقد بعث به على الفور إلى حضرة الباشا والي الحجاز ليبادر بإرساله إليكم وعن قريب يكون الفرمان بمشيئة الله لديكم فتهنأ بها رتبة بهر فضلها ورفعة فاخرة أنت أهلها ومحلها ومكرمة يشرق ببهجتها النادي ونعمة تسر الأحبة وتسوء الأعادي وأن لكم عندي محبة تقرّب القلوب على بعد ديارها ومودّة تدوم إن شاء الله على عهد استمرارها وصفاء لا يألف التكدّر حماه ووفاء لا يعرف التغير مرماه فإني أحب ذوي المجد القديم وأراهم أهلاً للوداد والتكريم وأنافس في موافاتهم على تنائي جهاتهم وأرغب في مصافاتهم على اختلاف حالاتهم وأتمنى دوام خيرهم ولا أقيسهم على غيرهم تلك سجية جبلت عليها ومزية وفقني الله إليها وسنة ألفتها منذ عرفتها وشنشنة كلفت بها وما تكلفتها فكونوا واثقين بدوام مودتنا إليكم وليكن لنا أيضاً مثل ذلك لديكم وقد بعثت إليكم ثانياً أحمد أفندي اليمني ليشافهكم بالسلام منا ويبلغكم بعض تفاصيل المودّة الحقيقية عنا والله يوفقنا للخير والسداد ويدوم بنا على منهج الرشاد ويبقينا جميعاً على أحسن حال بجاه شفيع الأمة ونبي الكمال .

آخر شعبان سنة ١٢٨٢ .

وكتب منه إليه أيضاً بعد البسملة والديباجة .

الحمد لله الذي أمر المسلمين بالطاعة والأتباع ونهاهم عن الشقاق والمنافرة

والنزاع والصلاة والسلام على رسوله الكريم خير ناصح وخير داع وعلى آله وصحبه وأتباعه خير الآل والصحب والاتباع وسلام الله عليكم وتحياته ورحمته وبركاته وبعد:

فلما بلغنا في السالف تشبث جنابكم ببعض تجهيزات عسكرية في جهات الحدود العسيرية راسلناكم بمكاتبة من جهتنا على يد أحمد بيك اليمني معاون معيتنا نحذركم من الميل إلى المنازعة والتضاد وننصح لكم عن الخروج من دائرة الطاعة والانقياد لعلمنا بما يجلبه الخلاف من الشرور وما يوجبه الشقاق من فساد الأمور بعد أن سكنت الفتن وهجعت المحن وانقطعت الأحن والآن بلغنا ما استعظمنا خبره وأكبرنا أمره من أنكم تخطيتم الحدود وأتيتم ما يخالف العهود وهذا أمر يجر ما يجر ويأتي بما لا يسر من غضب حضرة أمير المؤمنين وحامي حمى الدين المبين وذلك لا نرضى حصوله منكم ولا نحب أن يسمع عنكم والذي أشير به عليكم وأنصح به إليكم أنكم إذا كنتم تخطيتم إلى محل خارج حدود صنجق العزيزية اليمانية على خلاف ما سبق عليه من الاتفاق بينكم وبين إمارة مكة المكرمة وولاية الأيالة الحجازية فتخلوا عنه وأخلوا جندكم منه وعودوا للطاعة والموادعة وصدق النية وإخلاص الطوية لجانب السلطنة السنية حسماً للشر وحقناً للدماء وحفظاً للعهود ورعاية للوفاء وابقاء للأمن والأمان وخروجاً من غضب حضرة السلطان وإلا يتغير ما عندنا من المودّة إليكم ويحوج الحال بالضرورة لأن نكون عليكم وإني جازم أن تقابلوا هذا النصح بالقبول وتعودوا للاخلاص وحسن الطاعة كما هو المأمول.

وكتب منه إليه بعد البسملة والديباجة أيضاً:

الحمد لله الذي حث على الطاعة والانقياد ونهى المسلمين عن المخالفة والتضاد والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناهي عن الخلف والشقاق المبعوث ليتمم محاسن الأخلاق وعلى آله وصحبه التابعين لهداه الذين اجتهدوا في رضاه وتقلدوا بمحاسن حلاه فاهتدوا بنور علاه والسلام عليكم ورحمة الله وبعد، فقد سمعت أنكم أضمرتم ما يخالف العهد والاتفاق ويغير معاهد السلم والموادعة والوفاق ويكدر موارد الصفاء ويخالف شروط الوفاق فقلت هذا خلاف

....

المظنون وذلك الأمر لا ينبغي أن يكون وأنا لا أصدق أن يجوز الأمير هذه الأمور لإحاطة علمه بما فيها من الشرور بمفارقة الجمهور وشق عصا المسلمين وعصيان رب العالمين ورسوله الناصح الأمين ومخالفة أوامر أمير المؤمنين وإثارة الفساد وايقاع السوء بين العباد وما يقتضيه ذلك من اشعال نار الحروب بعد ركونها وارادة رحى الخطوب غب سكونها وتكدير موارد الأمن والأمان واراقة الدماء التي يجب أن تصان بعد أن هجعت الفتن وانقطعت المحن. وسكن الحال وسكت القيل والقال وقرت عيون السيوف في أجفانها وكفت ألسنة الأسنة عن تكليم فرسانها وأقلعت أفواه البنادق عن مرامي بيانها وخلت صدور المدافع من نيران أضغانها فإن كان خطر في نيتكم ما يخالف الاتفاق وينقض شرائط العهد والميثاق فأولى لكم أن تتركوا ذلك الخاطر فإنه ذو خطر وترجعوا عن الخلاف فإن الخلاف ماله ثمر وتنظروا في العواقب فتمعنوا النظر فإن الحازم يتأمل عقبى ما يأتي وما يذر وتدوموا على الطاعة والاذعان وتحذروا ما يخالف رضا حضرة السلطان فاسمعوا وأطيعوا ففي السمع والطاعة خير كثير «إلاَّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» فلا تتعدوا الحدود ودوموا على حفظ العهود فإن الله سبحانه وتعالى يقول «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» فاقبلوا النصيحة فإنها عن محبة صحيحة وإلا يتغير ما بيننا من صافي الوداد وتنحل علائق المحبة على خلاف المراد وقد كنت نصحت لكم في الأولى وأشرت عليكم بما هو أنفع وأولى وعرفتكم بما عندي من الحب الصميم والميل بالمودة إلى ذوي الجد القديم واني أريد لهم الخير ولا أحب أن يطرق حماهم ضير وها أنا الآن أراجعكم للنصح ولا أشير عليكم إلا بما فيه النجح واني لفي يقين جازم أن تقابلوا بالقبول ما قلت «ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت».

انتهت امارة آل عائض، وعين أحمد مختار باشا متصرفاً في أبها التي عاد لحصارها من جديد الأمير ناصر بن عائض الذي أخذ البيعة لنفسه من أهل عسير، وعاد شريف مكة إلى الحجاز. وقد أبلغت الدولة السفارات المعتمدة لديها سقوط إمارة آل عائض وهذا ما يدل على أهميتها.

لم تكن سيطرة الأتراك لتتجاوز بعض المدن والقلاع التي بقوا فيها شبه سجناء أما خارج ذلك فكان النفوذ لآل عائض، ويتبعهم رجال القبائل كلهم تقريباً، وقد توالى على زعامة آل عائض في هذه الأثناء:

ناصر بن عائض ١٢٨٩ - ١٢٩٥ هـ.
عبد الرحمن بن عائض ١٢٩٧ - ١٣٠٥ هـ.
علي بن محمد بن عائض ١٣١٨ - ١٣٢٤ هـ.
عبد الله بن محمد بن عائض ١٣٢٤ - ١٣٢٩ هـ.
حسن بن علي بن محمد ١٣٢٩ - ١٣٣٣ هـ.

وعندما زاد نفوذ آل عائض رأوا أن يخرجوا الأتراك من منطقتهم نهائياً، فشكلوا مجلساً للشورى كان مقره (الحرملة)، ليدرس ثورتهم ووضعهم مع ما حولهم في مكة وصنعاء، وصبيا، ورأوا أن يرسلوا وفداً إلى هذه المدن لمعرفة مدى قوتها، وتحمسها للثورة، وتأثرها بالترك، ليأمنوا انضمام هذه الجهات إلى الترك، بصفتها تتبع اسمياً للدولة العلية، وخوفاً من تلقي هذه المدن الأوامر بالتحرك لجهة عسير إذ كانت كل جهة من هذه الجهات تتطلع إلى حكم عسير. وقد ضم هذا المجلس الاستشاري رجال آل عائض المخلصين لهم، وكانت منه الوفود التي ذهبت إلى المدن الآنفة الذكر فكان الوفد إلى صنعاء مؤلفاً من: علي بن أحمد بن مشيبة شيخ قبيلة بني مغيد، وأحمد البطاط، ومحمد بن دليم، وشاهر بن راسي، والحسين بن عبد الله النعمي، وعوض بن عائض بن جلالة شيخ بني طلق، وأحمد بن علي بن ظافر بن مطهف أبو ثامرة.

أما الوفد إلى صبيا فكان مؤلفاً من أحمد بن حامد شيخ قبائل علكم، وسعيد بن عبد العزيز بن حسين بن مشيط، والشيخ سعيد بن محمد بن عبد الله النعمي، وعبد الفتاح بن ابراهيم بن درويش.

أما وفد مكة فكان مؤلفاً من: محمد بن مسلط، وأحمد أبو هليل، والمهندس شكري، ومحمد بن عزيز، وراشد بن رقوش، ومحمد بن عبد العزيز بن محمد الغامدي، وعلي بن خنفور.

وكانت رسائل الوفود واحدة تتضمن الوضع الذي آلت إليه المنطقة، وبُعد حكامها الترك عن الاسلام، وضرورة وحدة الكلمة.

عادت الوفود، وكان رأي شريف مكة الحسين بن علي أن الوقت غير مناسب ويجب تأجيله، وفي الحقيقة أنه كان ينوي الثورة، ويظهر الطاعة للترك لإخفاء ما ينوي حتى لا ينكشف أمره، ويستفيد من المفاجأة وأما إمام صنعاء فيرى ضرورة قيام آل عائض بالثورة وأنه على استعداد للتحرك أيضاً في جهته، ويبدو أن هذا كان كلاماً سياسياً لتوريط غيره، ويرى هو الشكل المناسب له فيسير عليه بعد ذلك، أما الادريسي فقد جاءه بما يهوى، ورأى أن الظروف قد ناسبته، فطالب بتنسيق العمل، واستغلها فرصة مؤاتية، وتم الاتفاق بين الطرفين على أن يوحد جيشا تهامة وعسير، وأرسل الادريسي قوة بإمرة مصطفى المغربي رابطت في جهة أبها في منطقة يقال لها: (العثريان)، وبعث الحليفان قوة إلى تهامة بإمرة (ابن خرشان) إلا أن آل عائض كانوا على معرفة بنوايا الادريسي فأحاطوا قوته بقوات قبائلهم للحيطة فيما إذا فكر بتنفيذ مخططه بالسيطرة على عسير، وكان حصار أبها، واستمر عدة شهور، وأثناء الحصار رأى آل عائض أن الادريسي قد بدأ يوزع منشورات تدعو له، وتزين للناس طريقته، وترفع من منزلته، كما أن أموالاً كانت تصل منه إلى بعض رجال القبائل، ثم أصبح يدفع بمزيد من قواته إلى السراة، الأمر الذي جعل آل عائض يدركون نواياه، وخافوا مغبة ذلك.

فأعطى الأمير حسن بن علي آل عائض أوامره لمصطفى المغربي بترك مواقعه في الحصار والعودة إلى صبيا مباشرة، فإن الحصار قد انتهى، ولما وجد تلكؤاً من مصطفى هدده باستعمال القوة، إن لم يسرع بالمغادرة، فما كان من مصطفى إلا أن امتثل وتحرك نحو صبيا، وقد تصدت له بعض القبائل العسيرية القاطنة في وادي (مَربَة) فجردته وجيشه من السلاح وما بأيديهم وكانت بقيادة يحيى الحياني شيخ قبائل بني زيد الألمعية.

وفي هذه الأثناء تحرك الشريف الحسين بن علي لفك الحصار عن أبها، فأخبر بذلك آل عائض، لغاية في نفسه أيضاً، وعندما سار ووصل إلى القنفذة

أسعار المواد الغذائية بأبها

وفي وقت دخولنا هطل المطر من السماء بكثرة ، واستمر تلك الليلة ، وفي اليوم التالي من دخولنا حصل الرخاء في الأسعار ، وأتت وفود العربان من جميع الجهات ، ومعهم الأرزاق بكثرة .

وكان المدّ من البر وهو أُقتّان قد بلغ ثمنه قبل دخولنا بيوم جنيهاً عثمانياً وريالاً فرنسياً ، وكان قمع السكر ثمنه جنيهان وثمن الشاة أربعون ريالاً ، والتنكة من السمن بجنيه ، وأُقّة الدخان بريالين .

حضور القبائل للطاعة

وصارت القبائل ترد تباعاً إلى أبها لمقابلة دولة الأمير ، والكل نادمون على ما حصل منهم ، ساخطون على الادريسي ومن تبعه ، بعد أن كانوا يحاربوننا معتقدين كفرنا ، وصاروا يسخطون ويلعنون من غرس تلك العقيدة

كان الحصار قد انتهى - كما ذكرنا - وسار وفد من آل عائض فيه الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض ، وأخوه الأمير عبد الله ، ومحمد بن مسلط ، ومحمد أبو هليل ، ومحمد بن عبد العزيز بن محمد الغامدي ، وذلك لإعلام الشريف بما تمّ كما أبلغوا في الوقت نفسه ابن خرشان أن قوات الادريسي قد غادرت أبها ووصلت إلى صبيا فما عليه إلا أن يلحق بها إذ لم يعد لوجوده داع ، فخاف على نفسه وامتثل . وعاد الوفد بعد إنهاء مهمته .

سار الشريف من القنفذة إلى أبها دون مقاومة إلا أن بعض رجال القبائل - كالعادة - كانوا يهاجمون مؤخرة الجيش وخاصة الأتراك منهم فتحدث نتيجة ذلك بعض المناوشات ، وهذا ما يسميه المؤلف معارك وذلك ليضفي على الجيش الذي هو فيه امكانية القوة القتالية ، وليعطي قائده صفة البطولة] .

بقلوبهم ، لأنهم عرفوا يقيناً أنهم كانوا مغرورين مخدوعين بأقاويل باطلة.

وكان القائد لعموم من حضر من العربان ، الشيخ حسن[1] بن علي بن محمد ابن عائض ، ومحمد بن عايض هذا كان ملكاً على اليمن[2] ، وحصل بينه وبين الدولة منافسات أدت إلى الحرب ، فأرسلت الدولة العلية له جيشاً عظيماً بقيادة دولة مختار باشا الغازي ، فتغلب على ابن عايض وقهره ، واضمحل ملكه وقبضت عليه الدولة ، واستولت على مقر ملكه وهو أبها ، ومن ذلك التاريخ والشيخ حسن هذا نافر من الدولة نفوراً تاماً وكان دائماً بينه وبين الدولة مشاغبات ، فلما وصل دولة أميرنا المحبوب إلى أبها ، حضر الشيخ

---

(١) كان التقاؤه بالشريف ومعه سليمان باشا في قرى (رضف) على بعد خمسة كيلومترات شمال مدينة أبها ، وكان الحصار قد انتهى منذ شهرين تقريباً.

وعادت الحياة منذ ذلك الوقت طبيعية في المدينة.

ونسب الأمير محمد بن عائض كما يلي : محمد بن عائض بن مرعي بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن علي بن عبد العزيز بن سعيد بن وضاح بن عائض بن أحمد بن سالم بن عبد الله بن ابراهيم بن عائض بن علي بن وهاس بن حرب بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن غانم بن صقر بن حسان بن سليمان بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن هشام بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن خالد (الشريف)[1] بن عبد الله بن علي (الذي انتقل من دمشق إلى عسير عند سقوط الدولة الأموية) بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي - وقد ترجم الحفاظية لمشاهير هؤلاء وأحداث إمارتهم في المنطقة.

(٢) [وكان قد توحّد اليمن في عهده وعهد والده من قبل وذلك بالتفاف أهل اليمن حولهما ضد الأتراك].

---

(١) [كاد لقب الشريف يطغى على اسم أسرته حتى عرفوا باسم (الشرفاء)].

حسن بن علي المذكور ، وأحضر معه جميع الأسلحة التي كان أخذها مصطفى عامل الإدريسي من قلعة شعار ، وفرّقها على أهل عسير ليستعينوا بها على محاربة الدولة ، فلما أحضرها الشيخ المذكور لدولة الأمير - حفظه الله - أمر سليمان باشا باستلامها . وقد حضر مع الشيخ حسن المذكور كافة شيوخ عسير وهم :

الشيخ عبد العزيز بن محمي[1] ، والشيخ محمد بن عبده[2] ، وهما مشايخ ربيعة من عسير ، والشيخ أحمد بن حامد شيخ قبيلة علكم ، والشيخ علي بن معدي ، شيخ قبيلة بني مالك ، والشيخ علي بن محمد بن محمود[3] شيخ قبيلة مغيد ، ورفيدة[4] ، ورئيس الجميع حسن بن علي المتقدم .

وجميع هؤلاء القبائل يقال لهم : عسير أهل السراة .

والشطر الثاني من عسير هم : رجال ألمع ، وديارهم تهامة من جهة جبل الحجاز ، ومشايخهم علي معرافي[5] والشيخ يحيى محياني[6] ، والشيخ علي كبيبي[7] .

---

(١) [الشيخ عبد العزيز بن عبد الوهاب بن سليمان المتحمي شيخ رفيدة] .

(٢) [الشيخ محمد بن عبده : لا وجود لهذا الاسم وإنما شيخ ربيعة هو عبد الله بن مانع الفضيلي وقد ضم الأمير حسن آل عائض ربيعة ورفيدة تحت مشيخة عبد العزيز المتحمي] .

(٣) [ابن مشيبة] .

(٤) [رفيدة كلمة زائدة هنا] .

(٥) [معرافي : العرافي ، وإنما جاءت على لغة أهل اليمن بإبدال الألف واللام ميماً] .

(٦) [محياني : الحياني] .

(٧) [هؤلاء ليسوا بمشايخ رجال ألمع ، وإنما بعض الوجهاء في بعض القرى أما مشايخ رجال ألمع فهم : حسن بن أحمد آل عبد المتعالي : شيخ رجال ألمع ، وشيخ قبائل

وحضر أيضاً مشايخ بالأحمر، ومشايخ بالأسمر، ومشايخ قبائل شهران تحت قيادة شيخهم الأكبر الشيخ عبد العزيز بن مشيط. وقدم أيضاً جميع مشايخ قحطان ولم يتخلف منهم سوى محمد بن دليم[1] العدو الألد.

سبب طاعة العشائر للإدريسي

ولما تكامل جمعهم في سرادق دولة الأمير سألهم عن سبب طاعتهم للإدريسي وخروجهم عن طاعة مولانا أمير المؤمنين ومحاربتهم لرجال الدولة العلية، فأجابوه قائلين: إننا لم نطع الإدريسي إلا بعد أن أرسل سعيد باشا لنا ولكافة القبائل أوراقاً مختومة ممضاة منه ومن الادريسي وفيها نص الاتفاق الذي تم بين الإدريسي وبين الوفد المرؤوس للشيخ توفيق الذي حضر من الأستانة لمقابلة الإدريسي وللإتفاق معه على ما فيه من الصلاح، والظاهر أن الإدريسي خدع سعيد باشا والوفد حتى اعتقدوا فيه الصلاح، وأرسلوا لنا ولكافة القبائل هذه الأوامر.

وبعد ذلك بزمن قليل أمر جميع قبائل تهامة والحجاز بطاعته وأظهر لهم أنه ساع في إصلاح اليمن. فلما تمت له السيطرة كلف أهل الحجاز بإطاعة السيد مصطفى الذي جعله أميراً من قبله على الجبل المذكور، وأقام ابن خرشان أميراً على قبائل تهامة، وأقام ابن عرار أميراً على قبائل بارق، وأقام الفصال أميراً على قبائل المخواه، وأصدر أوامره ولكافة القبائل بتسليم الزكاة لهؤلاء الأمراء، فأطعناهم لما عندنا من الأوامر من قبل الدولة

بني قيس بن مسعود بن بكر بن وائل بن ألمع، وأحمد العسكري شيخ قبائل عبدالعوص، ويحيى بن علي الحياني شيخ قبائل بني زيد بن عمرو بن ألمع.]

(١) [كان ابن دليم بين الحضور على خلاف ما ذكر المؤلف].

وبعد ذلك سوّلت له نفسه الخبيثة ان يكون ملكاً مستقلاً على اليمن ، فأمر عامله مصطفى بحصار أبها ليأخذها وتكون مقر ملكه ، وقد استمر الحصار عشرة أشهر حتى أراد الله انقاذ أهلها الذين ذهب أغلبهم شهيد ظلم هذا الباغي ، وانقاذنا نحن أيضاً منه ومن ظلمه وذلك بحضورك يا أمير القِبلة فإن حضورك هو السبب في إزالة هذه الغشاوة عن أعيننا . وها نحن يا دولة الأمير مستعدون لدفع الزكاة . فكلفهم بإحضار الزكاة الماضية ، فأحضروا كافة ما عليهم منها من أموالهم التي كان قد أخذها منهم مصطفى عامل الإدريسي مدة إمارته عليهم ، وصارت الزكاة ترد كل يوم بكثرة من نقود وحبوب وسمن وبقر وغنم وعسل ، فلم يقبل منهم دولة الأمير سوى الزكاة المفروضة عليهم شرعاً(١).

وأقمنا بأبها خمسة عشر يوماً ، أولها يوم السبت التاسع عشر من رجب سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف ، وكان المطر في هذه المدة لا ينقطع كل يوم من الظهر إلى العشاء(٢).

---

(١) [لم يحدث شيء من هذا وإنما تم لقاء بين الشريف ومتصرف عسير وآل عائض في قصر الحكومة في (شدا) وانتهى الخلاف بين متصرف عسير وآل عائض ، وجعل الأمير حسن بن علي آل عائض نائب متصرف عسير للدولة العلية ، وجعل الأمير محمد بن عبد الرحمن آل عائض محافظاً لمدينة أبها ، وأعطى بقية آل عائض رتباً فخرية ، وحصلت موافقة السلطان على ذلك].

(٢) [بقي شريف مكة ومن معه في أبها ثلاثة أيام في ضيافة آل عائض ، وكان الأشراف الذين مع أمير مكة في ضيافة آل عائض لوجود مصاهزة بين الطرفين ، وكذا كان مع الأشراف أولاد الأمير سعود بن فيصل آل سعود وبعض أمراء نجد الذين التجؤوا الى الشريف أما بقية من كانوا في معية الشريف أمير مكة فقد وزعوا على سكان مدينة أبها وزار في هذه الأثناء أولاد شريف

الاحتفال بالمعراج ويوم الدستور

وفي يوم الأحد السابع والعشرين منه، أمر دولة الأمير بالإحتفال فيه لأنه يوم المعراج، ويوم عيد الحرية والدستور[1] فنصب سرادق عظيم لدولة الأمير أمام دار الحكومة وثكنة العساكر، واحتشد الجمع، وأطلقت المدافع إجلالاً لهذا اليوم وأدت العساكر النظامية التحية لجلالة أمير المؤمنين ولدولة أمير مكة، وكان عدد العساكر التي حضرت الاحتفال ستة عشر طابوراً، وركبت العرب وأمراء آل سعود المشهورون بـ (العرايف) من أمراء نجد الجياد الصافنات، وكان عدد الفرسان الذين أظهروا فروسيتهم أمام سرادق دولة الأمير ثلاثمائة فارس، وصارت الفرسان تطلق بنادقها بلا انقطاع حتى سر الجمع سروراً تاماً.

وبعد انتهاء الاحتفال قام دولة الأمير في وسط هذا الجمع العظيم، ونصح جميع من حضر خصوصاً أهل اليمن بخطبة كان تأثيرها في الجمع أشد من تأثير الكهرباء، منها قوله: (أيها الاخوان اعلموا علم اليقين أنه لولا وجود هذه الدولة العثمانية وشدة اعتناء خلفائها بالأمة الاسلامية خصوصاً مولانا أمير المؤمنين الحالي[2] لاختطفتكم الدول الأجنبية اختطاف الذئاب

مكة في منطقة (البصرة)[1] بأبها جدتهم سراء بنت مشيط بن سالم زوجة الأمير عائض بن مرعي وأمّر بعض أولاده الذين منهم: محمد، وسعيد، وعلي، وعبد الرحمن، وعائشة التي مرّ ذكرها].

(١) إن هذه الاحتفالات من البدع المخالفة لما شرع الله لنا.

(٢) هو السلطان محمد الخامس رشاد.

---

(١) وتقع البصرة بحي العونة نسبة إلى عوف بن عمرو الغساني، وكان بها قبره.

للغنم المنفردة، فإن جميع الدول ساعية منذ زمن بعيد في اضمحلال الشريعة المحمدية بواسطة هؤلاء المغرورين الذين يخدمونها لأغراضهم الشخصية. إخواني هل يرضيكم أفعال هؤلاء القوم الساعين في تخريب بلادكم باسم الحق، ولا أدري كيف اغتررتم لهؤلاء وأمثالهم وأنتم أولوا العقول الراجحة والنخوة العربية الاصيلة. آباؤكم الأولون كانوا عز العرب، وعنهم ورثتم الهمم العالية. ألستم أبناء التبابع؟ ألستم الذين قال فيكم جدي رسول الله ﷺ: (العلم يمان والحكمة يمانية)، ألستم أبناء أسلافكم الكرام الذين اشتهروا بالذكاء الفطري والجد المؤثل، فالله الله يا أمناء الأمة العربية في دينكم لا تضيعوه بل احفظوه واستظلوا بظل الراية العثمانية التي هي شعار الإسلام، ولا تغتروا بأقوال المفسدين الساعين في تنفيذ أغراض المحركين لهم، أعداء الدين الاسلامي، وأنتم لطيب عنصركم وعدم معرفتكم بالسياسة الأجنبية تظنون أنهم إنما يخدمون الدين، مع أنهم والله عن الدين بمعزل، لا يخدمون إلا أغراضهم الشخصية مستترين باسم الدين فاحذروا أن تغتروا بهؤلاء الأوغاد المارقين من الدين، بل كونوا مطيعين لأمير المؤمنين، ولتعلموا أن من خالفه قد خالف الله ورسوله، ومن خالفهما فقد باء بغضب من الله وخسر الدنيا والآخرة ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾. ولما أتم خطبته صاحوا صيحة واحدة: زدنا من هذه النصائح المحمدية، وارشدنا الى الصراط المستقيم يا إمام القبلة.

فدعا لهم دولته ودعا لأمير المؤمنين، وبعد ذلك أعلن دولة الأمير اختتام الاحتفال، فأطلقت المدافع من القلاع والحصون، وصاح القوم قائلين: (نصر الله أمير المؤمنين وخذل عدوه الإدريسي وأعوانه المضللين) ثم انصرف كل منا إلى مكانه المعد له في مدينة أبها[1].

---

(١) [تكلم في هذا الحفل السيد عبد السلام بن عبد الله الزميلي أحد قضاة آل

أبها(*)

وهي مدينة عظيمة واقعة في ميدان متسع مربع الشكل تحيط بها الجبال من جهاتها الأربع كسورٍ لها، وفي قمة كل جبل قلاع وعددها جميعها عشرون قلعة محصنة أحسن تحصين[1].

وأبها محتوية على أربع قرى[2] منفصلة عن بعضها، وأكبر قرية فيها

عائض، وتحدث عن المعراج، وأظهر أن الاحتفال به بدعة، والقاضي محمد بن عبد الله بن خضرة].

(*) أبها مدينة قديمة كانت حاضرة قبائل (أزد شنوءة) (عسير) وشنوءة موقع شمال مدينة أبها يضم بعض قرى بني مالك وبعض قرى علكم، وفيه كانت الموقعة بين جيش عثمان بن أبي العاص وبين جموع الأزد وبجيلة عام ١١ هجرية، ولا يزال اسم شنوءة معروفاً في عسير، ولا تزال في أعلاه آثار منازل صرد بن عبد الله الأزدي في المصنعة وتعرف باسم الموقع. وقد ورد ذكرها في التوراة باسم (ايفا)، وكذلك فإنها كانت مركزاً عمرانياً ذا حضارة إذ عثر على نقوش بالقرب منها، وإلى الشمال بعدة كيلو مترات، ويبدو من دراسة هذه النقوش أن المنطقة كانت مهداً لقبائل قديمة تفرع عنها (اللحيانيون) و(الصفيون) و(الأنباط)، ثم قام فيها أزد شنوءة التي اشتركت بطونها فيما بعد في الفتوحات الاسلامية والحروب الصليبية وقد استقر معظمها في الشام والعراق ونجد، ومن أشهرها قبيلة الأوزاع التي أقامت على سواحل بلاد الشام ولا زالت أصول تلك القبيلة في عسير.

(١) [كان عليها سور من الحجر، له أربعة أبواب، وهي: العقبة من الغرب، ويقع في جهة المناحة والأشراف من الشرق، والخصف من الشمال، وغسان من الجنوب وغسان بالأصل منطقة واسعة تقع في الشمال وتنتهي بديار ربيعة ورفيدة وسفوح تهلل والسقا ورهمة.

(٢) [الواقع أنها تسع قرى هي: مناظر، مقابل، المفتاحة، الربوع، الخشع، النصب، القرى، النعمان، البديع].

اسمها: مناظر[1]، وبها قصر محمد بن عايض المسمى (شدا)[2] وبها ثكنتان عظيمتان، ومستشفى، وصيدلية للمرضى مجاناً، وعليها سور من اللبن.

والقرية الثانية اسمها (مقابل)[3] وبها قصر سليمان باشا متصرف عسير، وفيها بستان من أجمل البساتين، فيه كافة أنواع الفواكه.

والقرية الثالثة اسمها: الخشع

والقرية الرابعة اسمها: القرى[4]

---

(١) [ومناظر قصر الأمير عائض بن علي بن حرب، وبه سمي الحي، ثم أقام حفيده الأمير سعيد بن عائض بن مرعي قصره المسمى (مازن)، كما أقام في الجهة الشرقية من حي (مناظر) قصره المسمى (مشرف)].

(٢) [شدا: ويقع بين رأس المملح ورأس العُرضي، وطوله ١٢٠ × ١٢٠ متر، وفي أركانه أربعة أبراج كل برج مكون من ستة أدوار، وما بينها مؤلف من ثلاثة أدوار، ويتوسط القصر ساحة تفضي إليها واجهاته، وفيها مدرج كبير للتدريس، وفي الجانب الشمالي مسجد القصر، ويطل القصر من الجهة الغربية على ساحة البحار (رحبة واسعة أعدت لاستعراض القبائل، وحفلات الأعياد، والسباق، وأول من بنى القصر الأمير خالد بن عبد الله بن علي بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عام ١٨٧ هـ. ووجد تاريخ بنائه مكتوباً على ردم بابه الشرقي من عهد قريب].

(٣) [مقابل: وفيه قصر الأمير سالم بن عبد الله بن إبراهيم بن عائض بن علي بن وهاس بن حرب، ثم أقيم مكانه قصر في عهد حفيده الأمير محمد بن عائض أصبح فيما بعد مقر متصرف عسير، وهو في الوقت الحاضر انقاض، وبه سمي الحي، وكان قديماً قرية لقبيلة برقة من قحطان].

(٤) [والقرية الخامسة اسمها (النصب)، والسادسة اسمها (النعمان)، وهي مقر موالي آل عائض، والسابعة (الربوع): وهو سوق أبها الأول، والثامنة: البديع، وسمي باسم قصر الأمير مرعي بن محمد بن أحمد بن يحيى، والتاسعة:

والمباني فيها جميعها من طبقتين إلى ثلاث وجميع البناء بشكل عربي شرقي.

ووادي أبها[1] من أخصب الأودية، كثير المزروعات والبساتين، مياهه تسيل على وجه الأرض لكثرتها، وهواء البلد عظيم جداً، وإن كان بردها شديداً.

وكان دخولنا أبها في آخر فصل السرطان وأول فصل الأسد وهذان الفصلان هما أشد الصيف حرارة[2] ومع ذلك فإن البرد كان بها أقوى من شتاء أرض الحرمين بكثير، أما في فصل الشتاء فإن جميع مائها من أنهار وآبار ومتدفقات يتجمد.

وهي عاصمة لواء عسير ويتبعها ستة أقضية[3]، وكل قضاء أو قائمقامية يتبعه قرى أو قبائل تؤدي زكاتها إليه.

فالقبائل التابعة لمتصرفية أبها قبائل: عسير، وقحطان[4]، وشهران، وبالأحمر[5] وقائمقامية النماص، وهي في جبل الحجاز أيضاً، يتبعها من

المفتاحة، وقد اختط فيها الأمير محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الرحمن قلعته التي أكمل بناءها فيما بعد الأمير علي بن مجثل بن مسفر].

(١) [يسمى الوادي «خبيب»].

(٢) وكذلك قال الملك عبد الله في مذكراته انظر الصفحة (٣٣).

(٣) [عشرة أقضية وهي: ١ - النماص. ٢ - رغدان، ٣ - القنفذة، ٤ - محايل، ٥ - رجال ألمع، ٦ - صبيا، ٧ - بيشه، ٨ - تثليث، ٩ - نجران، ١٠ - صعدة].

(٤) [قحطان: وتعني عبيدة، ورفيدة، وسنحان، ووداعة، مع قبائل مذحج، وسعد العشيرة، والحارث بن كعب].

(٥) [وكانة قبائل الحجر بن الهنو التي هي إضافة إلى بالأحمر، بالأسمر، وبني

القبائل: غامد، وزهران، وشمران، وبني سليم، وقبائل وادي بيشة.

والأقضية الأربعة الباقية بتهامة وهي

قائمقامية القنفذة

ويتبعها من القبائل: قبيلة بني زيد أهل وادي قنونة، وقبائل بني شهاب، والمشايخ أهل وادي دوقة، والأشراف العبادلة وما يتبعهم، وقبيلة العجالين القاطنين وادي الأحسبة، وقبائل زبيد القاطنين بوادي قرماء وناوان، وقبيلة النواشرة، وقبيلة المرازيق، وقبيلة بني يعلى القاطنين بوادي (يبا)، وقبيلة حرب، وقبيلة الغوانمة، وقبيلة كنانة، وقبيلة بالقرن التهامية، وقبيلة آل سليمان، وآل عمارة، وقبائل بالحارث، وقبيلة شمران آل شهاب، وآل بجيري، وقبيلة عوامر، وبالعريان، وقبيلة بني سهيم، وجميعهم يؤدون زكاتهم إلى قائمقامية القنفذة.

قائمقامية محايل

ويتبعها من القبائل: قبيلة آل موسى، وتميم، وآل ختارش، وآل منجحة، وقبائل قنا، والرايش، وآل مثوّل، وآل خريب، وقبائل ربيعة، وقبيلة الصوالحة، وآل جبلى.

قائمقامية رجال ألمع

ومركزها الشعبين بوادي رجال ويتبعها من القبائل: قبيلة ولد أسلم،

شهر، وبني عمرو، وتثليث، وقبائل بيشة، وبالقرن، وشمران، وخثعم، وغامد، وزهران، وبني الحارث، وبنى مالك، ونجيلة].

وقبيلة بني ظالم ، وقبائل قيس ، وبني قطية ، وآل صلب ، وبعض من قبائل ربيعة إذ ربيعة من أكبر القبائل في اليمن.

قائمقامية صبيا

التي يقيم بها الإدريسي ويتبعها قبائل الحسينية ، وبني تميم ، والمسارحة ، وشعبة ، وقبائل وادي الشقيق ، وقبائل وادي أبو عريش[1] وكل هذه القبائل تؤدي زكاتها إلى القائمقاميات المذكورة[2].

---

(١) [وقبيلة بني مالك ، وقبيلة بلحرث ، وقبائل جيزان ، وقبائل ميدي وحرض].

(٢) [أما قائمقامية بيشة فيتبعها بنو واهب ، وبنو منبه ، وبنو الحارث ، وبنو كلب ، وخثعم ، وبعض قبائل شهران ، وبنو عامر ، وبنو سلول ، الصبيخة ، وسبيع ، وتبالة ، ورنية ، العلايا ، تربة ، البقوم ، الخرمة ، وبادية بالقرن ، وغامد ، وشمران ، ووادي الدواسر ، وقبائل قحطان نجد القاطنة في عفيف ، والشعراء ، والهضب ، والجلهات ، وصبحة ، ووادي الرين].

أما قائمقامية تثليث فيتبعها قبائل: ناهس في يعرا ، والخضراء ، وخيبر الجنوب ، وطريب ، وعرين ، وعين قحطان ، والحباب ، والجحادر ، وبنو هاجر ، والأمواه ، وقد نرح أكثر (بنو هاجر) إلى نجد والمنطقة الشرقية ، وهم من مذحج الشرقية ، الذين كانوا وولد الحارث في حلف مع يام ضد عسير قديماً ، ويطلق عليهم ولد المحلف في أيام الدولة الرسولية.

أما قائمقامية نجران فيتبعها قبائل يام ، وبنو مرة ، وبنو الحارث بن كعب ، والعجمان (نسبة إلى جدهم عجيم ، وهم بنو هشام ، وبنو وعل ، وبدر الجنوب ، ومقرهم نجران في السوق في قلعة علي بن مجثّل أما قائمقامية صعدة فيتبعها قبائل همدان ، وبنو سحار ، والصيعر ، وكرب. وفي عام ١٢٤٨ استنجد الإمام تركي بن عبد الله بالأمير علي بن مجثّل لمساعدته في إخراج الترك من

الرحيل عن أبها

هذا وفي اليوم الرابع من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف أمر دولة الأمير بالرحيل فنهضنا الساعة الثانية صباح يوم الأحد من الشهر المذكور، وأمسينا في قرى بني مالك، من قبائل عسير، وبتنا بها، وفي الساعة الحادية عشرة صباح يوم الاثنين الخامسُ منه سرنا حتى وصلنا الساعة السادسة إلى واد يقال له: وادي الجنفور، وهو الحد الفاصل بين ديار عسير وشهران، وهو ملك لبني مالك أيضاً، فإن قراهم أكثر من عشرين قرية.

وهو واد خصب التربة، كثير المياه، وأغلب مزروعاته البر، والشعير، والذرة، وفيه من الفواكه التين، والعنب، والخوخ، والمشمش، والتفاح، وهواؤه معتدل.

نجد، فأمده ببعض القبائل القحطانية واليامية التي كانت تقاتل في تهامة مع الأمير عائض بن مرعي لإخراج الترك من هناك. وتوفي الأمير علي بن مجثل فخلفه الأمير عائض بن مرعي فنفذ الوصية وأرسل من قبائل قحطان بعض العشائر بإمرة هادي بن قرملة ومن هذه العشائر آل عاصم، السحمة، آل مسعود، آل الجرو، آل عاطف، الخنافر، آل محمد، آل سويدان، آل سعد، بني حمالة بن بشر، وآل عائذ والحباب والجحادر، وأرسل بعض عشائر من العجمان وبني مرة بقيادة راكان بن حثلين الميضي، وعندما وصلت هذه القبائل إلى جنوب نجد علم الأمير عائض بن مرعي بمقتل الأمير تركي بن عبد الله، فأمر هذه القبائل أن تستقر في مكانها، وتصبح تحت إمرة الإمام فيصل بن تركي، ولا تزال هذه القبائل هناك فالقحطانية منها لا تزال في عفيف، والشعراء: والصبحاء، ووادي الرين، والمدرع والهضب، الجُله. أما القبائل اليامية فقد استقرت بالمنطقة الشرقية، وأصبحت هذه القبائل ذات نفوذ في تلك الجهات.

وسرنا بعده إلى الساعة الثامنة من اليوم المذكور ، ونزلنا في واد لقبائل شهران يقال له :

وادي راشد

وهو المرحلة الثانية من أبها .

وهذا الوادي متسع ، آباره كثيرة غزيرة الماء ، وفيه من الفواكه أصناف كثيرة ، يزرع فيه البر ، والشعير ، والذرة ، وهواؤه معتدل يقرب من هواء الطائف بخلاف هواء ديار عسير أهل السراة فإن بردها شديد ، ووادي راشد هذا واقع في الجهة الشرقية من أبها ، ومنخفض عنها بنحو مائتي متر تقريباً .

ولما نزلنا في الوادي المذكور حضر بعض قبائل شهران وقدموا الطاعة لدولة الأمير ، وأتوا معهم بضيافة كبيرة من الغنم وما يتبعها ، وعاهدوه على أداء الزكاة للدولة في كل عام وأنهم يكونون خاضعين لجلالة أمير المؤمنين ، وأظهروا ندمهم التام على الانضمام للإدريسي وأعوانه الشياطين وطلبوا من دولة الأمير العفو عنهم ، فعفا عنهم ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق ، وبقي من شيوخهم ثمانية في خدمة الأمير ، وانصرف باقيهم راجعاً إلى دياره مع أنهم كانوا يحاربوننا بالأمس ، فلما عرفوا الحق من الباطل جاءوا صاغرين مقدمين الطاعة ، وذلك بحسن نية دولة أمير مكة المكرمة ، فإنه يخدم الاسلام بنية صادقة وعزم أكيد ، ولذلك مكنه الله من اخضاع قبائل تهامة وعسير حتى أنه أسر قلوبهم ، ومالوا إليه تمام الميل ، وعرفوا أنهم كانوا مغلوبين مخدوعين .

وفي صباح يوم الثلاثاء السادس من شعبان نهض الجيش المؤلف من

العربان والأشراف فقط، وأن العساكر النظامية التي كانت ستة عشر طابوراً بجميع لوازمها الحربية بقيت بأبها.

ونزلنا في الساعة السابعة نهاراً في وادٍ يقال له: المسيرق، واسترحنا فيه ساعة، ثم نهضنا منه، ونزلنا الساعة الحادية عشرة في أسفل الوادي المذكور، وهو تمام المرحلة الثالثة من أبها، وبتنا هناك ثم سرنا في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ومررنا بوادٍ يقال له: وادي الأراك، وهو واد عظيم به نخيل كثيرة، وتحف به من الجانبين غابات الأثل، والطرفاء، والأراك، ولم نزل سائرين في هذا الوادي إلى الساعة الحادية عشرة من هذا اليوم. ثم أمر دولة الأمير بالمبيت في نهايته، وهو تمام المرحلة الرابعة فبتنا. وفي صباح يوم الخميس الثامن منه نهضنا وسرنا ساعتين ثم دخلنا وادياً يقال له: وادي خضراء لقبائل شهران أيضاً، وهو من أكبر الأودية، خصب التربة، يوجد به النخل بكثرة، وشجر الليمون، ويزرع فيه البر، والشعير، والذرة، والبرسيم، ويسقى زرعه من الآبار، فنزلنا هناك. وحضر لدولة الأمير في هذا الوادي أربعة من مشايخ شهران المقيمين به، ومعهم ضيافة قدموها لدولته ثم التحقوا بالجيش ليكونوا في خدمة دولة الأمير إلى نهاية أرضهم.

وفي الساعة السادسة من اليوم المذكور نهضنا ونزلنا منتهى الساعة الثانية ليلاً في وادٍ يقال له: الفضايا لقبائل شهران أيضاً، وهو تمام المرحلة الخامسة، وأهل هذه الديار أعراب يسكنون بيوت الشعر، وهم أهل غنم وإبلٍ كثيرة، وغنمهم لحمها أحسن وأطيب اللحوم، وهي التي ترد لمكة المكرمة، وبتنا هناك. وفي الساعة الحادية عشرة صباح يوم الجمعة التاسع منه نهضنا وسرنا سيراً حثيثاً إلى الساعة السابعة نهاراً، ثم نزلنا في المرحلة السادسة بشهران أيضاً ومن هذه المرحلة نهضنا وسرنا حتى وصلنا إلى وادٍ

يقال له : بيشة في الساعة الثانية من صباح يوم السبت العاشر منه ، وهذا الوادي هو المرحلة السابعة[1] .

ولما نزلنا بوادي بيشة تقدم جميع مشايخ شهران لوداع دولة الأمير فودعهم ، وأكرمهم ، وانصرفوا إلى ديارهم شاكرين فرحين برضاء الأمير عنهم ، وكان نزولنا بهذا الوادي بين قرية الروش ، وقرية نمران .

وادي بيشة

ووادي بيشة من أكبر الأودية وأخصبها إذ الأودية التي تصب مياهها فيه يبلغ عددها خمسة وعشرين وادياً ، وكلها يأتيها الماء من جبل الحجاز ، ويزرع في هذا الوادي من الحبوب : البر ، والشعير ، والذرة ، ومن الخضر أنواع كثيرة ، وبه الليمون الحامض ، والنارنج بكثرة ، ولذلك فهو لا يقدر له ثمن عندهم ، إذ ثمن المائة حبة من الليمون عند شدة الغلاء قرش واحد . ولأهل هذا الوادي اعتناء زائد في غرس النخل ، حتى بلغ عدد النخيل فيه نصف مليون نخلة ، من أجود النخيل ، وأنواع الرطب فيه تزيد على خمسين نوعاً ، والبلح عندهم رخيص جداً فالقنطار يساوي خمسة عشر قرشاً ، وهو أربعون أقة ، وحدائق النخل تحف الوادي من الجانبين ، وهي متواصلة ببعضها سير يومين بالهجين ، أما غابات الأشجار بهذا الوادي فهي كثيرة ، وعدد قراه ثلاثون قرية ، وبيوتهم من طبقتين إلى ثلاثة ، وجميعها باللبن ، وبكل قرية سوق مستمر للبيع والشراء ، ومن القرى التي مررنا بها منه : قرية الروش ، وقرية نمران ، وقرية الثنياء ، وقرية بالشوق ، وقرية أم

---

(١) [اتجه الشريف حسين من أبها إلى النماص حيث أقام هناك ما يقرب من ثلاثة أيام ، ثم اتخذ الطريق التي ذكرها المؤلف] .

الصبح ، وقرية الدوار ، وقرية الديلم ، وقرية النقيع ، وقرية الحزيراء ، وقرية الدوح ، وقرية الشقيقة ، وقرية الجنينة .

أما القبائل القاطنون بهذا الوادي وما حوله ، فهي أربع قبائل ، قبيلة الحلف ، وشيخها يحيى بن فائز ، وقبيلة اليكلب وشيخها مضف بن عطيان ، وقبيلة بني سلول ، وشيخها عامر بن الصعيري ، والقبيلة الرابعة قبيلة معاوية ، وشيخها حسين بن الأزهر .

ولما استراح دولة الأمير في سرادقه ، حضر هؤلاء المشايخ وتحت قيادتهم ألفا فارس ، وأعلامهم فوق رؤوسهم ، وكل علم مكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فلما قربوا من جيشنا ابتدؤوا يطلقون الرصاص من بنادقهم ، فقابلهم جيشنا بالمثل ، واختلط الجمع فرحين بالملتقى ، وصار شعراؤهم يتلون القصائد في مدح دولة الأمير . ثم استقبل دولة الأمير مشايخهم ، وخلع عليهم الكساوي ، وقدموا له ضيافة ، وهي مائة رأس من الغنم ، وبعد أن حيوا دولته ، وقبّلوا يده الشريفة ، قالوا له : نحن لم نشعر بالسعادة إلا من وقت مرور دولتكم بأرضنا ، ونحن أخلص رعية مولانا أمير المؤمنين ، ونطلب من دولتكم أن تولوا علينا أميراً من طرفكم لجمع زكاة أموالنا . فلبى حفظه الله رضاءهم وولى الشريف عبد الله بن سلطان العبدلي[1] ، القاطن بوادي تربة ، أميراً عليهم ، ففرحوا به كثيراً ، وبعد ذاك قام الشيخ عامر الصعيري وطلب من دولة الأمير أن يشرفه بزيارة خصوصية ، فاعتذر الأمير قائلاً : لا يمكنني مفارقة الجيش ، وأمر نجليه عبدالله بك ، وفيصل

(١) [عبد الله بن سلطان بن جعفر العبدلي : بقي في عمله هذا حتى انسحب الأتراك من أبها فاستبدله الأمير حسن بن علي آل عائض بابن شكبان الذي اتخذ من قصور آل عائض بـ (القاع) بأعلى (الحيفة) مقراً له ، والتي دمرتها جيوش القوات السعودية] .

بك بالتوجه لضيافة هذا الشيخ ، وانتدب بعض الشرفاء للذهاب مع نجليه ، وكان الفقير من جملتهم ، فتوجهنا حتى وصلنا إلى قرية الروشن ، ودخلنا دار الضيافة فإذا هي محاطة بحدائق النخل ، وشجر الليمون ، وأكرمنا غاية الاكرام ، ثم عدنا إلى الجيش وأقمنا مع دولة الأمير في مكاننا ثلاثة أيام. وفي صباح يوم الاثنين الثاني عشر منه حضر ما ينوف على ألف نفس من قبائل بيشة ، ووقفوا أمام سرادق دولة الأمير وصاروا يطلقون بنادقهم ويلعبون ألعاباً خاصة بهم ، حتى أطربوا الحاضرين ، وصاروا يتغنون بشعرهم البسيط ولم أفهم من أقوالهم سوى هذه الجمل:

نحمد الله يوم صار الملك لله ثم للشريف

عود ابن دريس يزبن[1] في جبال الهول والهول

الشريف العبدلي[2] ذابيده[3] يفك ويحبس

خط ابن خرشان للدولة غدا ولمصطفى مسي[4]

الوحوش والأنبياء وأمة محمد تؤيد ذا الشريف

ذا نظمها دولة من باب صنعا إلى حصاة المقدس

وعند انتهاء احتفالهم كسا دولة الأمير مشايخهم بالعباءات ، والصمائد القصب والعقل.

ثم تقدم لدولة الأمير مشايخ شهران الذين كانوا بمعيته ، وطلبوا منه الرخصة بالعودة إلى ديارهم ، فأذن لهم بذلك ، وقدم أحدهم لعطوفة عبد الله

---

(١) يزبن : يلجأ.

(٢) العبدلي : هو الشريف حسين.

(٣) الأصل زبيدة : وأظن أن ذا اسم الاشارة كما في المقطع الأخير [يقصد هذا بيده].

(٤) جعل ابن خرشان أحد أتباع الادريسي غداء للدولة والسيد مصطفى عشاء لها.

بك نجل الأمير فرساً من الصافنات الجياد، وبيتها يقال له: الدهم، وهو أحسن بيت[1] من بيوت الخيل في جزيرة العرب، فقبلها عطوفته بشرط قبول الجائزة، فامتنع الشيخ وبعد إلحاح قبلها وهي ستمائة ريال فرنسي[2]

حضور شيخ قبائل قحطان

ثم أمر دولة الأمير بالرحيل من (الروشن) في الساعة الثامنة مساء يوم الاثنين ثاني عشر شعبان، فنهض الجيش وسرنا ونزلنا بعد صلاة المغرب في قرية يقال لها: الدوار وبتنا بها، وفي الساعة الحادية عشرة صباح الثلاثاء رحلنا وسرنا، وحدائق النخل محيطة بنا من كل جانب حتى نزلنا في قرية النقيع، ثم حضر الشيخ عشق بن شفلوت[3]، شيخ قبائل قحطان أهل نجد، وكان قادماً من دياره التي تبعد عن وادي بيشة بخمس مراحل شرقاً لمقابلة دولة الأمير وإخباره بأنه مع كافة قحطان خاضعون لأمير المؤمنين، ومستعدون لأداء الزكاة المفروضة عليهم، وطلب من دولته الأمان لكافة قبائل قحطان والعفو عما مضى، فعفا عنهم الأمير، وقال له: إن حصل منكم أقل شيء فلا تلوموا إلا أنفسكم.

وقبيلة قحطان من أكبر قبائل العرب، وهم عرب رحل يتبعون البارق

---

(١) [بيت: سلالة].

(٢) وقد كان الأمير عبد الله من أعرف الناس بالخيل، وله رسالة اسمها « جواب السائل عن الخيل الأصائل » وهي من مطبوعات المكتب الاسلامي.

(٣) [كان أحد قادة آل عائض في حصار أبها، وهو شيخ قبيلة العرجان من عبيدة، وقد عينه الأمير علي بن محمد بن عائض شيخاً على قبائل قحطان في نجد التي يقطن معظمها صبحاء والهضب، ولما توفي عين الأمير حسن ابنه مترك مكانه].

حيث كان في نجد المتسع ، ولما أمنه الأمير دعا له ، وقبل يديه ، وعاد إلى أوطانه .

قبيلة يكلب[1]

وفي الساعة الثامنة مساء يوم الثلاثاء سرنا من النقيع ونزلنا عند الغروب في المرحلة الثامنة من أبها في مكان لقبيلة : يكلب ، وبتنا هناك ، وفي الساعة الحادية عشرة من يوم الأربعاء الرابع عشر منه نهضنا ونزلنا الساعة الخامسة على آبار في وسط الوادي ماؤها يسيل على وجه الأرض ، وهو لقبيلة يكلب أيضاً ، وفي الساعة الثامنة مساء سرنا ونزلنا وقت الغروب ، وهو المرحلة التاسعة من أبها .

دعاء نصف شعبان

وبعد نزولنا أمر دولة الأمير إمامه الرسمي وهو العالم الجليل ياسين البسيوني المدرس بالحرم المكي بقراءة دعاء النصف من شهر شعبان فقرأناه بعد صلاة المغرب[2] وبتنا بتلك الجهة .

قبائل غامد

وفي الساعة العاشرة يوم الخميس الخامس عشر من شعبان سرنا ونزلنا في أعلى وادي : رنية ، وهو المرحلة العاشرة من أبها ، وهذه الديار لقبائل غامد أهل الشرق .

---

(١) [تنتمي إلى كلب بن خثعم] .

(٢) [هو دعاء مبتدع لا أصل له ، والمشهور بين الناس فيه ألفاظ منكرة جداً . وإن الهدى ما جاء به رسول الله ﷺ] .

وقبيلة غامد متفرقة ، بعضهم قاطن بهذه الديار والقسم الأعظم منهم قاطن بجبل الحجاز ، وبعضهم قاطن بتهامة في الجهة الغربية من جبل الحجاز .

أما وادي رنية المذكور فإن الجهة التي هي لغامد فيه خالية من النخيل . وفي أسفل الوادي قرى لقبائل سبيع المشهورة بقرى رنية ، وبهذا الوادي ما ينوف على مائة ألف نخلة ، وقراه مبنية باللبن من طبقة إلى طبقتين فيها أسواق دائماً .

وفي الساعة الثامنة مساء الخميس سرنا ونزلنا الساعة الثالثة بعد المغرب ، وبعد صلاة صبح يوم الجمعة قمنا وسرنا في حرة سوداء يا لها من حرة . والحرة عبارة عن جبل سطحه معتدل ، وحجارة الحرة متساوية الحجم ، ولونها أسود .

وفي الساعة الخامسة نزلنا على غدير ماء في وادٍ يقال له : لَرِمة : وهذه الغدران متطاولة في الوادي ، كثيرة الماء ، وهذا الوادي واقع في منتصف الحرة ، وقلنا يومنا ، وبتنا على هذه الغدران ، واستقنا بأجمعنا من مياهها العذبة .

وادي كرى

وبعد صلاة صبح يوم السبت السابع عشر منه أمر دولة الأمير بالرحيل فرحلنا من لرمة ، ولم نزل سائرين في الحرة السوداء ، حتى دخلنا وادياً يقال له : كرى وهو في وسط الحرة ، وهذا الوادي كثير المياه ، وعيونه تجري على وجه الأرض ، وغدرانه مملوءة بالماء ، وأشجاره : الأثل والسمر ، وفيه قصب الحلفاء بكثرة ، فقلنا تحت شجر الأثل ، بين المياه ، وتركنا دوابنا ترعى أمامنا في الحلفاء إلى الساعة الثامنة آخر النهار ، ثم قمنا ، وتركنا

وادي كرى يميننا. واستلمنا ظهر الحرة، ووجهتنا وادي تربة.

ووادي كرى يصب ماؤه في أسفل تربة، وما زلنا سائرين في الحرة حتى دخلنا أعلى وادي تربة الساعة الثانية ليلة الأحد.

وهذه الحرة في غاية الصعوبة، وقد سرنا في ظهرها يومين، ونحن مجدون في السير حتى قطعناها، فلما وصلنا إلى قرى وادي تربة تركها دولة الأمير وأمر الجيش بالنزول في أعلى الوادي على نهر كبير جار يصب في أسفل الوادي، ومنه تشرب نخيل قرى قبيلة البقوم والأشراف العبادلة. وعدد النخيل بهذه القرى أكثر من مائتي ألف نخلة، وفيها البساتين محتوية على: الموز، والليمون، والنارنج، والعنب وبعض الفواكه، ويزرع فيها البر، والذرة، والشعير، وكافة أنواع الخضار، ومنظر هذا الوادي من أحسن المناظر وبه كثير من شجر الأثل، والطرفاء، والحمض، والحلفاء.

قبائل البقوم[1]

وفي الساعة الثالثة صباح يوم الأحد حضر قبائل البقوم تحت قيادة

---

(١) ذكر العلامة حسن بن عبد الرحمن الحفظي بتاريخه المسمى «حلية الزمن في أخبار دول اليمن» وهو مخطوط موجود عند حفيده الأستاذ محمد بن إبراهيم الحفظي الملقب بالهلالي ذكر أن البقوم مجموعة قبائل من وازع (الوزعة) إحدى عشائر بني مغيد بن أسلم بن عمرو بن ثمالة الأزدي، ومن بني كلب بن وبرة (الكلبة) بن خثعم، ومن بني جنب (الجنبة) بن سعد العشيرة بن الحكم، ومن رجال الحجر بن الهنو بن الأزد، ومن حوالة بن عامر، وسنحان من عامر أبناء عمرو بن الأزد، ومن همدان، ومن عبيدة، ومن بني الحارث بن كعب، وقد أرسلت هذه القبائل عام ٥٥١ هـ لطرد الغز (السلاجقة) حينما توغلوا في اليمن، وكانت هذه القبائل بإمرة الأمير سليمان بن موسى بن محمد بن عبد الله

شيخهم مناجي بن خرشان ، وصاروا يضربون البنادق أمام دولة الأمير ، ويترنمون بأشعارهم العربية فرحين بدخوله ديارهم ، وقدموا لدولته ضيافة عظيمة فقبلها منهم وحياهم ، وكسا شيوخهم ، وخلع على شعرائهم ، وسأذكر بعض كلمات لبعض شعرائهم وهي :

مصطفى عامه تفشول وضاع   جاء صقر ضاري بالفرايس
ما لقي العطار من ينصحه
العسيري عاف منه وطاع   حظ أبو فيصل عليهم دوايس
ذا منيع وواحد يذبحوا

ولفظة عطار المذكورة في الشعر ، المقصود بها هو مصطفى عامل الادريسي ، والأمير من قبله على كافة جبل الحجاز ، فإنه كان عطاراً في قرية (قنا) من أعمال محايل. والمراد بالعسيري هو الشيخ حسن بن علي بن

بن سعيد بن هشام بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن خالد بن عبد الله بن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وقد التقت مع (الغز) في جبل همدان المسمى (باقم) فأخذت اسمها منه بعد تلك المعركة ، وقد قتل أميرها سليمان في المعركة التي انتصر فيها ، فتولى الأمر بعده ابنه (حسان) وبعد اخراج (الغز) من اليمن ، زحف حسان بهذه القبائل إلى بيشة فأخرج من فيها من (الغز) إلى الطائف ، واستقرت هذه القبائل التي معه بجوار قبائل سبيع الأزدية ، في جبل (حضن) ، وقد انجلت عنه قبائل بني هلال حيث توجهت إلى مصر ومنها إلى المغرب. ومن بقي من بني هلال تحالف مع هذه القبائل إلا بعض بطون منهم استقرت في «القحمة» و«البرك» و«ذهبان» و«حمضة» وحالفت قبائل كنانة ، وبعض قبائل رجال ألمع وأصبحت في عدادها وذلك حوالي عام ٥٥٩ هـ ، ثم امتدت قبائل البقوم إلى شرقي جبل حضن وشماله.

عائض، أكبر أعوان الإدريسي، وتحت سلطته كافة قبائل الحجاز وهو الذي عند دخولنا أبها طلب من دولة الأمير الأمان، بعد أن رفض طاعة الإدريسي، وقد عينه أمير مكة في أبها مساعداً للمتصرف، ورتب له خمساً وعشرين جنيهاً شهرياً، وصار من أعظم أعداء الإدريسي[1]، ومن أخلص المخلصين للدولة، وهذا كله حسن تدبير دولة الأمير - أدام الله لنا وجوده، وأبقاه ناصراً للاسلام والمسلمين.

جبل حضن[2]

وفي يوم الأحد الثامن عشر قمنا من وادي تربة الذي هو المرحلة الثالثة عشرة من أبها قاصدين: وادي الخُمْرة، وبينما نحن سائرون إذ رأينا جبل حضن، المشهور في التواريخ العربية، وهو يبعد عن الطريق العمومي من جهة اليمين بستة آلاف متر تقريباً، وطول هذا الجبل من الشرق إلى الغرب ١٠ كيلومترات، ومن الشمال إلى الجنوب ١٥ كيلومتراً، وفي سطحه مياه كثيرة، وأشجار عظيمة، وهي ملك لقبائل البقوم، وعندما تشب الحرب بينهم وبين قبائل عتيبة، أو سبيع، أو بني الحارث، يقيمون بهذا الجبل لأنه حصين، ويتركون إبلهم ومواشيهم ترعى في سطحه، حتى تنتهي الحرب، وهو بمثابة حصن لهم.

وفي الجهة الغربية من الجبل أربعة جبال على خط واحد، وعلى أبعاد متساوية من بعضها، وترى من بعد كأهرام مصر، والأخير منها يسمى: جبل ساق، وهو الحد الفاصل بين ديار قبائل البقوم، وديار قبائل بني الحارث.

---

(١) [سبق أن بحثنا الموضوع]. [وجبل باقم اليوم لبني جماعة بن عامر].
(٢) [وبه قلعة للأمير عائض بن مرعي، وهي مقر عماله على هذه الجهات].

ووادي (الخُمرة) واقع غرب جبل ساق، وهو تمام المرحلة الرابعة عشرة.

جبال الغربان والعقيلات

وفي الساعة الحادية عشرة مساء الأحد مررنا بجبال يقال لها: الغربان والعقيلات. وجبل العقيلات ملجأ للصقور بكثرة، ولا تبيض وتربي أفراخها إلا هناك، ولشهرة طيور هذه الجبال بالقنصة وافتراس الصيد، يتوجه بعض العرب الذين لهم شغف بالصيد إلى هذه الجبال ويأخذون بعض أفراخها الصغار ويربونها عندهم ليصطادوا بها. وهذه الجبال هي الحد الفاصل بين قبائل: ابن الحارث، وقبائل عتيبة. وبعد ما تركنا جبال الغربان دخلنا وادياً يقال له: (وادي النير) فأمر دولة الأمير بالنزول على آبار هناك للارتواء منها فوجدنا الآبار خالية ما عدا واحدة ارتوى بعض القوم منها.

وادي كلاخ

وفي الساعة الثالثة ليلاً سرنا حتى نزلنا على طرف وادي كلاخ، وفي الساعة الحادية عشرة صباح الاثنين التاسع عشر منه سرنا حتى دخلنا وادي كلاخ الساعة الواحدة، وهو المرحلة الخامسة عشرة من أبها.

ويزرع في هذا الوادي: البر، والشعير، وفيه كثير من بساتين الفواكه، وحدائق النخيل، وتشرب مزروعاته من الآبار.

قدوم أنجال الأمير

وفي الساعة الثامنة نهاراً قدم علينا من مكة بقية أنجال دولة الأمير

وهم: عطوفة علي بك وكيل دولة الأمير بمكة، وزيد بك، ومعهم عبد الله باشا حفيد المرحوم سيدنا الشريف عبد الله باشا أمير مكة سابقاً، والشريف زامل بك، والشريف جعفر بك، أنجال عطوفة ناصر بك شقيق دولة الأمير، وفي معيتهم من الفرسان وأرباب الهجان ما يزيد على الثلاثمائة، والكل قادمون لمقابلة دولة الأمير فرحين مهنئين لنا بقدومه السعيد، وانتصاره على الشقي العنيد.

وحضر كذلك أهل وادي كلاخ، وصاروا يطلقون بنادقهم أمام سرادق دولة الأمير، وهم قبيلة يقال لها: النفعة، من قبائل عتيبة، وقدموا ضيافة لدولة سيدنا.

وادي ليه

وفي الساعة الثامنة سرنا، ونزلنا الساعة الواحدة ليلة الثلاثاء، في محل يقال له: (شُرس)، وبتنا هناك، وقلنا في مكاننا هذا المسمى: وادي ليه، وهو وادٍ كبير يزرع فيه من الفواكه، العنب، والخوخ، والمشمش، والكمثري، والتفاح، والتين، والسفرجل، والتوت، والرمان الذي لم يوجد له نظير في سائر الأقطار ويضرب به المثل برمان الطائف، وأثمان الفواكه فيه رخيصة جداً، ويزرع فيه: البر، والشعير، والبرسيم، والذرة، وتشرب مزروعاته من الآبار، وفي هذا الوادي، عين جارية حفرها الشريف حمزة الفعر العبدلي[1]، ولكنها تارة تسيل، وتارة يمتنع سيلها، إذ كفّ جريان السيل عن الوادي، وذلك لعدم تمام عمارتها إلى النهاية.

وادي النمل

ثم قمنا من شرس ونزلنا في محل يقال له: نخب، لقبيلة وقدان، واسمه

الحقيقي: وادي النمل الذي ذكره الله تعالى[1] بقوله: ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ ٢٧ ـ ١٨.

وفي صباح يوم الخميس الثاني والعشرين من شعبان، قمنا من هذا الوادي وسرنا حتى إذا كان بيننا وبين الطائف سير ساعتين ونصف، وجدنا حضرة الوالي حازم بك، والقومندان منير باشا، وفضيلة قاضي مكة المشرفة، ومدير الحرم المكي، والدفتردار، وجميع هيئة الحكومة وجميع العساكر النظامية قد أتوا لمقابلة صاحب الدولة والسيادة أمير مكة المكرمة.

وكان الوالي ومجلس البلدية قد أعد سرادقاً من أفخر ما يكون لاستراحة دولة الأمير عند قدومه عليهم، وخرج جميع أهالي الطائف، وأهالي مكة، والأجانب من جميع الأمم الاسلامية، حتى صار عدد القادمين يزيد على عشرين ألف نفس، وعلامات السرور بادية على وجوههم، والكل فرحون بقدوم دولة الأمير.

سرادق علي بك

وبعد أن استراح دولته في السرادق المعد له، وتناول المرطبات، قام ومن معه من الجيوش، والعساكر النظامية، والأهالي حتى امتلأ بهم السهل والجبل قاصدين السرادق الرسمي الذي أعده لدولته عطوفة نجله علي بك خارج البلد (الطائف) مسافة ١٥ دقيقة، وحينما وصل دولة الأمير اصطف

---

(١) [هذا من تفسير المؤلف، ولم يصل إلى هذا المكان سيدنا سليمان عليه السلام، فإذا سمي وادي النمل فليس من الضرورة أن يكون هو المقصود، فإن هناك أمكنة أخرى في غير قارات تحمل هذا الاسم].

أمام السرادق أربع فرق من العساكر النظامية، كل فرقة ثمانمائة جندي، ولما استقر دولته بسرادق الخاص، قدم الناس عليه مهنئين له بالنصر المبين على الإدريسي وقومه الأشقياء المارقين، وفي هذا الوقت اطلقت المدافع، وصدحت الموسيقى، وركبت الأشراف على الخيل، وصارت تتسابق عليها بين السرادق والبلد، وكان الاحتفال احتفالاً باهراً لم أر مثله، ودام ثلاث ساعات والكل يدعو لمولانا أمير المؤمنين وحامي حمى الدين، ولدولة أمير مكة بدوام السعد والاقبال.

وكان من جملة المهنئين حضرات العلماء الأعلام، وتلا بعضهم قصائد لتهنئة دولته بالقدوم، فمن ذلك ما تلاه حضرة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد النجار، المدرس بالطائف، بمسجد سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنهما.

قصيدة الشيخ النجار

وفود التهاني بالإياب والنصرِ ... أتت تجتلي كأس السرور مع البشر
وأمست لدى كل القلوب مسرة ... فكل بفضل الله منشرح الصدر
فكيف وقد لاحت بأفق ربوعنا ... شوارق أنوار المليك بلا نكر
سليل العلى روح الكمالات ذو التقى ... حسين أخو الإحسان والحلم والبر
قدوم غدا عيداً سعيداً مباركا ... ويوم لدى الأيام كالكواكب الدري
ونحمد من أجرى الأمور بلطفه ... على خير ما نرجو ونتبع بالشكر
فأهلا بخير الأكرمين ومن غدا ... على هامة العلياء منفرد الذكر
بحلم وعلم بل بعزم وهمة ... عظيمين كالسيف الصقيل او الدهر
نهنيك بالفتح المبين لبلدة ... لقد كاد اهلوها يموتون بالحصر
فأنقذتهم منه وكنت غياثهم ... فهنيت بالقدر الجزيل من الأجر
فأبهى، بكم زانت وعاد بهاؤها ... وأصبح في ارجائها يهتف القُمري

عسير ، بكم قد يسر الله أمرها فأبدل ما فيها من العسر باليسر
فلا زلت غوثا للأنام جميعهم تخلصهم مما يفاجىء من ضر
سطوت على الاعداء تقدم فتية لدى الحرب أسد في النزال وفي الكر
أخو المجد عبد الله منهم ، وفيصل أباد رقاب القوم بالبيض والسمر
هما في ظلام الحرب نور اضاءة بهم يهتدي الجيش العرمرم إذ يسري
ومنهم ليوث الحرب من آل محسن سلالة أمجاد جحاجحة غر
كأن المنايا في بطون سلاحهم لدى النقع والرايات مقرونة النصر
فيا ابن علي انت مصباح عصرنا تزول به عنا الحنادس اذ تجري
ويا ابن رسول الله لا زلت كوكبا تضيء بك الدنيا لدى غسق الدهر
فأيامنا غر بأنوار عدلكم كذاك رياض الليل طيبة النشر
فسبحان من انشاك نورا تركبت عناصرك اللاتي تفوق على الزُهر
من اللطف والاحسان والحلم والتقى سوى ذاك مما لا يحيط بها حصري
اليك مليك الناس بكرا زففتها لتقبيل اقدام يكون بها فخري
قصيرة باع في المديح وكيف لا ويعجز في التيار مستخرج الدر
تعبر عن ودي وإني مخلص لدولتكم في السر دوما وفي الجهر
كما كان اصلي قبل ذلك مخلص ومحسوب عليكم وسيدنا يدري
فلا زلت في اوج السعادة راقيا ويصحبك التوفيق في النهى والأمر
واسأل رب الناس يسعد حظهم بطول بقاكم في سرور وفي نصر

قصيدة الشيخ عبد الله كمال

وكان معنا في هذه الغزوة قاضي الطائف قاضياً للجيش الشيخ الفاضل العالم الجليل عبد الله كمال من علماء الطائف ، فنظم ملخص الوقائع التي ذكرناها آنفاً بقصيدته الغراء وهي هذه :

هذا هو الفتح ام نصر من الباري وافى لسيدنا ام ستر ستار
ام هذه الغاية القصوى ظفرت بها ما نالها ملك يغزو بجرار
مهدت بالعدل أقطار الحجاز فيا بشرى لسكان بيت الله والجار

الأمن ساد بهـا والخلـق رافلـة في ظـل رأفتـكم من حـادث طـاري
تبني المعالي على المجد الأثيل كما بنـــاد سالـــف سادات وابرار
القـت اليـك زمـام الأمر دولتنـا في فـك أبهـا وإصـلاح لأقطـار
شمرت عن ساعد العليا وقمت بها يا حبذاالقوس قد سبقت الى الباري
جبـت المفـاوز في سهـل وفي حزن جزت الطريق كما يسري به الضاري
فمن تصـدى لـكم ذاق الهوان فـكم من وقعـة بعدهـا جاءوا بأعـذار
نظمـت بعـض شهير من وقـائعهـا خوف الاطـالـة او تشتيت افكـار
فأهل حلى وأهل القوز ما اتعظوا بـالنصـح شهراً ولم يصغوا لتـذكـار
ضلوا سبيل الهدى والرشد واتبعوا رأي ابن خرشان تمويهـا بـأشرار
حلت جموعهم بـالقوز واعتصبت فتيـــان بغي وجهـــال واشرار
جهزت جيشاً وعبـد الله يقـدمـه وفيصـل مـع بـني الزهراء اطهار
وعسكر في طوابـــير مظفرة وكـــل قرن من الفرسان كرار
فـأنشب الحرب في عجـلان بينهم قبـل الغروب الى تنسيم اسحـار
وأصبـح النصر مقرونـا بجيشهم عـلى البغــاة فولوهم لأدبـار
فكم قتيل ، وكم جرحى ، وكم أسروا بعـد الفرار فـلا يـأوون في دار
حتى لووا طـالبين الأمن وامتثلوا أمر الخليفـــة في جهر واسرار
وابن عرار مع الفصال قد جمعا من بـارق في الحجـايا كـل ختـار
ففـــل جنـــدكم المنصور شوكتهم حتى الرؤوس اتـت من قطـع بتـار
عادوا اليها عوانا بالسهول ضحى يوم الخميس وراموا الأخذ بـالثـار
وكم جموع اعـدوا في مضـائقهـا واشتـد فيهـا سعير الحرب كـالنـار
فظفر الله أهـل الحـق وانهزموا كـالشاة قـد افلتـت من كـف جزار
والقوم تقتلهم طوراً وتـــأسرهم والخيـل تتبعهم أخـذاً بـآثـار
وفي تنومـة جـاءوا بـالجموع عـلى محمـــد ابن دلـــيم يوم هـــدار
يومـا بـه قـامت الهيجـا على قدم وبـادروا نحوهـا من بعـد اسفـار
فكم رؤوس اتت من بعد ما انهزموا عنهـا فرار وهم بـالـذل والعـار
ويوم عمـق لقد طـال القتـال بـه حتى الى الصبح قد جلوا بأغمار
فخيـب الله كيـد المفسدين ومـا قـد صنعوا من اباطيل واعـذار

ومصطفى قد رأى احزابهم هزمت والحــق اظهره المولى بــأنصــار
رام الدفاع عن الحصر الزعيم به ومـــا بـــه عقـــدوا من سوء اضمار
فرتـب الجمـع والاعـلام في دَرَجٍ وحزب القوم من نجـــــد وأغوار
وقابلتهم جنود طال ما هزمت من قبلهم كـــل ذي بغي واضرار
وكان يوما عصيبا والوطيس حمي حتى الرصاص حكى وبلا لأمطار
والطوب دمر رايـات لهم نصبت والجنـــد انزلهم من روس اوعـــار
حــتى تولوا وقتــلاهم مجنــدلــة نحو الــثمانــين او زادوا بمقـدار
ففر عنــا زعـيم الحصر وانقطعـت امـــال شيطـانـه من كـل ديـار
ألقـى العصـا بينهم موسى ففرقهم وابطل الباطل المبني على هاري
قد حصحص الحق والاوهام زاهقة والعمى من بعدما عادوا بأبصار
لا تضمرن يا ابن ادريس لدولتنا مكرا فتورثهـــا اهوال اخطـــار
اسلك مسالك أجداد لكم سلفوا بـالصـالحـات عـلى عـلم وأذكـار
يـا سيـد الحرم المكي وجـيرتـه يا غرة الدهر يا مصباح أنوار
دانت اليك رقاب الخلق خاضعة من هيبة السيف لا من سحر سحار
نجيت أبها من الحصر المحيط بها ونلـت رحمتهـا في منـع اعمــار
كم أرصـدوا في عقـاب منهم زمراً ما ذنب سكانها ما ذنب احجار
عنـد الايـاب اتت بشرى تبشرنـا سر الجميع بذاك الخط والقارى
مـدحتـكم بقريـض عن مشاهـدة كـــل الوقـــائـع لا ظن واخبـــار
والنظم يقصر عن اوصاف دولتكم من حاضر كيف في شعثاء اسفار
لا زلت ترقى الى العلياء منزلة مـا دام ليـل الدجى يزهو بأقمـار
وختمها قد بدا تاريخه وجلا الله يستركم عن سوء اقـــــــدار

وهذه قصيدة العالم الجليل المدرس بالحرم المكي المشرف الشيخ علي شقيق الشيخ عابد مفتي المالكية:

العيد هنيء اذ نلت الهنا أبدا بفوز فتحك ابها في كمال هدى
والدين عوفى اذ عوفيت في شرف والمجد يبقى كما تبقى له سندا

احييت سنة طه[1] اذ أقمت لنا ... فرض الجهاد لتهدي كل من مردا

جبت البلاد تقيم الأمن مبتغياً ... وجه الاله فنلت الفوز والرشدا

خفضت كل مقام بالاضافة اذ ... نوديت من بين أهل العزم منفردا

فقمت بالعزم في سهل وفي جبل ... وجزت بالاسد تصمي كل من عندا

تحي مـآثر اسلاف مجـدهـا ... قد صح عن مالك عن نافع سندا

حسين فعلك سعد الدين يشرحه ... كشاف آيـاتـه في العـالمـين بـدا

أبدت سراياك أسد الغاب يقدمها ... في القوز فيصل عبد الله ما شهدا

بحليهم جنـدكم حـلاهم ظفر ... وذاق أعوان ادريس كؤوس ردى

تنومـة اعلنـت منشور نصركم ... على البغاة فعادوا طالبين هدى

في العمق حلت جموع القوم وانخذلت ... من بعدما قابلت جيشاً بكم سعدا

لـمـا علوت بجيش النصر في درج ... مزقت شمل جنود البغي مجتهدا

ونكست لهم الاعـلام وانهزموا ... وانجاب عن صبح أبها ليل من فسدا

رؤوس جمع العـدا آيـات نصركم ... تبدي لمن رام عن اعجازها رشدا

لو تنطق الخيل يوما بالذي شهدت ... من معجزات لابدت عنك ما وردا

فيسأل ابن دلـيم بعـد احمد والـ ... ـفصـال وابن عرار مـا بهم نفـدا

وليسألن مصطفى ما الحال في درج ... يحكيه والفضل ما يبديه قول عدا

هم قوم إبليس لا إدريس شيخهم ... اموا الضلال فنالوا الخزى والنكدا

يا حبذا العيد عيد الفوز فوزكم ... وعيد صومك في يمن الهنا بهدى

عيدان قد اشرقا في يمن سلطنة ... قد مهدت من رشاد للهنا مهدا

فيـا حسين المعـالي بر صومـكم ... وانـت افضـل من في صومـه حمدا

انعم هنـاء بعيـد الفطر لا برحت ... تحلو بكم غرة الوقت الذي سعدا

---

(١) الشائع ان « طه » من اسماء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو غير صحيح ، وانما هي من حروف أوائل السور

ابديت ذا اليوم عز الملك معتليا	بجحفل لجب يعلي منار هدى
خلنا به عدد الاعلام سائرة	تُقلُّ اعلام نصر الدين والاسدا
فالخيل تصهل والفرسان داعية	والبيض تزهر اذ برق السلاح بدا
والارض خاشعة والشمس مشرقة	طورا وتستر اذ ما عثير صعدا
حتى جلى صبحك لما زهى غسقا	من العجاج الذي قد ثار منعقدا
لا زلت تشكر في كل البلاد على	مكارم وتقى في سطوة وندى
ترجى مواهبكم تخشى صوائبكم	كالدهر في سلمه مع حرب من وجدا
عمت مراحمكم تحي الهدى ابدا	تمت صواعقكم تردي الضلال ردى
ودمت في ترف تمتاز في شرف	تعز أهل هدى تذل من مردا
تنيل من قصد الاحسان خير ندى	وراحما أبدا من لاذ منتجدا
ما قال نجل حسين غرس جدكم	عليّ إحسانكم ، المالكي سعدا
محمود نصرك سعد الدين ارخة	ان تنصروا الله ينصركم أهيل هدا[1]

سنة ١٣٢٩ ‏ ‏ ‏ ‏ ١٩ ٤٦ ٤١٠ ٦٦ ٧٤٧ ٥١

دخول الطائف

ودخلنا الطائف يوم الخميس الثاني والعشرين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف وأقمنا بها إلى اليوم الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة.

---

(١) كان من الواجب وضع ألف في آخر كلمة « تنصروا » وألف مقصورة في آخر كلمة « هدى » غير أن الحساب لا يتم إلا بما ذكرنا.

وادي المحرم

ثم قمنا يوم الأربعاء الساعة التاسعة نهاراً وسرنا قاصدين مكة، ومررنا على وادي المحرم الساعة الحادية عشرة، وهو أحد المواقيت للحرم المكي من جهة الحجاز[1]، وهو واد كبير، خصب التربة، تزرع فيه جميع الفواكه من عنب، ورمان، وتفاح، وسفرجل، وكمثري، وغيرها، ويزرع فيه أيضاً البر، والشعير، وغيرها من أصناف الحبوب، وبه آبار كثيرة.

وفي الساعة الثانية عشرة دخلنا واديَ الهدى، وهو واد كبير يزرع فيه كافة الفواكه، وهواؤه جيد، قل أن يوجد مثله، وهو يرتفع عن سطح البحر ألفين ومائتين وخمسين متراً، وعن الطائف مائة وخمسين متراً تقريباً، وبتنا فيه في نزل لأحد الأتراك.

وبعد صلاة الصبح قمنا من الهدى وأخذنا في الهبوط من جبل كرا، ولم نزل في هبوط إلى الساعة الثانية والنصف صباح يوم الخميس، ثم نزلنا أسفل الجبل في قرية يقال لها: (الكُرّ)، وقلنا فيها إلى الساعة الثامنة مساء.

ثم نهضنا قاصدين مكة المكرمة فوصلنا إلى قهاوي في محل يقال له (شداد) الساعة العاشرة، ونزلنا فيها للاستراحة، ثم قمنا بعد ساعة متوجهين إلى عرفة فوصلنا إليها الساعة الثانية عشرة ليلة الجمعة فبتنا فيها، وفي عرفة بئر مطوية ظاهرة على وجه الأرض منشؤها عين زبيدة ينتفع بها كل مار وعابر سبيل، ويردها البوادي القاطنون بوادي نعمان، وعرفة من قريش، وهذيل وخلافهم، والفضل في هذه لمنشئة تلك العين، وهي السيدة زبيدة. وكذلك حضر الشيخ وحدانة الهندي الذي أدخل عين زبيدة في كل

---

(١) وادي محرم: هو ميقات أهل نجد.

حارة من مكة ليستقي منها أهلها بلا مقابل[١].

وعين زبيدة المذكورة هي حياة أهل مكة، وحجاج بيت الله الحرام، ولذلك فإن دولة سيادة مولانا الشريف حسين باشا أمير مكة مهتم بالمحافظة على اصلاحها وبقائها جداً، ففي العام الماضي الذي هو سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف حصل مطر غزير، وأتت سيول عظيمة أتلفت عين زبيدة من أعلى عرفة، وهدمت خمساً وثلاثين خرزة حتى سدت مجرى الماء، وتراكمت البطاحي في مجاري الماء حتى أوقفت سيره، وانقطع الماء عن مكة. فلما رأى دولة الأمير ذلك شمر عن ساعد الجد، وتوجه بنفسه إلى الأماكن التي تلفت، وكان معه من العمال أزيد من خمسمائة عامل، وباشر العمل بنفسه، ونصب الخيام هناك، وأقام ـ حفظه الله ـ شهراً ونصفاً، وكنت بمعيته في هذه المدة، ولم يقم من مكانه حتى تمّ العمل، من بناء وتطهير مجرى الماء، حتى رجع إلى حالته الأصلية وزيادة وكان أهل مكة وقت انقطاع هذا الماء عنهم في غم وحزن شديدين لأنهم كانوا يشربون من الآبار الملحة، فلما رجع الماء بهمة وعناية دولة الأمير صار أهل مكة وما جاورها يدعون له ليلاً ونهاراً فجزاه الله عنا وعن الاسلام والمسلمين خيراً.

وفي الساعة الثامنة ليلاً قمنا من عرفة قاصدين مكة فدخلناها الساعة الحادية عشرة صباح يوم الجمعة السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة.

---

(١) هو وحدانة الهندي رجل من أغنياء الهند جمع من أغنياء الهند مالاً كثيراً وتبرع من ماله، وقام بتعمير عين زبيدة ـ زوجة هارون الرشيد الخليفة العباسي ـ حتى أوصل الماء لكل محلة في مكة المكرمة ـ فجزاه الله وكل من أعانه الخير ـ

حالة الإدريسي بعد رجوع
دولة أمير مكة من محاربته

لما تمّ ترتيب أبها من نحو أعمال الادارة والنظام، واستتب الأمن والراحة، وأمنت الطرق، وسارت القوافل تذهب وتعود بين القنفذة وأبها آمنة مطمئنة، وتخلص العالم من شر الإدريسي وأعوانه، وتوجه دولة أمير مكة المشرفة بمن معه من الجيش إلى الطائف كما وصفنا في صدر الرحلة، ضاقت الدنيا في وجه الإدريسي وولى هارباً من صبيا، والتجأ الى جبل فيفاء وتحصّن به، فتركت الدولة العلية - حفظها الله ونصرها على أعدائها - ذلك الشقي في منفاه، وشرعت في إدارة البلاد، وتشييد ما خربه الإدريسي وعماله، وتساهلت في احتلال قائمقامية صبيا، وعزمت على معاملة الإدريسي باللين والرأفة، كما هي عادتها ليرجع إلى رشده، ويتفق معها، كما حصل مع السيد الإمام يحيى حميد الدين. فسار بضد ذلك وشرع يكيد لها كيداً، ويحض قبائل قائمقامية صبيا وملحقاتها ضدها لأنه متشبع بالدسائس الإيطالية، التي مغزاها محو الإسلام، وإلحاق كل ضرر به، وهذا العضو الأشل في الإسلام أكبر عضد لها، مع أن الله سبحانه عز وجل يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ ٥ - ٥٤.

فحسبنا الله ونعم الوكيل في هؤلاء الخوارج على أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين وعلى الجامعة الاسلامية.

ولما أعلنت دولة القرصان - ايطاليا - الحرب على دولتنا العلية، وفجأة بلا داعي، وأسبابه أنها دولة إسلامية، كما هو جاري في مملكة مراكش

الاسلامية من فرنسا ، وفي دولة إيران الاسلامية من دولة المسكوف ، ودولة انكلترا كما هو معلوم.

وفي أربعة خلت من شهر شوال سنة تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف ، ساقت أساطيلها وجيوشها إلى طرابلس الغرب ، وبرقة الكائنة بين تونس ومصر في القارة الافريقية ، وبادرت مدينة طرابلس ، ومدينة درنة ، ومدينة بني غازي ، وطبرق ، بالضرب على حين غرة وخربت القلاع والحصون والجوامع ، وقتلت الشيوخ والأطفال والنساء بشكل فظيع ، وذلك بعد أن أنزلت عساكرها ، واحتلت الجهات المذكورة بدون مقاومة، لعدم وجود جيش مستعد للدفاع والذود عن أهل الوطن ، وعزموا على الخروج إلى واحات الجهات المذكورة وامتلاكها.

فتجمعت بقيادة المشايخ السنوسيين ، والجيش النظامي الموجود بها ، وتعاهدوا على صد هجمات العدو عن الداخل واجتمعت كلمتهم حتى صاروا جميعاً رجلاً واحداً ، فبارك الله في هذه الجامعة ، وهذا كله بفضل استاذنا الأعظم السيد المحترم سيدي أحمد بن سيدي محمد الشريف بن سيدي محمد السنوسي الكبير رضي الله عنهم ، وبهمة قواد جيوشنا المظفرة وهم أصحاب السعادة الأبدية المجاهدين في سبيل الله أنور بك ، ونشأت بك ، وعارف بك ، والي البصرة سابقاً ، وفتحي بك ، والسيد موسى بك ، وأدهم باشا ، وعزيز بك المصري وكافة قوادنا الضباط ، ومشايخ قبائل ولاية طرابلس الأبطال ، أصحاب النخوة والغيرة الاسلامية الذين أوقفوا دولة القرصان عند حدها فجزاهم الله عن الاسلام خيراً وبالأخص منهم المرحوم ساكن الجنان الشيخ المبري الذي استشهد بساحة القتال رضي الله عنه ، وعن كافة القبائل الافريقية التي ساقتهم للجهاد في سبيل الله نخوتهم العربية وغيرتهم الدينية لأنهم أقاموا مجد العرب في عصرنا الحاضر ، وإخلاصهم لجلالة مولانا أمير

المؤمنين، حتى شهدت لهم بذلك عموم الممالك، حتى صدوا أعداءهم وحبسوهم في جوف أساطيلهم الضخمة، وحجزوهم في مغاير استحكاماتهم التي شيدوها على شاطىء البحر، تحت مرمى قذائف أساطيلهم، وعلى الباغي تدور الدوائر.

فعندما يئست دولة القرصان من امتلاك ولاية طرابلس وبرقة، حوّلت نظرها إلى البحر الأحمر، وحاصرت ولاية اليمن لأنها مقر الساعد الأيمن الادريسي المارق عن الدين، وعن خطة أسلافه الصالحين، وضربت بمدافعها أغلب (أساكل اليمن)، ومن ضمنهم الشيخ سعيد الواقع في باب المندب، وهناك قلاع للدولة في فم (البوغاز)، ولما ضرب الطليان الشيخ سعيد جاوبتها قلاع باب المندب بالمثل، وأغرقت لها سبعة (وابورات)، فولى باقي اسطول ايطاليا هارباً من تلك الضربة، واقتصروا على محاصرة مرافىء اليمن، ومن ضمنها (أسكلة) جيزان التابعة لقائمقامية صبيا.

فلما وصل الخبر للإدريسي بجبل فيفاء نزل إلى صبيا، مقره الأصلي، وخابر أصدقاءه الطليان أنه مستعد لمساعدتهم على حسب الاتفاق المبرم بينهم بمصر يوم كان مقيماً بها فأنزلت له المدافع والبنادق (والميزر) والرصاص والذخائر كما طلب، وأعطته جنداً لضرب المدافع، وأنزلتهم بعد أن تزيّوا بأزياء عربية، فامتلأ قلبه فرحاً ورقص فؤاده طرباً لاعتقاده بأنها فرصة سنحت له، وهو لا يدري أن الدولة العلية ورجالها المخلصين والأمة العربية[1] ناظرون له بعين يقظة وقلب لا ينام، ونخص بالذكر دولة أمير مكة المكرمة، فقد ثبت له الآن ثبوتاً قاطعاً لا جدال فيه بأن الإدريسي

---

(١) [العرب شعب واحد، وليسوا أمة لأن الأمة تضم كل من يعتقد عقيدة واحدة، فالمسلمون أمة واحدة، والعرب جزء من هذه الأمة].

متفق مع دولة الطليان، بعدما حاصرت سواحل اليمن، وكانت المفاوضة بينه وبين أعدائنا بواسطة سماسرة السوء، وأعداء الله والدين والوطن، على تنفيذ أغراضهم بولاية اليمن، وتعهد لهم الادريسي بالزود والمساعدة ﴿يديرون ليطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ (٦١ - ٨).

أما السلاح والذخائر التي أرسلتها ايطاليا فإنها انزلت بين جيزان والبرك، لترسل إليه، فلما بلغ الشريف شنبر مأمور القنفذة من طرف صاحب الدولة والسيادة أمير مكة المكرمة، والشريف أحمد بن حسين المنديلي، في قوز أبو العير، هذا الخبر توافدت عليهما قبائل الجبال والسهل، وطلبت قطع دابر الادريسي صوناً لسفك دماء المسلمين، لأنه اتفق مع الأعداء.

فأمر الشريف شنبر القبائل بأن تتربص للسلاح المرسل إلى الادريسي، فتعهدت القبائل بذلك، وكمنت في كل طريق ومنفذ إلى أن تمكنت من ضبط بعض سلاح الطليان، وجاءت به إلى الشريف سنبر فأرسله إلى محمد علي باشا قائد القوة العثمانية في قائمقامية محايل.

أما القوات العثمانية المرابطة في تلك الجهات فهي: ستة عشر طابوراً في محايل، وثلاثة طوابير في قوز أبو العير، وفي بندر قائمقامية القنفذة ثلاثة طوابير، وفي أبها عاصمة لواء عسير بقيادة سليمان باشا الأسد الضرغام عشرة طوابير.

فلما بلغ الإدريسي خبر استيلاء العرب على السلاح والذخائر اشتد غضبه وحنقه فاستنجد بقبائل جبل فيفاء، والحسيني، وصبيا وأفهمهم أن الترك يأخذون الهدايا التي يرسلها إليه السيد أحمد السنوسي مع أن أستاذنا العظيم يبرأ إلى اليوم من موالاة أعداء الله ورسوله الكفرة وأعوانهم الخونة،

وأفعاله في ولاية طرابلس ودفاعه عن بيضة الاسلام ، وموالاته للدولة العلية دولة الاسلام أشهر من نار على علم ، فاغترت تلك القبائل بقوله ، وتجرد منها خمسمائة رجل بقيادة مصطفى الذي كان محاصراً أبها ، وفر منها عند وصول دولة أمير مكة إليها .

وكمنوا للقافلة الذاهبة من القنفذة إلى أبها ، فصادفوا أربعمائة جمل تحمل مؤناً وذخائر فأخذوها ، فوصل الخبر إلى الشريف شنبر ، والشريف أحمد بن الحسين المنديلي ، فقاما بمن معهما من الرجال واقتفيا أثر رجال الإدريسي إلى أن لحقوا بهم بوادي الشقيق ، فالتحم القتال ، وكان قومنا نحو ألف نفر ، فدارت الدائرة على الأعداء ، وانهزموا ، تاركين على الحضيض خمسة عشر قتيلاً ، وستة أسرى ، فعادت القبائل بالقافلة والأسرى ، ولم يفقد منهم بعناية الله أحد ، وسلم الشريف شنبر القافلة بأكملها لمحمد علي باشا ، الذي سيرها إلى أبها .

ومن ذكر أن القبائل التي كانت بالأمس مع الإدريسي هي التي خلصت القافلة من يده ، عرف مقدار تغير الحالة ، والسبب في هذا الانقلاب هو صاحب الهمة العظيمة ، والغيرة الاسلامية للدولة والدين نسل النبي العدنان ، دولة الشريف أمير مكة المكرمة حفظه الله بعنايته ونفعنا بأعماله الجليلة آمين .

تجدد القتال

أما أعمال الادريسي فقد قضت على دولة أمير مكة ، وعلى الامام يحيى ، وعلى الدولة تجريد القوات من كل جانب فقام من مكة المكرمة نجل دولة سيدنا عطوفة فيصل بك ، ومعه ستة طوابير من الجيش النظامي (١٥٠٠) ألف وخمسمائة من العرب ، و(٢٠٠) ومائتان من عسكر بيشة

الجندرمة من وادي بيشة شرقي الطائف و(٢٠٠) ومائتان من عسكر عقيل الجندرمة بالمدينة المنورة، وهم من عربان القصيم بنجد.

وكان في انتظاره أثناء الطريق المتطوعون من عربان اليمن، وأشراف ذوي حسن، والشريف شنبر ومعه عربان القنفذة، المعسكرين في قوز أبو العير.

ومحمد علي باشا من محايل، ومعه قوة نظامية، وعربان متطوعون. وقام سعيد باشا من الجنوب، ومعه قوة نظامية. وقام سليمان باشا من أبها ومعه خمسة طوابير، وعربان من عسير بقيادة الشيخ حسن بن علي بن محمد بن عايض، وهو معاون متصرفية أبها، وظفّه بها دولة أمير مكة.

والذي علمناه من الامام السيد يحيى امام اليمن أنه جهز قوة عظيمة من قومه من صعدة الواقعة جنوب أبها.

ووجهة الجميع: صبيا، وجبل فيفاء لاستئصال جرثومة الشر والفساد، وعندما وصل الشريف فيصل بك بقواته في وادي: دوقة رست سفن إيطالية حربية في مياه القنفذة، ولما أبصرها الجنود والعرب المتطوعون احتاطوا للأمر وأعدوا لذلك عدتهم فنقلوا المدافع التي في هذا الثغر إلى مكان يطل عليهم، وجعل الايطاليون في اليوم الثاني يطلقون القنابل على حصون المدينة، والثكنة العسكرية ثم على المدينة كلها، وتم الاتفاق في اليوم الثالث بين عسكر الايطاليين الذين في مدرعاتهم، وبين رجال الإدريسي، على الهجوم دفعة واحدة، أما رجال الإدريسي فإنهم هجموا على المدينة، وأما الجيش الايطالي فصار يتأهب للنزول إلى البر، واندفع رجال الإدريسي - في المنحدرات اندفاع السيل حتى صاروا على بعد (٧٠٠) سبعمائة متر من استحكاماتنا: وكان الملازم الثاني حسن نوري أفندي يقود الجنود النظامية، فأمر (الطوبجية) فأطلقت مدافعها على الجناح الأيسر من

المهاجمين ، وأمر (البيادة) فزحفت على الجناح الأيسر ، ودام القتال (٦) ست ساعات ، وفي هذا الوقت وصل فيصل بك إلى المعركة ، فزحف على جناحهم الأيمن ، ولم تكن إلا بضع ساعات حتى تمزق شمل المهاجمين ، وقتل منهم كثيرون ، وولى الباقون مدبرين .

وجعلت مدرعات الايطاليين تطلق قنابلها على (الطوبجية) العثمانية لتعطل بطارياتهم ، ولكن العثمانيين المظفرين كانوا قد أحكموا وضع مدافعهم في مكان حصن الطبيعة فلم يصبها الايطاليون بأذى ، وكأني بالإيطاليين ظنوا أن مدافعنا موضوعة في الأماكن التي تتفجر فيها قنابل بطارياتنا ، فكانوا يطلقون قنابلهم حيث يحصل الانفجار فأعانونا بذلك على الايقاع برجال الإدريسي الخائن ، لأن قنابلنا وقنابلهم كانت تصيب هدفاً واحداً .

والذي قتل من رجالنا عشرة عساكر نظامية ، ومن العرب اثنا عشر نفراً ، وظلت هذه المعركة مستمرة (١٠) عشر ساعات ، في أماكن مختلفة .

وكان الأعداء استهانوا في بادىء الأمر بقوتنا ، ولا سيما لما علموا أنها منحصرة في مكان واحد ، ولكنهم لما ذاقوا الموت ألواناً من رصاص الجنود النظامية ، ومجاهدي العرب ركنوا إلى الفرار تاركين ثلاثمائة قتيل في ميدان القتال (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) ٣٥ - ٤٣ .

أما الاسطول الطلياني فأخذ يضرب القنفذة ثلاثة أيام ، فالثكنة العسكرية ، ومحل الجمرك وبعض أكواخ من جريد النخل والقش لا توازي عشراً من مئات القنابل التي قذفت ، أما أهل البلد فإنهم خرجوا منها قبل حصول الضرب ، وانضموا إلى المجاهدين ، ونقلوا أمتعتهم إلى قرى قبيلة بني زيد ، بوادي قنونة ، والذي استشهد من العجزة والشيوخ والأطفال لا يزيد على (١٥) خمسة عشر .

جمع التبرعات للمنكوبين

ولما وصل الخبر لدولة أمير مكة ـ حفظه الله ـ بما حصل من انتصار المسلمين، وانهزام النصارى وأعوانهم المنافقين، استلحق أعيان أهل مكة في الحال وخبرهم بما حصل لأهل القنفذة، وطلب منهم المساعدة لإخوانهم المسلمين، وابتدأ دولته بدفع مبلغ في الاكتتاب، وفي ثاني يوم جمعت من مكة (٧٠٠) سبعمائة جنيه، ومن جدة (٣٠٠) ثلاثمائة جنيه، وأرسل المبلغ فوراً للقنفذة، والاكتتاب سائر إلى وقت كتابة هذا.

معركة حلي

ثم قام عطوفة فيصل بك بجيشه الجرار قاصداً قوز أبو العير جنوب القنفذة، فلما وصل إليه، وعسكر فيه أرسل لقبائل حلي يدعوهم للحضور، حتى يعلم الطائع من العاصي، فحضر أغلب قبائل حلي، ما عدا قبيلة الشيخ ابن الصغير الناكث لعهود الله، الذي كان مطيعاً لدولة أمير مكة في العام الماضي، فلما تحقق الشريف فيصل عصيانه ومن معه من قواد العساكر النظامية، نهضوا من قوز أبو العير ووجهتهم حلي فوصلوا إليها قاصدين قرى العصاة في اليوم التاسع عشر من جمادي الأولى سنة /١٣٣٠/ ثلاثين وثلاثمائة وألف، وصار القتال، وبعد ساعة انكسر العصاة عن اثني عشر قتيلاً خلاف الجرحى، وأسروا أحد شيوخهم حامل راية الادريسي فوجد مكتوباً عليها (نصر من الله وفتح قريب) وفي طرفها علامات تابعية ايطاليا، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وانبث المجاهدون في قراهم وغنموها، وأحرقوا قراهم، حتى يكونوا عبرة لغيرهم، وبعد أن استولوا على القرى وجدوا في بيت ابن الصغير سلاسل وأطواقاً وعمداً من الحديد، كانت معدة للقبائل التي عرفت خيانة

الإدريسي ، ونفرت منه ، كما ينفر السليم من الأجرب ، ورجوعهم إلى الحق ، وموالاتهم لدولة الخلافة الاسلامية ، فصفد بتلك الأغلال أعناق أسرى رجال الإدريسي ، ورد الله كيدهم في نحرهم .

---

(١) [بينما كان الأمير فيصل يفكر في القضاء على الإدريسي حسب خطة والده والسيطرة على تهامة عسير التي أصبحت مطمعاً لايطاليا وكان يساعده متصرف عسير وآل عائض بصفتهم يتبعون جميعاً الدولة العثمانية اسمياً لوجود قوات تركية برية في أبها وقوات بحرية في ميناء القنفذة وإذ ببرقية تأتي الأمير من والده أمير مكة الشريف حسين يأمره فيها بترك تهامة ، والقتال ، والعودة الى مكة للعمل ضد الأتراك بعد اتفاقه مع الحلفاء .

وفي هذا الوقت الذي أصبح الشريف حسين يعمل ضد الأتراك وكذا الإدريسي الذي أغراه دعم ايطالية له حيث كانت في حرب مع الدولة العثمانية من أجل ليبيا ، فضربت موانىء البحر الأحمر الأمر الذي زاد من طمع الادريسي فحاول السيطرة على القبائل التهامية التابعة لأبها باسم إجلاء الأتراك ؛ وهنا يصطدم بآل عائض مرة أخرى الذين وقفوا بجانب الدولة التركية بصفتها دولة مسلمة ، وقد تنكر لها أبناؤها الذين كانوا معها من قبل .

بدأت المناوشات بين أبها وصبيا ، واستمرت مدةً حتى جاء الأمر للقوات التركية بترك منطقة عسير بعد أن حوصرت قواتهم في المدينة المنورة عند ثورة الشريف الحسين عليهم . . . . وعندها أصبح في الميدان آل عائض في عسير وقد زادت قوتهم بما خلفه الأتراك من معدات وقوات برية وبحرية تقديراً لموقفهم الذي وقفوه بجانب المتصرف ووفائهم ، والإدريسي في صبيا وهو يستمد الدعم من ايطالية التي وجدت فيه بغيتها لمد نفوذها إلى موانىء البحر الأحمر . وكان القتال بعد أن فشلت محاولات الإدريسي السياسية في مد نفوذه إلى سراة عسير والوناق مع آل عائض للوقوف في وجه الإمام يحيى الذي يحاول مد نفوذه على صبيا وجيزان وبالتالي على عسير والقضاء على إمارة آل عائض ، والوقوف أيضاً معاً ضد أطماع الشريف حسين ، وكان سبب الفشل نوايا الإدريسي التي كان يخفيها ضد عسير .

ولما فشل الوفاق بين الإدريسي وآل عائض رأى أن القوة هي العامل الأساسي في حسم الموقف مع آل عائض، ولكنه كان يخشى موقف الإمام يحيى لذا فقد راسله مبيناً له خطر آل عائض على المنطقة إذ يمكن أن يعودوا إلى عهد أسلافهم في توحيد أجزاء اليمن تحت سيطرتهم، وهذا ما يشكل خطراً على الطرفين (الامام يحيى والادريسي)، كما لّمح له إلى قوة آل عائض التي زادت بسبب ما أخذوه من قوات تركية.

رأى الامام يحيى أن الوقت قد حان له لضم ما كان يفكر فيه من أجزاء عسير يرى أنها مفقودة منه وهي جيزان وصبيا وصعدة ونجران وبقية المناطق. ورأى أن يضرب آل عائض بالإدريسي ليجد المبرر في احتلال تلك الأجزاء.

فشجع على الصدام بين الطرفين وأمد الادريسي بما يزيد على عشرة آلاف مقاتل شريطة أن يسلحهم، وهو ينوي أن يسحب السلاح من الادريسي والانقضاض عليه بعد ذلك.

ودعمت ايطاليا الإدريسي حسب طلبه، بما يزيد على عشرين ألف مقاتل جلهم من الصوماليين والافريقيين إضافة إلى كميات كبيرة من السلاح، وكانت غاية الادريسي مباغتة آل عائض بوصول القوتين الداعمتين إلى مشارف أبها في آنٍ واحدٍ قوة اليمن من الجنوب، وقوة ايطاليا من الغرب، إلا أن هذه التحركات لم تكن لتخفى على آل عائض فأعدوا العدة لذلك إذ جهزوا جيشاً اتجه نحو الغرب، وآخر سار نحو الجنوب.

أرسل الإدريسي قوة من رجال تهامة بقيادة البهكلي ومن انضم إليهم من اليمن بقيادة ابن محفوظ، فتقدمت من جهة الجنوب، واستطاعت أن تتوغل حتى تمركزت في البطحاء وقرى رفيدة على الرغم من مقاومة قبائل قحطان وسنحان ووادعة وسحار لها، وتحركت قوة ثانية من صبيا بإمرة مصطفى المغربي باتجاه شمال تهامة عسير فاحتلت الموانىء العسيرية وأخذت القطع البحرية التي كانت فيها لآل عائض مما خلّفه الأتراك، كما استولت على محايل وبارق، وارتقت السراة، وأجلت قوة آل عائض عن مراكزها، وتمركزت في

باحة ربيعة وساندها أسطول ايطاليا المرابط في موانىء عسير.

كان آل عائض قد جمعوا مجلس شوراهم لبحث الموقف العام، وهم على علم - كما ذكرنا - بتحركات الإدريسي وما يتلقاه من دعم ايطالي، وبوجود اسطول ايطالي لهذه الغاية على مقربة من شواطىء عسير على البحر الأحمر وقرر مجلس الشورى أن تكون أبها نقطة تجمع قوات آل عائض لارسال المدد لقوتيهما المدافعة. وكان الجيش الأول قد تحرك نحو الشمال بقيادة مشايخ قبائل تلك الجهة (ربيعة ورفيدة وبنو مالك، وعلكم، وبنو مغيد) ومعهم عدد من آل عائض منهم عبد الله وناصر وعائض أبناء عبد الرحمن بن عائض، واستطاع هذا الجيش أن يوقف قوات الادريسي تماماً وأن يحول دون قيامها بالمناورة ريثما تتواجد قوة آل عائض المتجهة نحو البطحاء.

وسار الجيش الثاني بقيادة محمد بن عبد الرحمن آل عائض نحو قوات الادريسي في البطحاء، وتمكن من هزيمتها، وفلت القوات اليمنية إلا أن قوات عسير أبادت معظمها وسلبتها، وهزمت قوات الإدريسي واندحرت نحو صبيا. ثم اتجهت قوات آل عائض لمساندة إخوانهم في الشمال، مع أنه بقي قسم من قواتهم بقيادة عوض بن عائض بن جلالة القحطاني وشاهر بن راسي لمتابعة فلول قوات الإدريسي، واستغل الامام يحيى موقف الإدريسي فتقدم نحو تهامة واحتل موانىء الحديدة وغيرها، وزحف نحو (حرض) و(ميدي)، كما استولى على صعدة وهمدان الشمالية ونجران من آل عائض.

وبضعف الإدريسي اتجه نحو انكلترا التي غدت صاحبة النفوذ بالبحر الأحمر وجزيرة العرب وعقد معها معاهدة ارتبط بها معها، ولكن كان هذا لمدة محدودة ارتبطت بامكانية استفادة انكلترا منه، وشعر الإدريسي بعدها بالخطر المحدق به من كل من عسير وصنعاء، وصمم آل عائض على إجلائه من تهامة على اعتبارها جزءاً من عسير، وعليها تقع معظم موانئه، وعلم بالتحركات المهيئة له لإزاحته من تهامة، وأدرك في الوقت نفسه أن رجال تهامة ضعفاء لا يستطيع النهوض بهم لبناء مجد أو إقامة إمارة، أو مقاومة أمام الأحداث التي تنتظره، وقد استفاد خبرة في هذا من التجربة التي حصل عليها

في حربه مع الشريف ومع آل عائض، وهذا ما جعله يفقد الأمل فيهم إذ يفتقدون إلى روح المقاومة والحماس للقتال، ومن الصعب الاعتماد عليهم في حرب كهذه وخاصة أنه شعر ببدء العملية التي تهدف ازاحته عن تهامة والقضاء عليه من قبل صنعاء وأبها. إذ كل من حكومتي البلدين يعد العدة للانقضاض على ما تحت يده. وكل منهما يرى أنه الوريث الشرعي لاعادة اليمن إلى وحدة متكاملة، فآل عائض يرون أن هناك مبررات للاستيلاء على اليمن كلها ووحدتها تحت سيطرتهم ونفوذهم على اعتبار أن عسير جزء من اليمن. وكذا آل حميد الدين أن منطقتهم مركز اليمن وأصلها.

ورأى الإدريسي أيضاً أن انكلترا حليفته قد بدأت تتخلى عنه لأنها أدركت أن التعاون معه لا يفيدها شيئاً حيث بدء وضعه يترنح باعتبار أنه دخيل على المنطقة وليس له من سابق مجدٍ لاستغلال ذلك في مصلحتها كما أنه لا يتمكن من الصمود بمن حوله من رجال تهامة مع تباين نزعاتهم واتجاهاتهم إذ بعضهم يود الانضمام إلى صنعاء والآخر يرغب التوجه نحو أبها فكيف تدعمه وليس له من قاعدة يستند عليها. وعلى هذا فلم يعد هناك ما يشجعها على دعمه ما دامت لا توجد فائدة منه، أو لا تستطيع تحقيق مصالحها أو تنفيذ مخططاتها التي تحلم بها في المنطقة، وخاصة وضع يدها على موانىء البحر الأحمر لتكون قواعد انطلاق لها على المنطقة كلها. كما أنها قد وجدت بغيتها في غيره خير منه وأقوى فبدأت تتخلى عنه، ولم يخف ذلك على الإدريسي بل كان مدركاً لهذه العوامل التي تحيط به، لذا فقد انقطع أمله فمن كان يمده بالأمس قد قطع عنه المدد الآن ووجد نفسه وحيداً منفرداً بين قوتين كل منهما يحاول اجتثاث جذوره من تهامة حتى من كان معه من رجال ألمع قد بدءوا يعودون نحو أبها إذ يعودون في أرومتهم إلى رجالها، وما انفصلوا عنهم خلال تاريخهم الطويل، وما كان انضمامهم إليه إلا لحاجة في أنفسهم. كل هذا دفعه للبحث عن حليف جديد فوجد ذلك في سلطان نجد عبد العزيز آل سعود فاستعداه على آل عائض على ما بين الطرفين من صلات، وعلى آل حميد الدين كل ذلك في سبيل المحافظة على سلطانه في صبيا، والتمكين لنفسه بهذا الحليف الجديد.

وتحرك ما في نفس أمير نجد من كوامن لضم أبها إلى الرياض واستنهض ذلك همته وشجعه إغراء الإدريسي فكانت هناك مناوشات على الحدود أدت في النهاية إلى الحرب. فجرت معارك بين الجانبين على الحدود ما بين بيشة والدواسر والهضب وكانت الحرب سجالاً بينهما، وكان آخرها القوة التي كانت بإمرة عبد الله بن محمد بن ثنيان آل سعود، وسعود بن ناصر بن فرحان آل سعود، والأمير فيصل بن عبد العزيز، وكانت جيوشهم متفرقة على جبهات قوات عسير في الخماسين، والهضب، والخرمة، واستطاعت بعد اجتماعها بقيادة الأمير فيصل دخول بيشة، وطلبت من الادريسي الضغط على أبها من جهة الغرب، وحميت الحرب، واستمات العسيريون في الدفاع عن بلادهم، وأخيراً سقطت أبها عام ١٣٤٢ هـ، وغدت عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية.

وأثناء ذلك استغل الامام يحيى هذه الحرب بين عسير ونجد فاحتل صعدة ونجران وهمدان من إمارة آل عائض، وكذلك حكومة عدن.

وفي عام ١٣٤١ هـ توفي الإدريسي، وخلفه ابنه علي إلا أن أتباعه قد ثاروا عليه، وبايعوا عمه الحسن، وفرّ هو الى نجد، ولكن الحسن لم يلبث أن شعر بضعفه فاتصل بنجد، وارتبط معها بمعاهدة أدت في النهاية إلى أن تصبح صبيا جزءاً من المملكة العربية السعودية عام ١٣٤٥ هـ.

ثم نشبت الحرب بين الامام يحيى والملك عبد العزيز على أجزاء المناطق التابعة لعسير، فاحتج الملك عبد العزيز بأن ما كان تابعاً لآل عائض إنما هو من عسير وقد أصبح جزءاً من المملكة العربية السعودية، ويجب أن يكون كذلك. أما الامام يحيى فيقول عنها: إنها أجزاء من اليمن ويجب أن تعود كذلك وسبق أن استولى عليها منذ أيام الإدريسي. وقد زالت عنها سلطة آل عائض. ولكن الملك عبد العزيز يعد الإدريسي دخيلاً ومعتدياً، ويدين بالولاء للطليان والانكليز ويعمل على تنفيذ مخططاتهم، وأن صبيا وجيزان وما جاورها من أملاك آل عائض ذهبت منهم وقت ضعفهم أمام الترك، وقد وضع يده على ما كان تحت يد آل عائض وأصبحت عسير وملحقاتها من مملكته.

ثم حدث الصلح بين الطرفين بعد أن توغل نواب الملك عبد العزيز في

اليمن، واحتلوا الحديدة وجعلوها نقطة تجمع لاستعادة ما كان يتبع إمارة آل عائض.

ونتيجة الصلح انسحبوا عن جميع ما تم احتلاله مقابل تخلي الإمام يحيى عن نجران، وظهران الجنوب، وبدر، وحبونا، وشروراء، وسمخ، وما يلحق نجران من بلاد يام، والصيعر، والكرب].

صفة جزيرة العرب

صفة جزيرة العرب

بلاد العرب يحدها شمالاً بادية الشام الكبرى ، وغرباً البحر الأحمر ، وشرقاً بادية العراق وخليج فارس وبحر عمان ، وجنوباً المحيط الهندي .

وأرض هذه البلاد في الغالب رملية وخصوصاً وسطها ، بين نجد وحضرموت وبلاد عمان وعسير والحجاز حيث توجد الصحراء الكبرى التي يسمونها بالدهناء ، والعرب يسمونها بالربع الخالي . ويوجد في أواسطها وهاد من رمال ناعمة بكثرة تنقلها الرياح على الدوام من جهة الى أخرى ، واذا صادفت حركتها مرور بعض القوافل التي تخاطر بنفسها في السير على حافاتها التهمتهم واغرقتهم في جوفها وقبرتهم فيه . ويمتد من شمال هذه الصحراء طريق كاللسان يسير بين بلاد الحساء والقصيم ، ثم يميل الى جهة الغرب حتى يمر ببلاد الجوف ويتصل ببادية الشام التي يسمونها بالنفود الصغرى .

أما سواحل البلاد فهي عامرة بالسكان ، وفيها كثير من المزارع . ويوجد ببلاد العرب جبال شمخ خصبة كثيرة الأشجار وعيونها كثيرة .

جبال جزيرة العرب

ومن أهم الجبال ببلاد العرب جبل الحجاز، الحاجز بين نجد وتهامة، ويوجد به أنهار كثيرة، وبساتين نضرة، ومزارع كبيرة، ومحصولاته وافرة، ومن أهمها البن الذي لا يوجد له مثيل في الدنيا.

وجبل عُمان[1] الشهير بالجبل الأخضر. ويوجد بنجد جبل عارض، وجبل طويق. وفي شمر جبل سلمى، وفي ولاية الحجاز جبل الفقرة، وجبل صبح، وجبل رضوه.

وهذه الجبال عامرة بالسكان كثيرة الخيرات والبركات.

تقسيمات جزيرة العرب

وبلاد العرب ستة أقسام: اليمن. عسير. نجد. عُمان. حضرموت. جزيرة البحرين.

القسم الأول.. بلاد اليمن

بلاد اليمن ولاية عثمانية واقعة في الجنوب الغربي من جزيرة العرب وهي قسمان:

القسم الغربي منها على ساحل البحر الأحمر، وهي السهول وتسمى: بتهامة..

والقسم الثاني هو جبل السراة، أي جبل الحجاز لكونه حاجزاً بين نجد وتهامة.

---

(١) في الأصل: معان. وهو خطأ مطبعي ظاهر.

ويبلغ عدد سكان ولاية اليمن تسعة ملايين ونصف على أقل تقدير ، منها أربعة ونصف بالجبل ، وخمسة بتهامة ، وطول هذه الولاية من الشمال الى الجنوب خمس وعشرون ومائتان وألف كيلومتراً ، ومن الشرق الى الغرب سبعمائة كيلومتراً .

وعاصمة الولاية صنعاء ومقرها جبل الحجاز وعدد سكانها مائة وخمسون ألفاً ، منهم عشرة آلاف اسرائيلي ، والباقي مسلمون .

ويتبع هذه الولاية ثلاثة الوية : لواء تعز ، ولواء الحديدة ، ولواء عسير .

ويتبعها من الأقضية : قضاء مخا . وزبيد . وبيت الفقيه . وباجل . والزيدية . ومناخة . وريمة . وبريم . وعمران . وكوكبان . ودمار . وتربة دبحان . وجبله . وإب . ورداع . والخزجه . وقعطبة . ووادي مور . والحجة . وشاهل . والحجيله . ورقاب . والطويله . وماويه . وصبيا . ومحايل . ورجال ألمع . والقنفذة . والنماص . وغامد .

وأيضاً يتبعها من النواحي : معبر . وعلان . وضبه . وبلاد البستان . وخولان . والحدا . وسفحان . والروضه . ومنهم . وعتمة . وذوا السفال . والضحى . والمسنب . وقفل شمر . وهمدان . وابن الحارث . وارحب . والظفير . والمنصوره . والمنصوريه . ومقحق . والخميس . ومتنة . وحجرة ابن مهدي .

هذا ما أدركناه من الأقضية والنواحي ، ويتبعها من القرى على أقل تقدير ألفا قرية .

وفي حدود ولاية اليمن من جهة الجنوب والشرق سلاطين مستقلون بادارة شؤونهم واوطانهم : سلطان لحج أحمدبن فضل العبدلي ، وسلطان البيضاء ، وسلطان دشينه ، وسلطان النصاب ، وأمير سبا ، وهو من أشراف

الجوف ، وسلطان أحور ، وسلطان حبان ، وسلطان يافع ، وسلطان بيحان ، وسلطان المكلاً ، والشحر . واغلب حضرموت تحت سلطة السلطان غالب بن عوض القعيطي ، المحتمي بانكلترا ، وأغلب هذه البلاد المستقلة بامرائها ، في المثلث شرقي صنعاء الى ساحل البحر المحيط .

جبل الحجاز

وجبل الحجاز عامر بالسكان ، وفيه عيون طبيعية تتكون منها أنهار تسير في وديان خصبة ، منها ما يسير الى الغرب وينحدر في تهامة ، وتشرب اراضي تهامة من هذه الأنهار ، وتفيض الى البحر الأحمر ، واكبر هذه الاودية وادي حلى ، ووادي يبا ، ووادي الشقيق ، ووادي البرك ، ووادي الوسم ، ووادي بارق الشهير بشرف ، ووادي ابو عريش ، ووادي قنونه ، ووادي القرماء ، ووادي ناوان ، ووادي الأحسبة ، ووادي دوقه ، ووادي الشاقة اليمانية ، ووادي الشاقة الشامية ، ووادي عُظيم ، يسيل على صبيا .

وتلك الأودية كلها اراض زراعية تزرع ثلاث مرات كل عام ، وخيراتها كثيرة ، وقد سبق التكلم عنها ، وهذه كلها في تهامة عسير .

أودية اليمن

وتوجد أودية عظيمة في تهامة ولاية صنعاء ، ولواء تعز ، ولواء الحديدة ، وخيراتها كثيرة تزيد عن أودية تهامة عسير اضعافاً ، وهاك بعض اسماء أوديتها ، وهي :

وادي السام بالقرب من الحديدة ، ووادي همدان الذي يمر بمدينة تعز ، والوادي الكبير الذي يتبع مخا .

أنهار اليمن

أما الانهار التي تصب في المحيط الهندي فهي: وادي الميدان ، ووادي دامـا ، ووادي الشارد ، وهـذان الاخيران يجريان قرب صنعاء وينحدر احدهما الى الصحراء الشرقية ماراً بخرائب مأرب . والثاني بخرائب معين ، ثم وادي نجران ، ووادي يام ، ووادي قحطان ، ووادي الخضراء ، ووادي بيشة ، وهذه الاودية شرق السراة ويوجد بتهامة اليمن التابعة للحديدة واد عظيم اسمه وادي اللحيَّة ، خيراته عظيمة جداً ، ووادي مور .

وفي تهامـة اليمن توجـد أشجـار الأنبـه[1] بكـثرة وهي المشهورة بمصر بالمنجة ، ولهم اعتناء زايد بزراعة الموز وهو رخيص جداً لكثرته ، وعندهم اعتنـاء بزراعـة التنبـاك الحمـى ، وأهـل السراة يزرعون تنباك يسمونـه بالأخضر يشرب في العيدان أو القلايين[2] وهو المستعمل عند البدو . واهم صـادرات اليمن التنبـاك الحمـى ، والـبن ، والنيلـه ، والسمسم ، والـذرة والدخن ، والعدس .

القات

ويوجد ببلاد اليمن نبت يسمى شجر القات لها ورق يشابه ورق الرمان بل أكبر في الحجم ، وهو طيب الرائحة قد اعتاد أهل اليمن على مضغه ، وأكله حتى صار من الضروريات ، ومن اعتاد على أكله لا يقدر تركه ، لأنه يصير عند مستعمله زيادة عن الدخان والقهوة ، وجميع أهل اليمن ما عدا

(١) وتكثر في الهند والباكستان وثمرها من الفواكه المفضلة هناك يدعونها في تلك البلاد : امبا .

(٢) ويعرف بالغليون ، والسبيل .

أهل عسير يتعاطونه حتى عم الفقير والغني بحيث أن الفاعل يشتري بنصف أجرة يومه منه ويتمشدق به طول نهاره، وفي أثناء استعماله لا يريد من يتعاطاه أن يشتغل، ومن فوائد ورق القات أنه مصف للدم، هاضم للطعام(١).

. متصرفية عسير

متصرفية عسير عاصمتها أبها، التي ذكرت في الرحلة، وفك حصارها دولة أمير مكة.

وهي كائنة في جبل السراة، شرقي مرفأ الوسم، على البحر الأحمر ويتبع لواء عسير ست قائمقاميات، منها في السراة اثنتان وهما:

قضاء النماص

النماص واقعة شمال أبها، وشرقي القنفدة، التي هي مرفأ على البحر الاحمر، ويتبعها من القبائل، قبيلة بالأسمر وعددها خمسون ألفاً، وهي قحطانية ينتهي نسبها لقحطان. وقبيلة بني شهر وعددها مائة وخمسون ألفاً، وهي فرع من قحطان. وقبيلة بني عمروبن مر ابن زيدبن مالكبن سبأبن يشجببن يعرببن قحطان، وعددها خمس وثلاثون ألفاً. وقبيلة بالقرن وعددها اربعون الفاً، وهي قحطانية ايضاً.

قضاء غامد

والثانية قائمقامية غامد، ومركزها رغدان شمال النماص، وشرقي مرفأ دوقة التي هي على البحر الأحمر، ويتبعها من القبائل قبيلة غامد، وهي

(١) ان هذه المادة ضارة وتصرف متعاطيها عن الطعام، ولا فوائد لها.

قحطانية ، وعددها مائتان وعشرون ألفاً ، وقبيلة زهران ، وعددها مائة وخمسون ألفاً ، تنتسب لزهيربن الهميسع ابن حميربن سبأ ، ابن يشجب ، بن يعرب بن قحطان ،وهي واقعة في الحد بين متصرفية عسير ومدينة الطائف التابع لولاية مكة المشرفة ، ويتبعها قبيلة المحلف ، وعددها اربعون الفاً ، وهي قحطانية ايضاً ، وقبيلة اكلب وعددها خمسون الفاً ، وينتهى نسبها الى اكلب بن ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان ، فهي عدنانية . وقبيلة معاوية ، وعددها اثنان واربعون الفاً وتنسب الى معاويةبن بكربن هوزان ، بن سليم ، ابن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن الياس الى عدنان وقبيلة بني سلول ، وعددها اثنان واربعون الفاً ، وهي عدنانية ايضاً ، وهذه القبائل الاربع قاطنة شرق هذا المركز بواد يقال له : بيشة .

أما القبائل التابعة لنفس ابها عاصمة عسير فهي : قبيلة قحطان ، وعددها اربعمائة الف ، وجميع القبائل القحطانية باليمن فروع من هذه القبيلة،وقبيلة عسير المتقسمة الى اربع قبائل ، وهي قبيلة بني مالكبن مرة ، ابن زيد ، بن مالك ، بن سبأ ، بن يشجب ، بن يعرب ، بن قحطان ، والقبيلة الثانية : ربيعةبن زيد كهلانبن سبأ الى قحطان . وقبيلة بني مغيد وقبيلة بني رفاده .

وهؤلاء قبائل عسير أهل السراة وعددهم مائة الف . ويتبع ابها ايضاً قبيلة شهران وعددها مائتا الف ، وهي قحطانية ايضاً وقبيلة بالأحمر وعددها اربعون ألفاً وهي قحطانية ايضا .

والاربعة الأقضية الباقية بتهامة عسير :

قضاء رجال المع

أولها من جهة الجنوب قائمقامية رجال ألمع، ومركزها الشعبه، وهي واقعة في منتهى ميل جبل الحجاز غربي أبها ويتبعها من القبائل قبيلة رجال المع، وهم الفرع الثاني من عسير أهل تهامة، وعددهم مائة الف، وهي قحطانية. وقبيلة ولد اسلم بن الحافي بن قضاعة بن نزار، بن معد، بن عدنان، وعددها خمسون الفا وقبيلة بن قيس، وهي عدنانية، وعددها ستون الفاً، وتنسب لقيس، بن ثعلبة، بن عكابة، بن صعب، بن علي، بن بكر، ابن وائل، بن قاسط، الى عدنان. وقبيلة ربيعة، بن زيد، بن كهلان، بن سبأ، بن يشجب، الى قحطان، وعددها سبعون الفاً.

قضاء محايل

وقائمقامية محايل ومركزها البلد المسمى: بمحايل (وهي قائمقامية رجال ألمع)[1] ويتبعها من القبائل: قبيلة الرايش، بن كعب، بن زيد الجمهور بن عمر، بن الغوث، بن عرين، بن زهير، الى قحطان، وعددها تسعون الفاً، وقبيلة ربيعة وهي قحطانية، وعددها مائتا الف. وقبيلة التيم نسبة لتيم، ابن ثور، بن كلب، بن وبره الى عدنان، وعددها ستون ألفاً.

قضاء القنفدة

ثم قائمقامية القنفذة وهي مرفأ على البحر الاحمر ويتبعها من القبائل: قبيلة بني شهاب، والمشايخ القاطنين بوادي دوقة، وعددهم اربعون الفاً.

---

(١) ما بين الهلالين موجود في الأصل ولعله سبق قلم من المؤلف فان قائمقامية رجال المع تقدمت، وهذه محايل وتليها القنفدة، وصبيا.

وهي قحطانية. والاشراف العبادلة واتباعهم وقبيلة العجالين، وعددها خمسة عشر الفاً، وهم قاطنون بوادي الاحسبة، وقبيلة زبيد وهي فرع من قبيلة زبيد القاطنة بين الحرمين الشريفين، وعددهم ثلاثون الفاً، مقرهم وادي القرماء، ووادي ناوان، وقبيلة النواشرة، وهي قحطانية، وعددها اربعون الفاً، وقاطنة بوادي يبا، وقبيلة المرازيق قحطانية أيضاً، وعددها خمسون الفاً، وهي مقيمة بوادي يبا. وقبيلة بني يعلى، بن امية، بن عبدة، ابن همام، بن جشم، الى عدنان، وعددها اثنان وتسعون الفاً، ومقيمة بوادي يبا، وقبائل قوز ابو العير، وهي قحطانية وعددها مائة الف.

وقبيلة حرب قحطانية، وعددها اثنا عشر ألفاً، ومقيمة بوادي حلى وقبيلة الغوانم وهي عدنانية وعددها ثلاثون الفاً، وقاطنة بوادي حلى.

وقبائل ناحية العرضية وهي: قبيلة بالقرن، وآل سليمان، وآل عمارة، ونسبتهم الى قحطان، وعددهم ثمانون ألفاً وقبيلة بالحارث، بن كعب، بن زيد الجمهور، الى قحطان، وعددها خمسون الفاً. وقبيلة شمران أهل تهامة، وهي قحطانية، وعددها خمسة وثلاثون الفاً. وقبائل آل بحيري، وبني عوامر، وهي قحطانية وعددهم ثلاثون الفاً وقبيلة بالعريان، وبني سهيم، وهي قحطانية وعددهم اثنان وثلاثون الفاً، وقبيلة بني زيد، بن مالك، بن حمير، بن سبأ الى قحطان، وعددها مائة وخمسة وعشرون الفا. وقاطنون بوادي قانونة الذي يفيض الى القنفذة وقبيلة كنانة، بن خزيمة، بن مدركه، ابن الياس، الى عدنان، وعددهم اربعون الفاً.

قضاء صبيا

وقائمقامية صبيا وهي واقعة في الجهة الشرقية من مرفأ جيزان والمسافة بينها وبين جيزان ثلاثون كيلومتراً والمسافة بين صبيا وأبها سبعة أيام،

ويتبعها من القبائل: قبيلة خثعم، بن تمار، بن الغوث الى قحطان، وعددها مائة الف، وقبيلة بني تميم، بن مرة، بن أد بن طابخة، بن الياس، الى عدنان، وعددها تسعون الفاً، وقبيلة بني الحارث، بن كعب، الى قحطان، وعددها مائة الف، وقبيلة المسارحة، وهي قحطانية، وعددها ثلاثون الفاً، وقبيلة بني مروان قحطانية أيضاً، وعددها تسعون الفا، وقبيلة مسرح قحطانية، وعددها ثلاثون الفاً، وقبيلة الخماسين قحطانية، وعددها خمسة وسبعون الفاً، وقبيلة بني شبيل قحطانية ايضاً، وعددها خمسة وسبعون الفاً. وقبيلة بني نشر، وعددها خمسة وعشرون الفاً، وقبيلة بني عبس بن بغيض، بن غطفان الى عدنان، وعددها مائة الف.

يحدها من جهة الجبل جنوباً صعداء .

ومن جهة الشمال بالجبل زهران .

ومن جهة تهامة يحدها جنوباً وادي ابو عريش ، وشمالاً وادي دوقة ، بالقرب من الليث .

ويحد هذه المتصرفية من الشرق قبائل قحطان ، شرقي صعداء .

ومن جهة الشمال شرقاً وادي بيشة .

ومن جهة الغرب البحر الأحمر .

ولايـة الحجـاز

ولاية الحجاز[1] عاصمتها مكة المشرفة، ويحدها من الغرب البحر الأحمر، ومن الشرق البادية الكبرى، ومن الجنوب بلاد قبيلة بني مالك الكائنة بجبل السراة المتاخمين لبلاد زهران، هذا من جهة الجبل، واما من جهة تهامة: فيحدها جنوباً، وادي دوقة، وشمالا بادية الشام[2] الى تبوك من الداخل، ومن جهة البحر الاحمر العقبة.

والحجاز اقليم مستطيل يبلغ طوله من الشمال الى الجنوب ألف وخمسمائة كيلومتراً.

وعرضه من الشرق الى الغرب خمسمائة وخمسون كيلومتراً تقريباً.

ومن الجنوب الشرقي من الولاية وادي رنيه.

---

(١) وهنا أيضاً لم يذكر المؤلف بأن الحجاز ولاية عثمانية، مع أنه ذكر ذلك عند ذكره ولاية اليمن في الصفحة (١١٨).

(٢) من أحسن الكتب التي تصف بادية الشام كتاب «البادية» تأليف السيد الفاضل عبد الجبار الراوي.

قبائل الحجاز

أما القبائل التابعة لولاية الحجاز فها هي مرتبة حسب موقع كل منها جغرافياً :

فالقبائل القاطنة في الشرق شمالا ، قبيلة بني عبدالله المشهورة بمطير وعددها مئتي ألف تقريباً ، وهي ممتدة الى نجد ، ونسبها ينتهي الى عبدالله ابن دارم ، بن مالك ، بن حنظلة ، بن مالك ، بن زيد مناة ، بن تميم ، بن مرة ، ابن آذ ، بن طابخة ، بن الياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان .

ويليها من الجنوب قبيلة سليم ، وعددها ستون ألفاً تقريباً ، ونسبها ينتهي الى سليم ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفه ، بن قيس ، بن عيلان ، ابن الياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان .

ثم يليها جنوباً قبائل عتيبة ، وهذا الاسم شامل لجملة قبائل متحالفة والتحالف أو الحلف قديم بين العرب ، من زمن الجاهلية ، يجمع بين القبائل ولو تباعدت أنسابها ، فلا فرق بين القحطانية والعدنانية ، عتيبة وهوازن متحالفان ؛ فحقيقة عتيبة هي هوازن وعتيبة .

ثم أن عتيبة تنقسم الى ثلاثة افخاذ (برقة) . (وشملة) . (وروقة) فشملة تتفرع الى افخاذ وهي : العطيات ، والعقفة ، والهوارنة ، والهمارقة ، والهميسات ، والجعدة ، والبصصة ، والمقطة .

وأما فخذ برقة ، فانه يتفرع الى افخاذ وهي : النفعة ، والثبتة ، والقثمة ، والشيابين ، والدهسة ، والعصمة ، والدعاجين . وفخذ الروقة ينقسم الى أقسام وهي : ذوي عالي ، والذيبة ، وذوي زراق ، والطلوح .

وعدد جميع قبائل عتيبة ثلاثمائة ألف ، ومن شيوخ هذه القبائل المشاهير :

ابن هندي في الشرق ، وابن هليل في السراة .

أما الشيابين ، فانها تنسب الى شيبان ، بن ثعلبة ، بن عكابة ، بن صعب ، ابن علي ، بن بكر ، بن وائل ، بن قاسطة ، بن هنب ، بن جديلة بن اسد ، بن ربيعة ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان .

وقبيلة الذيبة نسبة لذبيان ، بن بغيض ، بن غطفان ، بن سعد ، بن قيس ، ابن عيلان ، بن الياس ، الى عدنان .

وقبيلة بني سعد ، بن قيس ، بن عيلان ، بن الياس الى عدنان .

وقبيلة الجعدة نسبة لجعدة ، بن كعب ، بن عامر ، بن صعصعة ، بن معاوية ، بن بكر الى عدنان .

وباقي عتيبة من هوازن بن سُليم ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة الى عدنان .

وفي جنوب عتيبة قبيلة ابن الحارث ، وعددها اثنان وستون الفاً ، وهي من الحارث ، بن تميم ، بن مرة ، بن أد ، بن طابخة ، بن الياس ، الى عدنان .

ويليهم جنوباً قبيلة البقوم ، وهي قبيلة عدنانية ، وعددها خمس وسبعون الفاً .

ويليها من الجنوب قبيلة سبيع وعددها ستون الفاً ، ونسبها ينتهي الى أسد ، بن خزيمة ، بن الياس ، الى عدنان .

وهؤلاء القبائل جميعهم قاطنون في الجهة الشرقية لولاية الحجاز .

وأعظم أودية هذه القبائل ، وادي رهاط ، وهو لقبيلة الروقة ، وبه خمسة عشر عيناً تجري ، وهو خصب التربة ، وفيه من النخيل مائتان

وخمسون الفاً على أقل تقدير ، هذا خلاف الخضر والحبوب ، ويوجد بهذا الوادي قرى آهلة بالسكان من نفس القبيلة .

ثم وادي : تربة لقبيلة البقوم ، واميرهم الشريف سلطان بن جعفر وايضاً وادي : رنيه لقبيلة سبيع ، وأميرهم الشريف ابن لؤي وبه انتهى الحد الشرقي .

الحد الجنوبي للولاية

أول قبيلة من الجنوب قبيلة بني مالك ، الواقعة في نهاية الحد الجنوبي مما يلي عسير بجبل السراة ، عددها ثمانون ألفاً ، ونسبها ينتهي الى مالك ، بن زيد مناة ، بن تميم ، بن مرة ، بن أد ، بن طابخة ، بن الياس ، الى عدنان ، وهم قاطنون بالسراة .

وشمالهم قبيلة ثقيف ، وعددها ستون ألفاً ونسبها ينتهي الى ثقيف بن منبه ، بن هوازن ، بن سُليم ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، ابن عيلان ، بن الياس ، الى عدنان .

وقبيلة ناصره ، وعددها ثمانية عشر ألفاً ، ونسبها ينتهي الى نصر ، بن معاوية ، بن بكر ، بن هوازن ، بن سُليم ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، ابن قيس ، بن عيلان ، بن الياس ، الى عدنان .

ومن شمال الطائف الى آخر جبل السراة ، واد يقال له : الهدى ، يرتفع عن سطح البحر بألفين ومائتين وخمسين متراً ، ويقطن بهذا الوادي قبيلة قريش ، وبعض من قبيلة هذيل .

أما قبيلة قريش فعددها خمسة عشر ألفاً ، ونسبها الى قريش مالك بن النضر ، بن كنانة الى عدنان . ومن قبيلة قريش فرع محالف لقبائل عتيبة

من قديم . وقبيلة عدوان ، وعددها عشرة آلاف ونسبها الى عدوان ، بن عمرو ، بن قيس ، بن عيلان ، بن الياس الى عدنان .

فهذه هي القبائل القاطنة بجبل السراة .

ومن مزروعات هذا الجبل الفواكه التي قل أن يوجد نظيرها في المعمورة ، وبه غابات كثيرة أغلبها شجر العرعر ، ويوجد هناك أشجار اللوز بكثرة ، والتنباك ، ويزرع فيه من الحبوب ، البر والشعير ،والذرة البيضاء ، والشامية ، وكافة الخضر ، وبه انهار طبيعية تسيل من الجبل وتنحدر الى تهامة .

أما جنوب ولاية الحجاز من جهة تهامة فيحدها وادي دوقه ، وله مرفأ على البحر الاحمر بهذا الاسم .

ويوجد بهذه الجهة قبيلة المشايخ ، وعددها خمسة آلاف ، ونسبها الى الأوس بن حارثة ، بن ثعلبة ، الى قحطان .

وفي الجهة الشمالية ذوي حسن الاشراف ، وهم أولاد المرحوم سيدنا الشريف الحسن ، بن علي بن قتادة ، بن ادريس ، بن مطاعن ، بن عبد الكريم ، بن عيسى ، بن الحسين ، بن سليمان ، بن علي ، بن عبدالله ، بن محمد الثائر ، بن موسى ، بن عبدالله ، بن موسى الجون ، بن عبدالله المحض ، بن الحسن المثنى ، بن سيدنا الحسن السبط ، بن فاطمة الزهراء رضوان الله عليهم أجمعين ، وعددهم خمسة عشر الفاً .

ويليهم من الشمال قبيلة رحمن ، وعددها عشرون ألفاً ، ونسبها ينتهى الى حلوان ، بن عمران ، بن الحافي ، بن قضاعة ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان .

ويليها من الشمال قبيلة الزنابجة ، وعددها أحد وعشرون الفاً ، وهي عدنانية .

وفي الجهة الغربية من قبيلة الزنابجة قبيلة الثعالبة وعددها سبعة آلاف ، ونسبها ينتهي لثعلب ، بن وبره ، بن يغلب ، بن حلوان الى عدنان .

وبين هذه القبائل وبين مكة قبيلة هذيل ، وقبيلة الجحادلة ، وقبيلة فهم .

أما قبيلة هذيل فمحيطة بدائرة مكة من الأربع جهات ، ففرع منها وهو الأكبر قاطن جنوب مكة ؛ وفرع منها قاطن بين مكة ووادي فاطمة جهة شمال مكة ، وتسمى بلحيان والمجانين . وفرع منها يقطن مكة وتسمى : ببني عمير ، والمطارفة ، وبني مسعود ، والسعايد . وفرع منها قاطن بوادي نُعمان ، ووادي عرنة ، ووادي ملكان ، وعدد الجميع اثنان وتسعون الفاً ، ونسبها ينتهى الى هذيل بن مدركة ، بن الياس ، الى عدنان .

وأما قبيلة الجحادلة ، فهي جنوب مكة ، وعددها خمس وثلاثون الفاً ، ونسبها ينتهى الى عجل ، بن لخيم ، بن صعب ، بن علي ، الى عدنان .

وأما قبيلة فهم ، فهي جنوب مكة وعددها اثنان وعشرون الفاً ، ومنها فرع بسفح السراة ، بالجهة الشهيرة بكرى ، ونسبها الى فهم ، بعمرو ابن قيس ، بن عيلان ، بن الياس ، الى عدنان .

وهناك قبيلة كائنة بين وادي الليمون ووادي الزبارة شرقي مكة تسمى : الزواهرة ، نسبة الى زهير ، بن خباب ، بن كنانة ، بن عذره ، بن زيد اللات ، بن ثور ، بن كلب ، بن وبرة ، بن تغلب ، بن حلوان ، الى عدنان .

أشراف ضواحي مكة

أما الاشراف القاطنون خارج مكة من جهة الجنوب ، الى حد البحر الاحمر الى بندر جده ، فهم الأشراف : آل حمود العبادلة ، والأشراف ذوي

سرور ، والأشراف الشنابرة ، والأشراف ذوي حراذ ، والأشراف ذوي عَبد الكريم ، والحد الفاصل لهؤلاء الأشراف بطريق السلطاني الموصل من جدة الى مكة ، وشمالا لهؤلاء الأشراف ، الأشراف العلوات أبناء سيدنا الشريف عمرو بن بركات . وباقي الأشراف قاطنون بوادي فاطمة ، والبعض منهم قاطن بالطائف وما يتبعه من الأودية . والبعض منهم قاطن بوادي نعمان بعرفه ، والبعض منهم قاطن بمكة .

وهؤلاء الأشراف يجمعهم جد واحد ، وهو المرحوم سيدنا الشريف أبو نمي أمير مكة المتوفى عام اثنين وتسعين وتسعمائة هجرية ، وتولى الامارة مدة ستين سنة ، وكان توليته لها سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة ، وتوفي سيدنا الشريف أبو نمي[١] المذكور عن ثلاثة أولاد وهم : سيدنا المرحوم الشريف الحسن أمير مكة ، وهو جد صاحب الدولة والسيادة أمير مكة الحالي سيدنا الشريف حسين باشا ، وقد تفرع من سيدنا الحسن : الأشراف العبادلة ، والأشراف ذوي زيـد ، والأشراف الشنـابرة ، والأشراف ذوي سرور ، والأشراف الحرث ، والأشراف الناعمة ، والأشراف ذوي جيزان[٢] وذوي جود الله .

أما ولده التالي فهو سيدنا الشريف بركات وتنسب اليه : الأشراف ذوي حسين ، والأشراف ذوي ابراهيم ، والأشراف ذوي عمرو ، والأشراف ذوي عبد الكريم .

وولده الثالث سيدنا المرحوم الشريف أحمد ، وتنسب اليه الأشراف

---

(١) انظر الصفحة « ٤٢ » و« ٤٣ » .

(٢) نسبة الى أحد أجدادهم واسمه جازان بن محمد بن بركات ، وليس الى البلدة المشهورة في عسير .

المناديل، وفرع منهم قاطن بقوز أبو العير بتهامة عسير. والأشراف ذوي حراز.

وهؤلاء الأشراف جميعهم أولاد سيدنا المرحوم الشريف أبو نمي، وعددهم ستة عشر الفاً.

وهذا هو نهاية الحد الجنوبي للولاية، آخذاً من الجهة الغربية من (أسكلة) الرويس، الواقعة على البحر الأحمر شمالي جدة الى أن ينتهي لجدة.

وفي شمال بندر جدة الأشراف العلوات، ونهاية ديارهم وادي الهدى، الواقع شمال مكة.

قبيلة حرب

وشمال هؤلاء الأشراف على ساحل البحر الاحمر قبيلة حرب، هي واصلة الى حدود ينبع البحر، التابعة لقبيلة جهينة.

أما دائرة قبيلة حرب فحدها الغربي من ينبع البحر الى الرويس شمال جدة، ولهم من (الأساكل): الرويس، وذهبان، والدعيجية، والقضيمة، ورابغ (الشهيرة بالجحفة)[1] ومستورة، والرايس.

ويحدها من الجنوب الأشراف ذوي بركات، ومن الشمال من جهة الغرب قبيلة جهينة. ومن جهة الشرق قبيلة عنزة.

وقبيلة حرب تنقسم الى فخذين: فخذ يقال لهم: بنو مسروح، والثاني

---

(١) الجحفة: تهدمت منذ زمن بعيد، وكان اسمها قبل ذلك مهيعة، وهي قبل رابغ، ويسمى موضعها بالمقابر.

يقال لهم: بنو سالم. وبنو سالم فرعان، أحدهما يقال له: ميمون، والثاني يقال له: المراوحة، وهم المشهورون بالحوازم، ويتفرع من المراوحة قبيلة الظواهرة، والخنيطات، والحجلة، ومزينة، والخنانية، والجلادية، والعويضات، والقراف، وبني محمود، وأولاد باليحيا.

وأما بني ميمون فمنهم: الأحامدة، ومنهم فرع يقال له: الشواربية التي منهم الشواربية القاطنين بقليوب مصر، والرّحلة، والمحاميد، وصبح والمطالحة، والسرحة، وبني حيا، والوفيان، والسعادين، وبني سليم والحجلة، والموارعة.

ويتفرع من مسروح فرعان، أحدهما يقال له: بنو عمرو، والثاني زبيد.

فبني عمرو تتفرع الى عدة قبائل وهم: بشر، ومعبّد، والحمران، وبني جابر، والبلاديّة، ومناش، والعبدة، والذويبي، ورويته.

أما زبيد فيتفرع منها عدة قبائل وهي: قبيلة عوف وهي ثلاثة فروع: الصواعد، والسهليّة، والهبة. وقبيلة القوائم، والصحاف، والعسوم، والجحادلة، والجدعان، والمزاميم، والمحاورة، والمزاريع. والقراقرة، والفوارس، وابن السفر.

وعدد قبائل حرب ثلاثمائة ألف على أقل تقدير، ونسبهم ينتهى الى أشخاص من القبائل العدنانية.

فقبيلة بني عمر، نسبة الى عمر، بن غنم، بن تغلب، بن وائل، بن قاسط، بن هنب، بن أفضى، بن جديلة، بن أسد، الى عدنان.

ومنهم الغوانم، نسبة الغنم، بن تغلب، الى عدنان.

وقبيلة عوف نسبة لعوف ، بن كعب ، بن سعد ، بن زيد مناة ، ابن تميم ، ابن مرة الى عدنان .

وباقي القبائل تنسب لحرب العدناني ، وشياخة مسروح منحصرة في بيت ابن عسم ، وشياخة بني سالم منحصرة في بيت حذيفة .

وشمال قبائل حرب ، قبيلة جهينة ، ونسبها الى جهينة ، بن زيد ، بن أسلم ، بن الحافي[1] ، بن قضاعة ، بن نزار الى عدنان . وعددها سبعون الفاً ، ويحدها غربا البحر الأحمر ، من ينبع البحر الى (أسكلة) ام الدبة ، التي هي حدود قبيلة بلي ولها من (الأساكل) ينبع ، وملجّ ، ويحدها من الشرق قبيلة عنزة . وخيبر الشهيرة . ومن الشمال قبيلة بلي .

وجهينة قسمان ، أحدهما بنو مالك ويتفرع منهم قبيلة : الصيحة ، وعروة ، والحصينات ، والأساورة ، والمساوي ، ورفاعة ، وبني كلب ، والحمدة ، والمواليد . وأشراف قبيلة بني مالك ، هم العيايشة .

والقسم الثاني : يقال له بنو موسى ، ويتفرع منه : البراهمة ، والموالي ، والمرادين ، والعلاوين ، وذبيان ، والعوامرة ، والسمايحة ، والسمرة ، ومنهم فرع بمصر بقرية لهم تابعة الى شبين القناطر ، يقال لهم : بيت أبوثابت وبيت أبو يونس . وأشراف قبيلة بني موسى الأشراف ذوي هجار .

وشمال قبيلة جهينة قبيلة بلي ، وعددها خمس وخمسون الفاً ، ونسبها الى بلي بن عمر ، بن الحافي[2] ، بن قضاعة ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان . ويحدّها من الغرب البحر الأحمر ، ولها من (الأساكل) ام الدبة ، والوجه ،

(١) كذا في الأصل : وفي « المنتخب ... » جهينة بن زيد بن ليث بن سور بن الحاف بن مالك بن قضاعة .

(٢) في « المنتخب » بلي بن عمر بن مالك بن الحاف بن مالك بن قضاعة .

ومن الشرق قبيلة عنزة ، ومحطة العلا بالسكة الحديدية الحجازية ، ومن جهة الجنوب جهينة ، ومن جهة الشمال قبيلة الحويطات .

ويلي قبيلة بلي شمالا قبيلة الحويطات وعددها مائتا الف ، والتابع منها لولاية الحجاز سبعون ألفاً والباقي تابع لولاية الشام ، ولها من (الأساكل) الحجازية ضبا ، والمويلح ، والعقبة[1] والى هنا ينتهى الحد الغربي لولاية الحجاز . ويتفرع من هذه القبيلة ، الجوازي ، والرياضات ، وعمران ، وبني عطية ، ودبور ، والسبابهة ، والترابين ، والبطحة . وقبيلة الحويطات قحطانية .

وقبيلة عنزة وعددها ثلاثمائة ألف ، منها مائة ألف تابعة لولاية الحجاز ، قاطنون شمال المدينة المنورة ، في الحد الشمالي لولاية الحجاز ، وباقي قبيلة عنزة قاطنون شمال ولاية الحجاز ، حتى يصلوا الى الجوف ـ وهي دومة الجندل ـ ونسبتهم الى عنزة ، بن اسد ، بن ربيعة ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان .

وقبيلة الشرارات المشهور بـ (هتيم) وموقعها بين الشرق والشمال للولاية ، وهي تابعة لها وعددها اربعون ألفاً ، ونسبها ينتهي الى عبس ، ابن بغيض ، ابن غطفان ، الى عدنان ، وهي نهاية حدود ولاية الحجاز .

مكة المكرمة

وعاصمة الولاية هي مكة المشرفة ، وفيها بيت الله الحرام ، وزمزم ،

---

(١) كانت العقبة تابعة للحجاز حتى ألحقها بمنطقة الانتداب البريطاني الذين كانوا يخططون لإقامة دولة الصهاينة في فلسطين ، لتقسم العالم الإسلامي ، والأمر لله من قبل ومن بعد .

والمقام، والمشاعر العظام، من دخلها كان آمناً، وأهلها هم الذين أطعمهم الله من جوع، وآمنهم من خوف، ومنها بعث رسول الله ﷺ، وفيها هبط الوحي، ومنها انتشر الاسلام الى مشارق الأرض ومغاربها، وهي أم القرى، وفيها ولد الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم أجمعين.

وعدد سكانها مائتا ألف، وهي واقعة بواد غير ذي زرع، اسمه وادي ابراهيم.

وترد اليها الثمرات بكثرة من الطائف، فتأتيها أنواع الفواكه منها بكثرة، ومن ضواحيها كوادي الحسانية، والعابدية، ووادي فاطمة الشهير. وجميع أنواع الخضر، والبطيخ، والشمام، والرطب، والموز، والنارنج، والليمون، والجزر اليماني - وهو البطاطة - والبصل، والفجل، والكراث، والبرسيم، والخضر بأنواعها، حتى يكفيها ويكفي جميع الحجاج الوافدين اليها، من هذه الأماكن، تصديقاً لقوله تعالى عز وجل «ربنا إني أسكنتُ من ذُريتي بوادٍ غيرِ زرعٍ عند بيتكَ المحرم ربنا ليقيموا الصلاةَ فاجعل أفئدةً من الناسِ تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» ١٤ - ٣٧.

وادي فاطمة[١]

هو واد جميل أوله من جهة الشرق محطة وادي الليمون، التي هي أول محطة للقوافل الذاهبة من مكة الى المدينة، من جهة الشرق، ويمتد غرباً الى حدة الكائنة على الطريق الموصل من جدة الى مكة.

وهو واد فسيح وبه مجرى السيل، وطول هذا الوادي من الشرق الى

(١) هو: مر الظهران.

الغرب ثمانون كيلو متراً وعرضه من ثمانية الى عشرة ، حسَب اختلاف المواضع .

عيون وادي فاطمة

وبهذا الوادي من العيون من جهة الشرق عين المضيق ، الواقعة بوادي الليمون ، وبها قرية للاشراف الحرث ، ويليها عين : الجديدة وبها قرية صغيرة لبني عمير ، ويليها عين : سولا ، وبها قرية لقبيلة الزواهرة ومعهم اخلاط ، ويليها عين : الزيمة وبها قرية لبني عمير ، وهي اول محطة للمسافر من مكة الى الطائف ، ثم يليها عين : الامبارك ، وبها قرية للاشراف المناعمة ، ثم يليها عين : الريان ، وبها قرية للاشراف المناعمة ، ثم يليها عين : الطرفاء ، وبها قرية للأشراف المناعمة ، ثم يليها عين : القشاشية ، ثم يليها عين : الدبة ، ثم يليها عين : الفايجة ، ثم يليها عين : أبو حصاني ، ثم يليها عين : الخلص ، ثم يليها عين : الدخان .

ومن عين القشاشية الى عين الدخان ، ملك المرحوم سيدنا الشريف عون أمير مكة الأسبق .

ثم يليها عين ؛ الخيف ، وبها قرية للاشراف الرواجحة ، ثم يليها عين : شمس ، وهي ملك دولة سيدنا الشريف حسين أمير مكة الحالي ، وبها قرية للاشراف المفالحة ، ثم يليها عين : البرقة ، وهي ملك المرحوم سيدنا الشريف عبدالله ، ثم يليها عين : الروضة ، ثم يليها عين : أبو عروة ، ثم يليها عين : الحسنية ، ثم يليها عين : الهنية ، ثم يليها عين : الجموم ، وهي كائنة بأول محطة من جهة مكة شمالا للمسافر الى المدينة المنورة ، على الطريق السلطاني ومنها يستقي جميع الحجاج ، وهي للأشراف ذوي حسين ، القاطنين بقرية ابو عروة شرق العين المذكورة ، وعين : الخضراء ، وعين : المدرة ، وعين : أبو

شعيب وبها قرية للأشراف ذوي حسين، وذوي عبدالله، وذوي شقراء، وعين: الفيض، وعين: الشماسي، وبها قرية لعرب يقال لهم: الشيوخ من أتباع الأشراف، وعين: الجديد، وبها قرية للأشراف ذوي حسين، تسمى الدوح. وعين: بحرين، وبها قرية للأشراف ذوي عبد الكريم، يقال لها الدوح الصغير، وعين: واسط، وبها قرية لخزاعة. وعين: الهرامز، وعين، الجديد، وعين البرابر، وبها قرية للأشراف ذوي عبد الكريم، وعين: سروعه، بها قرية للأشراف، وعين المرشديه وهي ملك سيدنا المرحوم عبد الاله باشا، وعين: المقوّع، وبها قرية للأشراف ذوي عبد الكريم، وعين الركاني، وعين: حداء، وهما لسيدنا الشهيد الحسين أمير مكة سابقاً، وهي في نهاية الوادي من الغرب، وبها قرية حداء.

وهذه العيون المذكورة متفجرة من نفس الوادي، وينابيعها من الجبال المجاورة لها.

وهذا الوادي تنحدر منه السيول الآتية بعضها من نجد، وتصب بواد يقال له: مر، ويفيض على وادي فاطمة.

وانهار جبل الحجاز الشرقية تصب في واد اسمه: الزبارة، وواد اسمه: وادي الشامية ايضاً وكلاهما يصب بوادي فاطمة، وواد اسمه وادي علاف تسيل في أنهار من جبال رهاط، شرقي وادي فاطمة، وتنحدر مياهه في وادي فاطمة، فيكون فيه سيل جارف. والانهار تجري بالوادي أيام فصول المطر فاذا انقطع المطر انقطعت الانهار ما عدا العيون فانها تجري على الدوام.

وادي هدى

ويوجد خلاف هذا الوادي : وادي الهدى ، وهو شمال وادي فاطمة وبه اربعة عيون ، وآبار كثيرة ، ماؤها قريب من سطح الأرض بحيث لا يتجاوز بعده ثلاثة أمتار ، وبعضها أقل ، وماؤها غزير لا ينقطع ، وأراضيها زراعية .

وبهذا الوادي النخيل بكثرة ، والموز ، والليمون ، والخضروات ترد منه الى مكة ، وجدة ، وبالأخص جدة .

وكذلك بوادي نعمان عين اسمها : سمار للأشراف ، وعين اسمها : الشرايع ، شرقي مكة ، وفي وادي نعمان ايضاً من جهة جنوب مكة ، عينان أحدهما اسمها : الحسينية ، والثانية : العابدية للأشراف .

وعينان بوادي ملكان للأشراف أيضاً .

ولايـة الحجـاز

ولاية الحجاز بها متصرفيتان:

متصرفية جدة

الأولى: بندر جدة، الواقعة على البحر الأحمر، وهي (أسكلة) عظيمة، وبها جمرك، وثكنات للعساكر، ومحجر صحي، وهي أعم (أسكلة) في ولاية الحجاز، وهي مدينة عظيمة، شاهقة المباني، آهلة بالسكان يبلغ عدد سكانها خمسون الفاً، وبها أعاظم تجار الولاية، ومخازنهم بها.

وميناء جدة من أعظم الموانى الموجودة على البحر الأحمر، ويمتاز بحر جـدة بوجود شجر اليسر بقـاعـه، واللؤلؤ، ويوجـد بـه أعظم أصنـاف السمك[1].

---

(١) يبتدىء البحر الاحمر من خليج السويس وخليج العقبة شمالا وينتهى عند باب المندب جنوبا ويبلغ طوله قريبا من « ١٥٥٠ » كيلو مترا. وعرضه وسطيا « ٣٠٠ » كيلو مترا وعمقه قريبا من « ٦٥٠٠ » قدما غير ان شواطئه ضحلة نسبيا. وأنواع السمك فيه تقارب « ٥٠٠ » نوعا.

وبجدة ايضاً سفراء للدول.

والمسافة ما بين جدة ومكة ثمانون كيلو متراً.

وأعظم الآثار بجدة قبر أم البشر السيدة حواء.

متصرفية المدينة

والثانية متصرفية المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، ودفن رسول الله ﷺ بها، في بقعة هي أشرف البقاع على وجه الأرض[1].

والمدينة محاطة بسور، آهلة بالسكان، بها مبانٍ فاخرة، ويبلغ عدد سكانها سبعون ألفاً.

وهي معتدلة الهواء أراضيها المجاورة لها جميعها تزرع، بساتين وخضر، وبالمدينة عين عظيمة عذبة الماء تسمى: عين الزرقاء[2].

وبها محطة للسكلة الحديدة الحجازية، وهي نهاية الخط المذكور الآن[3]، وجميع فواكه وتجارة الشام تجلب للمدينة بكثرة، بواسطة هذه السكة.

ويوجد بالمدينة من أصناف الفواكه: العنب، والرمان، والتين، والخوخ. ويزرع في بساتين المدينة النخيل بكثرة، ولا يوجد بولاية الحجاز

---

(١) الصحيح أن أشرف البقاع هي مكة المكرمة.

(٢) أجراها اليها الخليفة مروان بن الحكم يوم أن كان واليا على المدينة.

(٣) يشير الى أن الرغبة كانت في أن يمتد هذا الخط الى مكة وغيرها من البلاد. وقد حرض الأعداء على هدمه لقطع مواصلات العالم الإسلامي. والأمل في المباشرة باصلاحه ليصل المدينة بدمشق.

تمر أحسن من تمر المدينة، وهو مشهور في عموم بقاع الأرض.

وبالجملة فان منظر المدينة المنورة جميل جداً، وبساتينها ونخيلها أحسن ما يوجد بجزيرة العرب.

أقضية الحجاز

وبولاية الحجاز ثلاث قائمقاميات إحداها ينبع البحر، وهي مرفأ المدينة المنورة، على البحر الأحمر، ومبانيها منتظمة، وعدد سكانها اثنا عشر ألفاً، هي والقرى التي حولها التابعة لها.

والثانية قائمقامية الليث، وهي مرفأ على البحر الأحمر، جنوب جدة، وعدد سكانها ستة آلاف.

والثالثة قائمقامية الوجه وهي مرفأ على البحر الأحمر أيضاً، عدد سكانها خمسة آلاف.

إمارة الطائف

ويوجد أيضاً بالحجاز إمارة للعرب، وهي الطائف، التي يبلغ عددها عشرون ألفاً، وأميرها سيادة الأمير الشريف زيدبن فواز المولّى من طرف دولة أمير مكة، وتحت إمارته جميع القبائل الموجودة بجبل السراة.

والطائف هو نهاية جبل الحجاز من جهة الشمال، ويعلو عن سطح البحر بنحو ألفين ومائة وخمسين متراً، وبه عيون تجري، وآبار، وأراضي الطائف خصبة، وبساتينه كثيرة، وهواؤها جيد بارد جاف، وأهل مكة تذهب اليه في الصيف، كما أن دولة أمير مكة، وهيئة الحكومة، والأغنياء بمكة تذهب اليه في كل عام صيفاً.

والفواكه الموجودة بالطائف كثيرة ، من ضمنها : الرمان ، والسفرجل ولا يوجد لها مثيل في أنحاء المعمورة ، ويزرع بالطائف من الحبوب بكثرة : البر ، والشعير ، والذرة ، ويمتاز الطائف بجودة الورد ، الموجود بكثرة .

وفي وقت حرارة الصيف الشديدة يكون ماء الطائف كأنه مثلج بطبيعته ، وذلك لجودة هوائه ، وأما في فصل الشتاء فيجمد داخل الاناء من شدة البرد ، ولا تحسن الاقامة في الطائف إلا في فصلي الربيع والصيف ، إذ لا يمكن للانسان أن يرتدي فيهما إلا أردية الشتاء .

أما الأودية التي بين الحرمين الشريفين فهي[١] :

وادي غران وهو ملك لقبيلة الصحاف ، وهو خصب للغاية ويزرع به : الشمام ، والبطيخ ، والقثاء ، والخيار ، والنخيل ، والخضر ، ويزرع فيه من الحبوب : الذرة ، والدخن ، ويسقى من الآبار ، وفيه بعض عيون .

ووادي خليص ، وهو ملك العسوم ، والطيره ، والهنود ، والمغاربة وهما من حرب ، بطريق المحالفة ، وأعلى الوادي لقبيلة سليم ، ويسمى وادي : سايه ، وهو خصب يزرع فيه أشياء كثيرة ، أغلبها النخيل ، وبه من العيون خمسة عشر عيناً ، ومن الآبار كثير .

ووادي الخوار ، وأغلب بساتينه الليمون ، والموز ، ويجلبان الى مكة وجدة ، بكثرة . وغاباته نخل الدوم . وهو ملك لحرب والأشراف وموقعه في الجهة الشمالية لوادي خليص .

ووادي ستاره ونصفه الأعلى لقبيلة سليم ، ونصفه الأسفل لحرب ، ـ الأعلى هو الجهة الشرقية والأسفل هو الجهة الغربية ـ وهو خصب جداً ،

(١) هذا على التغليب واما الحرم فهو مختص بمكة المكرمة .

وفيه من العيون الجارية تسع وثلاثون عيناً، تسقي النخيل، والليمون، ويزرع فيه من الحبوب: الذرة، والدخن، ومن الخضراوات كثير.

أما أنهاره فتنحدر في وادي قديد ويليه شمالا وادي كليّة، ويوجد به مزراع كثيرة على الآبار، ونخيل كثيرة، ويزرع به الذرة، والدخن وهو لحرب. وفي شمالي هذا الوادي مما يلي البحر، وادي رابغ، لحرب، وأراضيه جيدة خصبة للغاية، ويزرع فيه: الخضر، والبطيخ، والشمام، بكثرة، ونخيله على أقل تقدير مائة وخمسون ألفاً، ويزرع به من الحبوب الذرة، والدخن، وهذا الوادي لا يبعد عمق الماء فيه عن متر على الأكثر، والنخيل جذورها بالماء لا تحتاج الى سقي.

وشرق هذا الوادي: وادي الفُرُع، وهو للشمال أقرب، وخيراته كثيرة وأرضه خصبة، وعيونه كثيرة، ومن محصولاته النخيل التي لا تعد ولا تحصى، والليمون، بأنواعه، والنارنج، والموز، وهو جميل للغاية، ويزرع فيه من الحبوب: الحنطة، والذرة، والشعير، وجميع مزروعاته تشرب من العيون الجارية، وهو لحرب. وادي الصفراء شمال رابغ، وهو لحرب، وبه من العيون عشرون عيناً، وأغلب مزروعاته النخيل، والليمون، والحناء، وشمال هذا الوادي: وادي ينبع النخل وبه خمس وثلاثون عيناً وتربته جيدة للغاية، ومزروعاته كالذي قبله، وهو ملك الاشراف العيايشة، وذوي هجار، وقبيلة جهينة.

وشمال هذا الوادي: وادي العيص، وهو خصب التربة ومياهه تجري على وجه الأرض وبه عيون، وهو قريب العهد بالزراعة، وهو لجهينة، وأغلب بساتينه تابعة لسيدي السنوسي، وجميع الأودية المذكورة وخلافها بحرب وجهينة لسيدي السنوسي، بجوارها مكاتب لتعليم القرآن، ويوجد في

شرقي وادي فاطمة واد يقال له: وادي مدركة، وأيضاً وادي رهاط، وهما من أخصب الأودية، ونخيلهما لا تعد ولا تحصى ورطبهما جميل جداً، وبهما عيون وجداول جارية على الدوام، وعيونهما لسقي النخيل. وهما ملك قبيلة الروقه من عتيبة، والأشراف.

ووادي تربة شرقي مكة ملك لقبيلة البقوم، والأشراف العبادلة ذوي سلطان، وهو من أعظم الأودية، كثير النخيل، وبه نهر جار دائماً كبير جداً، وبه غابات كثيرة من الأثل والطرفاء وخلافها، وفيه من النخيل على أقل تقدير مائتا ألف، والنخلة في هذا الوادي ثمرها يوازي ثمانية قناطير على الأقل.

وجنوب هذا الوادي: وادي رنية، وهو ملك لقبيلة سبيع، ويشبه الذي قبله.

وجميع تلك الأودية آهلة بالقرى، وبكل قرية مسجد للصلاة، ومكتب للقراءة، ومنزل عام للواردين.

جبال الحجاز

أما الجبال الشهيرة بالولاية فهي: جبل كرى بالطائف، وجبل الفقرة في الجهة الغربية للمدينة المنورة بمرحلتين، وهو لقبيلة الأحامدة من حرب، ومساحة هذا الجبل سير يومين، وهو خصب التربة ويزرع سطحه، البر، والشعير، وبسفحه النخيل بكثرة، ومن عجائب هذا الجبل أن النخيل فيه تثمر في العام مرتين، والرطب على الدوام فيه، ويرتفع عن سطح البحر بنحو ألف ومائة وخمسين متراً، وهواؤه جيد للغاية، ويوجد به النخل بكثرة، وعسله مثل الشفاف من أحسن ما يكون له رائحة جميلة.

وجنوب هذا الجبل، جبل لقبيلة صبح من حرب، وبه اللوز، والنخيل بكثرة، هذا بخلاف ما سبق ذكره من المزارع بهذا الجبل، وارتفاعه ألف وأربعمائة متر عن سطح البحر، ومساحته تعادل مساحة جبل الفقرة.

وجبل لجهينة يسمى: رضوى ويزرع به النخيل بكثيرة، وهواؤه جيد وارتفاعه كالذي قبله.

ويوجد جبل يقال له: حضن، لقبيلة البقوم شرقي مكة، وهو من الجبال الشهيرة بولاية الحجاز.

بلاد حضرموت

وهي الأحقاف، واقعة بين ولاية اليمن، وبلاد عُمان، والمحيط الهندي، والصحراء الكبرى، ولها من الموانى على البحر الهندي: المكلا والشحر، وظفار.

وفي داخلية البلاد أودية أشهرها: وادي دوعن، ووادي عمد، ووادي حجر.

وأشهر مدن حضرموت مدينة سيوون. وتريم.

ويزرع بحضرموت النخل، والسدر - النبق - بكثرة والتنباك الحمى، ولهم اعتناء زائد بزراعته وتصديره للخارج.

وحضرموت هي مقر السادة العلوية الحسينية، وهم أهل علم وصلاح، وجميع قبائل حضرموت تحترمهم احتراماً زائداً، وهم الواسطة في حلّ المعضلات بين العربان إذا وقعت بينهم فتنة.

ويبلغ عدد قبائل حضرموت نصف مليون بوجه التقريب، وهم

يتعاطون التجارة بأعظم مدن الشرق ، ومقيمون بها ، ولهم شهرة عظيمة ببلاد جاوة وهي جزر سومطرا ومن مشاهير تجارها بجاوة بيت السيد السقاف ، وبيت السيد الكاف ، وبيت السيد جنيد . هذه بلاد حضرموت ، ويليها :

بلاد عُمَان وَتسمّى إمَامَة مَسْقط[1]

وهي واقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من جزيرة العرب ، وكل ساحل عمان عامر بالقرى والسكان وطوله من ثغر مرباط الى جزيرة قطر ألفا كيلو متر وعرضه من داخلية البلاد ثلاثمائة كيلو متر .

وتنقسم البلاد الى (الباطنة) أي تهامة ، ولا تمتد أكثر من اربعمائة كيلو متراً ، أغلبها مغطى بالنخيل المشهور بجودة ثمره . ثم الى قسم الجبال وأكبرها الجبل الأخضر وارتفاعه الفان وأربعمائة متر عن سطح البحر وفيه كثير من الغابات والأحراش ، ويوجد بين جبالها وديان كثيرة خصبة ، تسقى بواسطة أنهار جارية .

وأهم حاصلات عمان : التمر ، والحنطة ، والذرة ، والشعير ، والنيلة ، والبرسيم ، والخضر ، وكثير من أنواع الفواكه لا سيما الجوز الهندي ، والأنبة - وهي المنجة - ومن محاصيلها خشب الند ، والصندل ، والصمغ العربي والصبر ، والتنباك .

وفي سواحل عمان مغاصات كثيرة . واللؤلؤ ، وأشهرها في مدن سحار ، ودمار ، ومساكت ، وأهل السواحل يشتغلون بصيد السمك وتجفيفه ، ويصدرون منه كميات وافرة الى بلاد العجم وغيرها ، وكذا الى الخارج ،

---

(١) بل امامة عمان وسلطنة مسقط .

وهذه البلاد مشهور بالهجن التي لا يوجد لها نظير في السير، والشكل الجميل، والمناظر الحسنة، والهجن المذكورة مشهور بالنياق العمانيات. وكذا يوجد بها الخيل، ومن مواشيها: البقر والغنم.

وتهامة عمان حارة، وجبالها معتدلة الهواء، وعدد سكان هذا الاقليم يبلغ ثلاثة ملايين على الأقل وأغلب عربان هذه المنطقة عدنانيون.

ووادي عمان ينقسم الى جملة قبائل تحكمها أمراء منها، البعض منهم تابع للدولة العثمانية، والبعض تابع لأمير مسقط المحتمي الآن بالدولة الانجليزية.

ثم يلي بلاد عمان جزائر البحرين وهي شمال مسقط.

جزائر البحرين [1]

جزائر البحرين شمال مسقط وأهم حاصلاتها اللؤلؤ، ويصدر منها الى الخارج بكثرة، وأهل هذه الجزيرة يعدون من الأغنياء بواسطة اللؤلؤ.

ويبلغ عددهم مائة وخمسون ألفاً تقريباً وأميرها الآن الشيخ عيسى بن علي [2].

بلاد نجد

نجد هي القسم الواقع وسط جزيرة العرب وفي منتصف المساحة بين المدينة المنورة وبغداد وتنقسم الى قسمين:

---

(١) [اعتبر المؤلف من جزائر البحرين جميع إمارات خليج عمان، التي تشكل دولة الامارات المتحدة وقطر وفي هذا بعض التوسع في التسمية].

(٢) من آل خليفة.

القسم الأول الشمالي وهو الحائل وما والاه ، ويسمونه : نجد الحجاز .

والقسم الثاني يقال له : العارض وما يليه ، ويسمى : بنجد اليمن ، ومعنى نجد : الشيء المرتفع ، فهو مرتفع عن تهامة ، وهي الأرض التي تلي البحر . ويرتفع سهل نجد عن سطح البحر نحو ألف ومائتي متر . وفي هذين القسمين جبال مشهورة بكثرة خيراتها منها جبل سلمى ، وطويق ، وجبل أجا[1] .

ويحيط بنجد من الشمال صحراء الشام ، ومن الغرب صحراء الحجاز ومن الجنوب البادية الكبرى ، ومن الشرق لسان من الدهناء ، ولذلك كان الوصول اليها لا يخلو من المشقة .

قبائل شمّر

واقعة في منتصف المسافة بين مكة والبصرة ، وبهذه الجهة جبل يسمى : بجبل شمر ، ثم جبل سلمى ، والأودية التي بينهما خصبة جداً ، ومزروع فيها كثير من البساتين ، ويزرع فيها أنواع الحبوب والبقول ، ويقدر مسطحها بستين كيلو متراً مربعاً ، وبها قرى كثيرة وسكانها نحو ثلاثين ألف نفس في جنوبها قصبة تسمى : كفار ، وأراضيها خصبة جداً ، وأرضها المنزرعة تقدر بنحو أربعين كيلو متراً مربعاً ، ويقدر سكانها بنحو خمس وعشرين ألفاً . وحوالي جبل شمّر ستون قرية كبيرة ، تحيط بها غابات النخيل ، وبعض من أشجار الفواكه .

وقبائل شمّر يبلغ عددهم بأقل تقدير نحو ثلاثمائة ألفاً تحت إمارة الأمير

---

(١) في الأصل : آجاو . والصواب أنه اجأ وهو أحد جبلي طيء . والثاني سلمى ، ويذكرا مقرونين أبدا .

سعود بن عبد العزيز بن متعب[1] الرشيد، وهو من قبَيلة شمّر.

وأغلب شمّر أهل بيوت شعر، ومعيشتهم من الغنم والإبل، وعندهم الخيل النجدية الأصايل، التي لا يوجد لها نظير، وهي أجمل أنواع الخيل بالكرة الأرضية، وعندهم الحمير البيض، التي هي أجمل وأحسن وأجود صنف، وكذلك البقر عندهم كثير، ويوجد بجبالهم البقر الوحشي، والفهد، والنعام، والذئب، والثعلب، والغزال، والأرنب، وغير ذلك.

ويتبع إمارة ابن رشيد من بعض قبائل نجد ما ينوف عن ستمائة ألف.

وفي الجهة الشرقية من جهة شمّر يميل الى الجنوب بلاد القصيم، وأرضها وأوديتها خصبة. تنزرع فيها الحبوب على اختلاف أنواعها، وكثيراً من أصناف الفواكه كالعنب، والرمان، والخوخ، والمشمش، والتين، وخلافه، والنخيل بكثرة، ومن الخضر البطيخ، والشمام، وغيرها، وبوسطها غابات واسعة.

ويقدر عدد أهل القصيم بنحو اربعمائة ألف نفس، ومن القبائل المشهورة بها، عقيل، بن كلب، بن عامر، بن صعصعة، وينتهي نسبها الى عدنان. وأغلب القبائل بهذه الجهة عدنانية، وأهل القصيم بعضهم بدو يسكنون بيوت الشعر، والبعض يسكن القرى، وعددها يزيد عن خمسين قرية وأشهرها بلدتا (بريدة، وعنيزة).

وبلاد القصيم تارة يتغلب عليها ابن رشيد ويحكمها، وتارة ابن سعود، وذلك لكثرة خيراتها، فكل منهما يطمح بنظره اليها حتى سئموا - أهل القصيم - هذه الحالة، فطلبوا سنة من السنين من الدولة العلية أن ترسل لهم

(١) ابن عبدالله علي بن رشيد آل خليل، وهم من شمّر وعبده. وشمّر بطن من طيء. وشمر قبيلة كبيرة تسكن نجد وسورية والعراق.

متصرفاً يحكم البلاد ، فلبت طلبهم وأرسلت قوة عسكرية تحت قيادة المرحوم سامي باشا الفاروقي ، الفاتح لجبل الدروز عام ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية ، فتوجه المرحوم من المدينة المنورة قاصداً القصيم فدخلها بلا مقاومة ، وأقام بها مدة ، وفي هذا الحين كانت الحكومة استبدادية وعلى غير قاعدة نظامية دستورية ، وكانت السلطة محتكرة بيد أشخاص من رجال المابين[1] كانوا يتصرفون في بلاد الدولة ويبيعونها بيع السلع ، فقام الأمير ابن سعود وباع واشترى مع المحتكرين حتى نفذوا مطالبه وهي سحب العساكر والمتصرف من القصيم ، وفعلا قام المتصرف بمن معه ورجعت البلاد كعادتها الأصلية[2] .

أعيان القصيم

ومن رجال القصيم المشهورين بالتجارة الواسعة والغنى الهائل والجاه بين قبائلهم وهم من أعيانها وعليهم المدار : بيت الربادة وكبيرهم إبراهيم بن محمد الربيدي وأخوه عبده ، ثم بيت الرشود وكبيره فهد وابراهيم أولاد علي ؛ ثم بيت ابن شريدة ، من الموالي وكبراؤهم محمد وفهد وإخوانهم ، ثم بيت عبد العزيز بن حمود المشيطه ، من الموالي وهو وكيل ابن سعود في مدينة بريدة ، والشيخ راشد بن سليمان الرُقَيْبَه من أعيان أهل القصيم ، ثم بيت آل بسام من

(١) هو الديوان الملكي . والمؤلف متأثر بهذا الكلام بما كان ينشره رجال الاتحاد والترقي من دعايات . وبما كان يطمع به الشريف حسين من تملك جزيرة العرب .

(٢) قام الملك عبد العزيز بن سعود بتخليص نجد من حكم جماعة الاتحاد والترقي المستبدين ، وجعلها بلدا عربيا إسلاميا تحكم بالكتاب والسنة على طريقة السلف الصالح .

الأعيان أيضاً[1]، وهؤلاء أهل تجارة واسعة في أغلب جزيرة العرب، والشام، والهند.

بلاد العارض

هي جبال نجد اليمن، وهي المشهورة بنجد الآن[2] وعيون هذا الجبل غزيرة، وأوديته كثيرة، وفي غاية الخصوبة، وبها المزارع والبساتين بكثرة، وهذه البلاد الآن في حكم ابن سعود، وعاصمة حكمه الرياض ويكثر في هذه البلاد النخيل والحيوانات الأهلية، وأخصها، الخيل، والإبل، والغنم بكثرة، وأغلب أهلها أهل بادية، وقبائلها كثيرة وأشهرها قبيلة: العُجمان، وعددها ثلاثمائة وعشرين ألفاً تقريباً مستوطنون من الرياض، الى لواء الحسا والقطيف، ثم قبيلة: المره، وهي متوطنة بالجهة الجنوبية الى حدود عُمان وعددها ثلاثمائة وسبعين ألفاً تقريباً. ويقدر عدد قبائل العارض بمليون ونصف تقريباً. وإمارة الرياض عاصمة إمارة ابن سعود، وإمارة حائل عاصمة إمارة ابن رشيد تابعتان لمتصرفية نجد، ومركزها مدينة الحسا التابعة لولاية البصرة.

ومن قبائلها المنتفك، وآل سعدون، ومن قبائل بين النهرين قبائل معدان، وآل فتله، وبني حسن، والخزاين، وأهل السواحل منهم مشتغلون بالتجارة، وباستخراج اللؤلؤ والأسماك المجففة ويصدرونها للخارج.

---

(١) ان آل البسام والقاضي من الوهبة من تميم.

(٢) لأن تسمية نجد تختلف باختلاف البلاد وكذلك اختلفت باختلاف الزمن فان نجدا في عهد الرسول ﷺ كانت تعني العراق فهي مشرق المدينة المنورة، وانظر تخريج «أحاديث فضائل الشام» للمحدث العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. طبع «المكتب الاسلامي».

واعمر بلاد الحسا قائمقامية القطيف، ثم البلاد المجاورة لها جنوباً الى شبه جزيرة قطر (وهي قائمقاميتان أيضاً)[1]، وغيرها صحارى رملية كثيرة النبات الذي يشرب من الأمطار، وهي من أصلح الأراضي لرعي المواشي من غنم وابل وخيل، وتكثر المزارع فيها بجهة السواحل، وفيها النخيل بكثرة وبعض الفواكه ومن الخضر البطيخ[2] والشمام، ومن الحبوب الحنطة، والشعير، والذرة، - والحنطة هي لفظ أهل الحجاز، ونجد، وأهل اليمن يسمونها البر، وأهل مصر يسمونها القمح.

وبلاد الحسا مشهورة بالحمر الحساوية، ويكثر في فيافيها السباع، والنعام، وحمر الوحش، ومن صناعة أهل هذه البلاد العباءآت المشهورة بالوبر الجميل، وبعض منسوجات من القطن، والحرير، وهواء البلاد معتدل جيد، كثيز الجفاف صحي، إلا في القطيف، فانه رطب بالنسبة لكثرة المستنقعات التي حوله.

تقسيمات متصرفية نجد

وتنقسم هذه المتصرفية الى أربعة أقسام:

الأول اللواء ومركزه الحسا، والقسم الثاني قائمقامية القطيف، والقسم الثالث قائمقامية قطر[3]، والقسم الرابع قائمقامية الجوف، وهو خلاف الجوف الموجود شمال ولاية الحجاز الذي حقيقته دومة الجندل، وهو تبع الشام.

---

(١) كذا في الأصل وما بين المعترضين ليس له معنى؟.

(٢) ومن أسمائه - وما أكثرها - الحبحب. والخربز. والجبس. والرقي، والجح، والدلاع، والدبشي.

(٣) وقت تأليف الكتاب كانت قطر مستقلة منذ سنة ١٣٠٥ هـ على يد الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، المتوفى سنة ١٣٣١.

وعدد سكان متصرفية الحسا يبلغ خمسة وتسعمائة ألف على أقل تقدير ، ويوجد بالحسا مياه معدنية بكثرة ، وأغلب هذه البلاد تستقى من الأحساء ، وبها عيون كثيرة طبيعية تجري على وجه الأرض ، تشرب منها النخيل والبساتين ، وبعض البلاد بها أعين صالحة للشرب والزراعة[١] .

ولاية البصرة وبغداد

يتبع ولاية البصرة وولاية بغداد من العرب المنتشرين بهاتين الولايتين وملحقاتهما وأغلبهم بوادي أهل بيوت شعر ، وأهل مواشي : إبل ، وغنم ، وخيل .

ويبلغ عدد هذه القبائل على أقل تقدير نحو أربعة ملايين ونصف ، ومن قبائلها : قبائل الدليم ، وقبائل الشاوية وهم قاطنون شرق الفرات[٢] .

عربان سورية

ثم التابعون لولايات سوريا من العربان وأغلبهم بوادي أهل بيوت شعر ، ما ينوف عن مليونين ونصف ، وهم أهل مواشي كذلك ، والمعروفون من قبائل سوريا قبيلة بني عطية ، وقبيلة بني صخر ، وقبيلة عنزة ، وقبيلة الشرارات ، وقبيلة الحويطات ، وهذه القبائل عدنانية ، وخلاف هذه القبائل قبائل نجهل أسماءها ، ولو أحصيت جزيرة العرب إحصاء حقيقياً لظهر أنها أضعاف ما ذكرنا من العرب الخلص .

---

(١) وكان موسى كاظم باشا الحسيني آخر حاكم عثماني للاحساء ، ثم أخذها الملك عبد العزيز سنة ١٩١٣ وموسى كاظم هو والد القائد المجاهد عبد القادر الحسيني الذي استشهد في فلسطين في بلدة القسطل عام ١٩٤٨ .

(٢) ان لفظ الشوايا يطلق على العشائر نصف المتحضرة التي تقطن على جانبي دجلة والفرات .

نسأل الله أن يجمع كلمتهم على الحق واتحادهم تحت ظل الراية العثمانية والذود عنها ، ويتنبهوا للدسائس الأجنبية ، ويؤيد الاسلام بروح من عنده حتى يعود الى ما كان عليه من العز الذي لا يضاهى ، والشرف الذي لا تدرك له نهاية ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

فهرس مطالب

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٦٦	ترجمة الشريف ابي نمي محمد بن بركات
٦٧	معركة حلى
٦٩	وفود عربان تهامة
٦٩	وفود وادي حلى
٧٠	ضرب السواحل
٧٠	احتلال السواحل
٧٢	وادي يبا
٧٣	قبائل ربيعة
٧٣	وادي مشرف
٧٤	سوق الجمعة
٧٥	معركة ريع الحجاية
٧٦	معركة مضيق سهول
٧٧	استسلام قبيلة بني موسى
٧٨	وادي بارق
٧٩	عقبة محائل
٧٩	قبائل بني شهر
٨٠	عقبة ساقين
٨٠	وادي تنومة
٨٢	جبل الحجاز
٨٣	تهامة
٨٥	عقبة دهماء
٨٥	معركة عقبة دهماء
٨٧	وادي حوراء

......

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع
١٣٣	قائمقامية القنفذة
١٣٣	أقضية أبها
١٣٥	عودة الأمير من أبها متوجهاً الى مكة المكرمة
١٣٦	وادي راشد
١٣٧	وادي المسيرق
١٣٧	وادي الاراك
١٣٧	وادي خضراء
١٣٧	أودية وقبائل بني شهر
١٣٨	وادي بيشة
١٣٩	تعيين عبدالله العبدلي أميراً على قبائل بيشة
١٤٠	مدح الشريف بشعر نبطي
١٤١	قبائل قحطان
١٤٢	قبيلة يكلب
١٤٢	بدعة دعاء نصف شعبان
١٤٢	قبائل غامد
١٤٣	وادي كرى
١٤٤	قبائل البقوم
١٤٦	جبل حضن
١٤٦	طيور الصيد
١٤٧	وادي النير
١٤٧	جبال الغربان
١٤٧	وادي كلاخ
١٤٨	وفود المستقبلين

الصفحة	الموضوع